اتعاظ الحنفا

بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا

لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي

بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهم[1]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم كلما ذكره الذاكرون ، وكلما غفل عن ذكره الغافلون[2] .

الحمدُ لله الذى برأ سماواتٍ طِباقاً رفيعات ، ولما[3] دونها محيطات ، وجعلها فى الأقدار متفاوتات ، وبالحركة متباينات ، وفى التراكيب مختلفات ، ذات بروج معدودة ، وأقسام مقدرّة محدودة ، وكواكب نيرّة موّارة ، فى أفلاك بها دوّارة ، تتحرك لأنفسها تارة فتردها أفلاكُها بقدرته تعالى مقسورة ؛ كلٌّ ذلك يجرى على ما قُدِّر له من إسراع وتأثير ، وإبطاء وتدبير ، وإنماء وتغيير ، بأمر الحكيم القدير ، وتقدير العليم الخبير ؛ ودحا[4] الأرض فسطحها مهادا ، وأرسى عليها الجبال فصارت أوتادا .

ثم خلق الإنسانَ من طين ، وأنشأ منه البشر من سلالةٍ من ماءٍ مَهين ، واستعمرهم فى الأرض لينظر كيف يعملون ، وسخّر لهم ما فى السموٰت وما فى الأرض لعلهم يشكرون ، ومكّنهم من الاقتدار على إظهار العجائب ، فأبدوا ماشاءوا من البدائع والغرائب ، وتخوّلوا فيما اشتهوا من النعماء ، وتبسّطوا فى فنون الأفضال والآلاء ، وأثاروا الأرض وعمروها ، واتخذوا المدائن واستوطنوها ، وقهروا الأعداء ممن ناوأهم ، وخضّدُوا بالقهر شوكة من عاندهم أو شانأهم .

حتّى إذا كفروا النعم ، ولم يخشوا العقوبة والنقم ، أبادهم الله الذى أيّدهم ، وأهلكهم القادرُ الذى مكّنهم ، جزاءً بما اكتسبوا من السيئات ، وعقوبة لهم على اجتراح الخطيئات ، وسيعيدهم أجمعين إليه ، ويوقفهم كلّهم للحساب بين يديه .

(١) مكان هذه الجملة فى (ج) : « رب زدنى علما » .

(٢) هذه التصلية غير موجودة فى (ج) وانما يبدأ النص بالحمد له مباشرة .

(٣) (ج) « وبنى » .

(٤) فى النسختين : « دحى » ، ويقال : دحى يدحو أو يدحى ، أى بسط يبسط .

أحمده حمدًا يليق بجلاله ، وينبغى لعظمته وكماله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ظهير ، ولا معاون له فيما يريده ولا وزير ، شهادةً تعبِّر عن قلب قد عَمُرَ بالإخلاص ، وذخيرة للنجاء من النار والخلاص(١) .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، ونبيُّه وخليلُه ، الذى أنقذ اللهُ به العباد من الهلاك ، وخلَّصهم به من أشراك الإشراك ، حتى قاموا لله سبحانه بما شرع له من طاعته ، وأنزل عليه من أحكام عبادته(٢) .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، وأوليائه ومتبعيه وأحبابه ، وشرَّف وكرَّم .

وبعد :

فإنى لما أعاننى الله جلَّتْ قدرتُه ، وتعالتْ عظمته ، على إكمال كتاب : « عقد جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط »(٣) ، وضمنتُه ما وقفتُ عليه ، وأرشدنى الله سبحانه إليه من أحوال مدينة الفسطاط منذ افتتح أرضَ مصر أصحابُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصارت دار إسلام ، إلى أن قدمتْ جيوش الإمام المعز لدين الله أبى تميم مَعَدّ من بلاد المغرب مع عبده وقائده وكاتبه أبى الحسين جوهر القائد الصِّقِلى فى سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة ، ونزلتْ فى شمالى الفسطاط بالمناخ ، وأسس مدينة القاهرة وحلّ بها ، أحببتُ أن أضع لمن مَلَكَ القاهرة من الخلفاء ديوانا يشتمل على جُمَلِ خبرهم ، ويعرب عن أكثر سيرهم ، فجمعتُ هذا الكتاب وسميتُه كتاب :

« إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » .

والله تعالى أسأل أن يحفظنى فيه ، وفيما خوَّلنى من دنيا ودين ، ويجعلنى يوم الفزع الأكبر من الآمنين بمنِّه وكرمه .

---

(١) الأصل : « والاخلاص » والتصحيح عن (ج) .

(٢) هـــذا اللفظ ممحـــو فى الاصل ، وقد أثبتناه عن نسخة (ج)

(٣) وضع المقريزى لنفسه خطة واضحة عندما أراد التأريخ لمصر فى العصر الاسلامى ، فبـــدأ بكتاب «عقد جواهر الأسفاط » وأرخ فيه لمصر من الفتح العربى الى الفتح الفاطمى (٢١ – ٣٥٨ هـ)، ثم ثنى بهذا الكتاب « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » مؤرخا لها فى العصر الفاطمى، ثم ثلث بكتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » مؤرخا لها فى العهدين الأيوبى والمملوكى الى سنة ٨٤٥ هـ وهى ســـنة وفاته ، وتوجـــد – فيما يقال – من الـــكتاب الأول نسخة خطية فريدة فى مكتبة الـــدولة ببرلين ضـــمن مجمـوعة خطيـــة تحت رقم ٩٨٤٥ ، ويعمـــل الدكتـــور محمد مصطفى زيادة منذ سنوات على نشر الكتاب الثالث ، وقد انجز منه جزأين فى ستة مجلدات، وقد أشار المقريزى الى تتابع هذه المؤلفات الثلاثة فى مقدمته للسلوك . انظر : (السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص (د) و ٩) .

ذكر
أولاد أمير المؤمنين
على بن أبى طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ

اعلم أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قُتل ليلة الجمعة لإحدى عشرة ، وقيل لثلاث عشرة ، وقيل لثمانى عشرة ليلة خلت[1] من شهر رمضان سنة أربعين[2] من سنى الهجرة بالكوفة .

وولد له من الأولاد الذكور :

الحسن ، والحسين ـ أمهما فاطمة[3] بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

---

(١) (ج) : « مضت » .

(٢) ذكر هذه الروايات المختلفة أيضا : (ابن الاثير : الكامل ، ج ٣ ، ١٩٦) فقال : « قتل على فى شهر رمضان لسبع عشرةخلت منه ، وقيل لاحدى عشرة ، وقيل لثلاث عشرة بقيت منه ، وقيل فى شهر ربيع الآخر سنة أربعين ، والأول أصح » ، وقال (أبو الفرج الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ، ص ٢٧) انه توفى « سنة أربعين فى ليلة الأحدلاحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان » ، وذكر (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٣٣٠) أنه « ضرب يوم الجمعة ، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت ، وتوفى ليلة الأحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة » ، وبالرجوع الى كتب التقاويم يتضح أن التاريخ الصحيح لوفاته هو ماذكره ابن كثير ، فاليوم الثامن عشر من رمضان سنة ٤٠ هـ يوافق يوم الأحد ٢٥ يناير سنة ٦٦١ م ، انظر : (التوفيقات الالهامية) .

(٣) توفى أولاد الرسول جميعا قبله الا السيدة فاطمة الزهراء فقد ماتت بعده بستة أشهر ، وهى أول زوجة تزوجها على ، ولم يتزوج عليها حتى توفيت عنده ، ويقال انها أنجبت له ـ غيرالحسن والحسين ـ ابناثالثا يدعى محسنا، وأنه مات صغيرا ، وبنتين هما: زينب الكبرى ، وأم كلثوم الكبرى . راجع : (ابن الأثير : الكامل، ج ٣ ص ٢٠١) و (المخزومى : صحاح الأخبار ، ص ٩) و (أبونعيم : حلية الاولياء ، ج ٢ ، ص ٤٢ ـ ٤٣) .

ومحمد الأكبر المعروف بابن الحنفية(١) - أمه خولة(٢) بنت قيس بن جعفر الحنفي - . [والعباس الأكبر](٣) ، وعبد الله(٤) ، وعثمان الأكبر(٥) وجعفر الأكبر(٦) - أمهم أم البنين بنت المحل بن الديان بن حرام الكلابي - ، وقتل(٢ ا) هؤلاء الأربعة مع الحسين بن على - عليه السلام - بالطف(٧) .

---

(١) أبو القاسم محمد - المعروف بابن الحنفية - كان كثير العلم والورع ، شديد القوة ، حمل راية أبيه يوم الجمل ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وقد اختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ ومكان وفاته : فيقال انه توفى أول المحرم سنة ٨١ أو سنة ٨٣ ، وقيل سنة ٧٢ أو ٧٣ ، وروى أنه توفى بالمدينة وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان - وكان والى المدينة يومئذ - دفن بالبقيع ، وقيل انه خرج الى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات هناك ، وقيل انه مات ببلاد أيلة ، والفرقة الكيسانية تعتقد فى امامته ، وأنه مقيم بجبل رضوى فى شعب منه ولم يمت ، دخل اليه ومعه أربعون من أصحابه ، ولم يوقف لهم على خبر ، وهم أحياء يرزقون . انظر : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢١٨-٢٢١) .

(٢) هناك اختلاف فى اسمها ، فقد جاء فى : (المخزومى : صحاح الأخبار ، ص ٩) أنها : خولة بنت قيس بن سلمة بن عبد الله بن ثعلبة الوائلى ، وحكى الكلبى أنها خولة بنت قيس بن جعفر بن قيس بن سلمة » وروى (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢١٨) أنها كانت من سبى اليمامة وصارت الى على ، وقيل بل كانت سندية سوداء ، وكانت أمة لبنى حنيفة ، ولم تكن منهم وانما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق ولم يصالحهم على أنفسهم . انظر أيضا : « ابن الأثير: الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٠١ ، و (ابن قتيبة : المعارف ، ص ٩١) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ج) ، وكان يقال للعباس هذا «قمر بنى هاشم» ، وكان يحمل لواء الحسين يوم قتل ، وهو آخر من قتل من اخوته ، قتله زيد بن رقاد الجهنى ، وفى (ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٤٧) : « زيد بن داود الجنبى وحكيم بن الطفيل الطائى انظر : (الاصفهانى : مقاتل الطالبيين ، ص ٥٩ - ٦٠) .

(٤) قتل عبد الله وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ولا عقب له ، انظر : (المرجع السابق، ص ٥٧) .

(٥) قتل عثمان وهو ابن احدى وعشرين سنة ، رماه خولى بن يزيد بسهم فقتله ، انظر : (المرجع السابق ، ص ٥٨) و (ابن الأثير ج ٤ ، ص ٤٧) .

(٦) قتل جعفر وهو ابن تسع عشرة سنة ، قتله قاتل أخيه عثمان ، أى خولى بن يزيد . (مقاتل الطالبين ، ص ٥٨) .

(٧) ذكر (ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٤٧) هؤلاء الأربعة ضمن من قتلوا مع الحسين بالطف ، والطف فى اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق - من أطف على الشىء بمعنى أطل - والطف أرض بضاحية الكوفة فى طريق البرية ، فيها كان مقتل الحسين بن على . انظر : (ياقوت : معجم البلدان) .

وعمر الأصغر[1] أمه الصهباء أم حبيبة بنت ربيعة التغلبي .

وعبد الرحمن ـ الذي يكنى[2] أبا بكر ـ ، وعبيد الله . أمهما ليلى بنت مسعود بن خالد التميمي .

ويحيى [و] عون ـ أمهما أسماء[3] بنت عميس الخثعمية ـ .

ومحمد الأصغر[4] ـ أمه أمامة[5] بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ـ ، وأمها زينب بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وجعفر الأصغر ـ من أم ولد ـ[6] .

[و] محمد الأوسط[7] ـ ، وعباس الأصغر ـ أمهما أم ولد .

وعمر الأصغر [و] عثمان الأصغر .

فهؤلاء [هم] الذكور[8] من ولد أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، منهم من مات في حياة أبيه وهو طفل صغير ، ومنهم من قُتل ولا عقب له .

---

(١) في النسختين : « الأكبر » ، والتصحيح عن : (صحاح الأخبار ، ص ١٠) ، وفيه أيضا انه كان « يقال له الأطرف ، وامه الصهباء أم حبيب بنت عباد بن ربيعة العلقمي ، اشتراها أمير المؤمنين ٠٠ من سبى خالد بن الوليد ٠٠ ثم أعتقها وتزوجها ، وولدها أحد المعقبين من بني الامام ٠٠ » وفي « ابن الأثير ، ج ٢ ، ص ٢٠١) أنها كانت من سبى خالد بعين التمر ٠٠ وولدت له عمر بن على ورقية بنت على ، فعمر عمر حتى بلغ خمسا وثمانين سنة ، فحاز نصف ميراث على ، ومات بينبع ٠٠ » ٠

(٢) (ج) : « يكنا » ، وهناك من يرى ان أبابكر هذا قد قتل مع أخيه الحسين بالطف ٠ (ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٤٧) ٠

(٣) رواية (ابن الأثير ، ج ٢ ، ص ٢٠١) عن أولاد على من أسماء تختلف عن رواية المقريزى ، وهي « وتزوج أسماء بنت عميس فولدت له محمدا الأصغر ، ويحيى ، ولا عقب لهما ، وقيل ان محمدا لأم ولد ، وقتل مع الحسين ، وقيل انها ولدت له عونا ٠٠ » ٠

(٤) في (ابن الأثير) : « الأوسط » ٠

(٥) جاء في (صحاح الأخبار ، ص ٩) : أن عليا تزوج أمامة بعد السيدة فاطمة ، وبوصية منها ٠

(٦) الأصل : « من أول ولد » والتصحيح عن (ج) ٠

(٧) في الأصل : « الأصغر » والتصحيح عن (ج) ٠ وفي (مقاتل الطالبيين ، ص ٦٠) . انه قتل محمد هذا مع أخيه الحسين في وقعة الطف ، وقتله رجل من بني دارم ٠ انظر : « ابن الاثير ، ج ٤ ، ص ٤٧ » .

(٨) عدة الأولاد السابقين ١٨ ولدا ، وان كان (ابن الأثير ، ج ٣ ، ص ٢٠٢) يذكر أن (جميع ولده أربعة عشر ذكرا ، وسبع عشرة امرأة» ، ورواية المقريزى تتفق مع رواية « صحاح الأخبار ، ص ٩ » حيث يذكر أنه كان لعلى خمسة وثلاثون ولدا منهم ثمانية عشر ذكورا ٠

وولد له أيضا إناث[1] .

[و] لم يُعقب من أولاده الذكور سوى خمسة ، هم : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، والعباس ، وعمر ؛ وسائرهم لم يُعقب .

فوُلد للحسن بن على بن أبي طالب عليه السلام :

زيدٌ من أم ولد .

والحسن بن الحسن من أم ولد .

والقاسم[2] ، [و] أبو بكر[3] ، [و] عبد الله ، لا عقب لهم ، قُتلوا مع عمهم الإمام الحسين[4] بن على – عليه السلام – بالطفّ .

وعمرو بن الحسن ، وعبد الرحمن بن الحسن ، والحسين ، ومحمد ، ويعقوب ، وإسماعيل بنو الحسن[5] .

فهؤلاء [هم] الذكور[6] من ولد الحسن بن على بن أبي طالب – عليه السلام – .

ولم يُعقب – من ولد الحسن بن على – سوى رجلين : هما الحسن بن الحسن [و] زيد بن الحسن ، وسائر ولد الحسن بن على لا عقب لهم .

---

(١) ذكر (ابن الأثير : المرجع السابق) أسماء من ولد لعلى من الاناث ، فقال : « وتزوج على أيضا أم سعد ابنة عروة بن مسعود الثقفية، فولدت له أم الحسن ، ورملة الكبرى ، وأم كلثوم ؛ وكان له بنات من أمهات شتى ، لم يذكرن لنا ، منهن : أم هانىء ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الصغرى ، وأم كلثوم الصغرى ، وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ؛ وأم الكرام ؛ وأم سلمة ؛ وأم جعفر ، وجمانة ، ونفيسة ، كلهن من أمهات أولاد ؛ وتزوج أيضا مخبئة بنت امرىء القيس بن عدى الكلبية فولدت له جارية هلكت صغيرة ، كانت تخرج الى المسجد فيقال لها : « من أخوالك ؟ » فتقول : « وه ·· وه ·· ، تعنى كلبا » · انظر أيضا : (ابن قتيبة : المعارف ، ص ٩١ – ٩٢) ·

(٢) ذكر (ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٤٧) أن الذى قتله هو سعد بن عمرو بن نفيل الأزدى ، وفى (مقاتل الطالبيين ، ص ٦٢) أن اسمه « عمرو بن سعد بن نفيل » ·

(٣) أمه أم ولد ، وقد رماه حرملة بن الكاهن بسهم فقتله ، انظر المرجع السابق ·

(٤) الأصل : « الامام بن الحسين » وهو خطأ واضح ·

(٥) الأصل : « بنو الحسين » وهو خطأ واضح ··

(٦) عدة هؤلاء ١١ ولدا ، وقد جاء فى (المخزومى : صحاح الأخبار ، ص ١١) أن الحسن أعقب تسعة عشر ولدا ، الذكور منهم سبعة عشر ·

فولد الحسن[1] بن الحسن بن على بن أبى طالب محمدا ، وبه كان يُكنى ، وعبد الله[2] ـ أعقب ـ ، وحسنًا[3] ، [و] إبراهيم[4] ، وجعفر ، وداود ـ وهذه الخمسة قد أعقبوا ـ ، ولم يعقب محمد بن الحسن بن الحسن [بن على] [5] بن أبى طالب ولدا ذكرا .

فولد عبدُ الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب محمدا ـ وهو الذى قُتل بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ، وإبراهيم المقتول بالبصرة ـ ، قُتلا[6] فى الحرب أيام الخليفة أبى جعفر المنصور سنة خمس وأربعين ومائة .

وموسى بن عبد الله .

ويحيى[7] بن عبد الله ـ وهو الذى كان بالديلم ، ونزل بالأمان على يد الفضل بن يحيى

---

(١) ويسمى « الحسن المثنى » ، انظر المرجع السابق ص ١٢ .

(٢) ويسمى « عبد الله المحض » وكنيته « أبو محمد » ، وكان شيخ بنى هاشم فى زمنه . انظر المرجع السابق ص ١٢ ـ ١٣ .

(٣) ويسمى : « الحسن المثلث » انظر المرجع السابق .

(٤) ويسمى « ابراهيم الغمر » انظر المرجع السابق .

(٥) مابين الحاصرتين زيادة عن (ج) .

(٦) محمد هذا هوالملقب « بالنفس الزكية » ، وقد خرج فى المدينة يطالب بالخلافة لنفسه ، كما خرج أخوه فى البصرة ، وقد قتل محمد فى المدينة ـ لأربع عشرة خلت من رمضان سنة ١٤٥ هـ ـ أثناء حربه مع جيش العباسيين بقيادة عيسى بن موسى ، وقتل ابراهيم عند باخمرى فى حربه مع نفس القائد العباسى ، وذلك لخمس بقين من ذى القعدة من نفس السنة ، انظر تفاصيل نضالهما واضطهاد ومطاردة المنصور لبنى الحسن عامة فى : (مقاتل الطالبيين ، ص ١٦٠ ـ ٢٠٦) و (الخضرى : الدولة العباسية ، ص ٨٢ ـ ٩٦) .

(٧) نجا يحيى بن عبد الله مع من نجا من وقعة فخ ـ التى كانت فىعهد الهادى ـ ثم سار الى بلاد الديلم ، وزاد بها سلطانه ، وكثر أنصاره ، فندب الرشيد لقتاله الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى فى خمسين الفا ، غير أن الفضل صانعه ولاطفه حتى أجاب الى الصلح على أن يكتب له الرشيد أمانا ، فكتبه وأشهد عليه الفقهاء والقضاة ومشايخ بنى هاشم ، ثم أتى الى بغداد فأقام بمنزل يحيى بن خالد أياما ، ثم دفعه الى جعفر فحبسه ، وأكرمه فى حبسه ، ويذهب بعض المؤرخين الى أن السبب فى نكبة الرشيد للبرامكة هو اطلاق جعفر سراح يحيى بن عبد الله ، انظر : (الخضرى : الدولة العباسية ص ١٤٠ ، ١٦٥) .

ابن خالد بن برمك ، ثم حبسه الخليفة هرون الرشيد ، ومات فى حبسه ، ويُقال إنه قُتل عند سندى بن شاهك – .

وسليمان – الذى قُتل فى وقعة فخ[٢] –

وإدريس الأصغر[٣] – الذى صار إلى بلاد المغرب ، وبه عقبه وعقب أخيه سليمان –

فولد محمدُ بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب – المقتول بالمدينة – عبدَ الله الأشتر[٤] – وهو المعقب[٥] من ولده – ، قُتل بكابل ، وعليًا[٦] – أُخذ بمصر ، وحبس فى سجن المهدى حتى مات – ، والحسين بن محمد – قُتل بفخ – ، وطاهر [و] إبراهيم[٧] – ابنا محمد ، لا عقب لهما – .

وولد إبراهيمُ بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على – وهو المقتول بالبصرة – حسنًا ،

فولد حسنُ بنُ إبراهيم عبدَ الله – ومات متغيبا – ، ومحمدًا ، وإبراهيم .

وولد يحيى بنُ عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على محمدًا .

---

(١) السندى بن شاهك مولى المنصور ، وخدم الرشيد والامين ، انظر أخباره فى : (الطبرى ، طبعة دى خويه ، القسم الثالث ؛ ص ١٤٥ ، ١٥١ ، ٥٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ؛ ٧٣٤ ؛ ٧٦٤ ؛ ٩١٢ ، ٩١٤ ، ٩٧٩ ، ١٠١٦ ؛ ٢٥٠٩) .

(٢) خرج الحسين بن على بن الحسن المثلث فى عهد الهادى فى سنة ١٦٩ ، فسار لقتاله القائد العباسى محمد بن سليمان ، وتقابل الجيشان فى وقعة فخ ، فانتصر محمد بن سليمان ، وقتل الحسين وجماعة ممن معه ، انظر : (مقاتل الطالبيين ، ص ٢٨٨ – ٢٨٩) و (الخضرى : المرجع السابق ، ص ١٣٢ – ١٣٥) ، وفخ واد بمكة دفن فيه عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة ، انظر : (معجم البلدان) .

(٣) ويقال له أيضا « ادريس الأول » ، شهد وقعة فخ ، فلما هزم ابن أخيه الحسن بن على بن الحسن اختفى هو مدة ، ثم فر الى مصر ومنها الى المغرب حيث استطاع أن ينشىء أول دولة علوية ، وذلك فى سنة ١٧٢ هـ ، وقد ظلت هذه الدولة تحكم المغرب الاقصى قرابة قرنين من الزمن . انظر : (دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ادريس والادريسية ، ومابها من المراجع) .

(٤) انظر أخبار قتله فى :(مقاتل الطالبيين ص ٢١١ – ٢١٣) . حيث يروى أن مؤدبه عبد الله بن محمد بن مسعدة كان قد أخرجه – بعد قتل أبيه – الى السند فقتل بها ، ووجه برأسه الى جعفر المنصور .

(٥) الأصل : (الملقب) ، والتصحيح عن (ج) .

(٦) الأصل و (ج) : « على » .

(٧) جاء في (صحاح الأخبار ، ص ١٣) ، أنه أنجب ولدا آخر غير هؤلاء يسمى محمدا .

وولد سليمانُ بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على - المقتول بفخ - محمدًا ، فرَّ إلى المغرب ، وولدُه هناك .

وَوَلَدَ إدريسُ الأصغر بنُ عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على - وهو الذى صار إلى المغرب ، وغلب على موضع منه فى أيام المنصور ، فدسَّ إليه المنصورُ بمتطبب فسقاه فقتله - إدريس بن إدريس ، وُلد بالمغرب وأمه بربرية ؛ وعقبه بالمغرب .

وولد الحسنُ بن الحسن بن الحسن بن على أبا جعفر عبد الله ، وعليًا - مات فى حبس المنصور مع أبيه - ، وحسنًا - درج ولا عقب له - ، والعباس ، وطلحة ابنا الحسن بن الحسن بن الحسن بن على - انقرضا - .

وولد إبراهيمُ بن الحسن بن الحسن بن على إسماعيلَ - أعقب - ، وإسحق - أعقب ثم انقرض - ، ويعقوب - لا عقب له - ، ومحمدا - الذى يسمى (1) الديباج الأصغر ، - لا عقب له - ، وعليا (2) أعقب الحسن ، وولد الحسنُ محمدا وإبراهيم .

وولد إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على حسنا وإبراهيم - أعقبا - .

وولد جعفرُ بنُ الحسن بن الحسن بن على الحسنَ ، فولد الحسنُ بن جعفر عبدَ الله ، وولد عبدُ الله عبيدَ الله - ولَّاه المأمونُ الكوفةَ ثم مكة - ، وإبراهيم بن جعفر ؛ فولد إبراهيمُ عبدَ الله - كان له بنات - .

وولد داودُ بنُ الحسن بن الحسن بن على سليمانَ وعبدَ الله ، كان عبدُ الله من أهل الفضل والورع ؛ وقد أعقب سليمانُ [و] عبدُ الله ابنا داود .

وولدَ زيدُ بن الحسن بن على الحسنَ - لا عقب له إلا منه - ، وكان فاضلا ، ولَّاه المنصورُ المدينةَ .

(٢ ب) فولد الحسنُ بنُ زيدبن الحسن بن على إسماعيلَ [و] القاسمَ ، وعبدَ الله ، وإبراهيمَ ، وزيدا ، وعليا ، وإسحقَ .

---

(1) (ج) : « يدعى »
(2) الاصـل : « وعلى »

فمن بيوت بنى الحسن بن على بن أبى طالب :

بنو طباطبا (١) .

والرسِّيون(٢) .

وبنو المطوّق .

وبنو تَج – واسمه الحسن – .

وَوَلَدُ الهادى (٣) باليمن الذى له الإمارة .

وبنو الأذرع ..

وَوَلَدُ الداعى إلى الحق(٤) بطبرستان(٥) .

---

(١) نسبة الى ابراهيم طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى ،وكان ابنه محمدبن طباطبا أحد أئمة اليمن ، ولد سنة ٧٣ ، وتوفى سنة ١٩٩ ، وله من العمر ١٢٦ سنة ، انظر : (الواسعى : فرجة الهموم الحزن ، ص ١٨) .
(Key : Yaman Its Eoaly Medicval History, P. 302-303)

(٢) نسبة الى الامام القاسم الرسى ترجمان الدين ، أحد أئمة اليمن ، ولد سنة ١٦٩ ، وتوفى سنة ٢٤٦ ، وله من العمر ٧٧ سنة ، تولى الامامة بعد موت أخيه محمد بن طباطبا (انظر الهامش السابق) ، وسمى الرسى لأنه مات فى الرس ، وهو جبل أسود بالقرب من ذى الحليفة ، وهى قرية على بعد ستة أو سبعة أميال من المدينة . انظر أخباره المفصلة فى : (الواسعى ، المرجع السابق ، ص ١٨ – ١٩) و (Key : Op. Cit. p.p. 314-316)
ثم انظر أسماء من تولى منهم الحكم فى صعدة وصنعاء فى :
(Zambaur : Manuel de Gen. etc.: p.p. 122-123).

(٣) هو الامام الهادى الى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى ، ولد سنة ٢٤٥ ، وتوفى سنة ٢٩٨ ، خرج فى عهد المأمون الخليفة العباسى ، وملك مابين صنعاء وصعدة ، ووقعت بينه وبين عمال بنى العباس باليمن وقائع ، وخطب له بمكة سبع سنين ، وكان عالما جليلا ، وله مؤلفات كثيرة ، انظر أخباره بالتفصيل فى :(الواسعى : فرجة الهموم والحزن ، ص ٢١ – ٢٣) و (العرشى : بلوغ المرام ، ص ٣١ ، ٣٢ – ٣٤ ، ٣٨) و
(Key : Op. Cit. p.p. 142, 143, 185, 186)
وراجع أيضا : (Lane-Poole : Mohammadan Dynasties. p.p. 102-103)
ففيه بيان كامل بأسماء الأئمة الرسيين الذين حكموا فى صعدة وصنعاء .

(٤) لمعرفة من تولى الامامة بطبرستان والديلم من أولادهما انظر :
(Kay : Op. Cit .p.p. 302-303) و (Lane-Poole: Op. Cit. p. 127)
وقائمة النسب بين الصفحتين .

(٥) الطبر فى الفارسية مايشقق به الأحطاب ، و « ستان » الموضع أو الناحية ، فمعنى طبرستان « ناحية الطبر » ، والنسبة اليها طبرى ، قال (ياقوت فى معجم البلدان) :=

وَوَلَدُ الحسن بن زيد الذى له الإمارة بالديلم .

وَوَلَدُ الناصر الحسنى(١) الذى كان باليمن .

وغير ذلك من بيوتات ولد الحسن بن على بن أبى طالب – رضى الله عنهم – .

وأما ولد الحسين بن على بن أبى طالب فإن الحسينَ :

ولد علياً الأكبر(٢) وقُتل بالطفّ ، ولا عقب له ؛ وعليا الأصغر – وفيه البقية – ، وجعفرا – لا عقب له – ؛ [و] عبد الله(٣) ، – قُتل صغيرا بالطف ، ولا عقب له – .

هؤلاء [هم] الذكور من ولد الحسين بن على ، وهم لأمهات شتى .

فولد علىٌّ الأصغر(٤) بن الحسين حَسَناً ، وحسينا – لاعقب لهما – ؛ وأبا جعفر محمداً ؛ وعبد الله ، – أمهما أم ولد – .

وزيدا ؛ وعمر ؛ وعليا ، ومحمداً الأوسط – ولا عقب له – ؛ وعبد الرحمن ، وحسينا الأصغر ؛ وسليمان ؛ والقاسم – ولا عقب له – .

=« والذى يظهر لى ، وهو الحق ويعضده ماشاهدناه منهم ، أن أهل تلك الجبال كثيرو الحروب ، وأكثر أسلحتهم بل كلها الاطبار ، حتى انك قل أن ترى صعلوكا أو غنيا الا وبيده الطبر ، صغيرهم وكبيرهم ، فكأنها لكثرتها فيهم سميت بذلك » . وقصبة طبرستان آمل ، وقد كانت تحت حكم الفرس ، ثم فتحها سعيد بن العاصى (وقد ولى الكوفة من قبل عثمان سنة ٢٩) ، وفى ولاية سليمان بن عبد الله بن طاهر على طبرستان خرج عليه الحسن بن زيد ابن محمد بن اسماعيل بن حسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب فى سنة ٢٤٩ فأخرجه عنها ، وغلب عليها الى أن مات ، فخلفه أخوه محمد بن زيد (٢٧٠ – ٢٨٧) ، انظر : (Zambaur : Op. Cit. p. 192)

ولمعرفة حدود هذه الولاية فى العهد الاسلامى انظر :(ياقوت : معجم البلدان) ، وتبين موقعها فى (خريطة العالم الاسلامى لأمين بك واصف) .

(١) ويقال له الناصر الديلمى ، وهو أبو الفتح الامام الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن على بن الحسن بن زيد ، قام باليمن بعد عودته من ناحية الديلم سنة ٤٢٠ ، وكان غزير العلم ، وله مؤلفات منها تفسير فى أربع مجلدات كبار ، قتله الصليحى سنة ٤٤٧ ، انظر (الواسعى : المرجع السابق ، ص ٢٧) و (Zambaur: Op. Cit. p. 123), (Kay: Op. Cit. p. 302-303)

(٢) انظر بعض أخباره فى (مقاتل الطالبيين ، ص ٥٥ –٥٦) .

(٣) قتل عبد الله صغيرا ، جاءته نشابة وهو فى حجر أبيه فذبحته . انظر (مقاتل الطالبيين ، ص ٦٣ – ٦٤) .

(٤) هو أبو الحسن على بن الحسين ، المعروف بزين العابدين ، وليس للحسين عقب الا من ولده هذا ، وعلى زين العابدين أحد الأئمة الاثنى عشر ، وأمه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس ، ولد سنة ٣٨ ، وتوفى سنة ٩٤هـ ، وقيل سنة ٩٢ ، ودفن فى البقيع فى قبر عمه الحسن بن على ، انظر : (ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٢٧٥ – ٢٧٧) .

وهؤلاء [هم] الذكور من ولد على بن الحسين بن على ؛ وعدّتهم ثلاثة عشر(١) ذكراً ،
أعقب منهم ستة وهم :
محمَد المكنى بأبى جعفر .
وعبد الله .
وزيد .
وعمر .
وعلى .
والحسين الأصغر .

[فولد](٢) أبو جعفر محمدُ(٣) بنُ على بنَ الحسين بنُ على جعفراً الصادق ؛ وعبدَ الله ــ أمهما أم ولدَ ــ ، وإبراهيم ، وعبيد الله ــ لا بقية لهما ، درجا ، وأمهما أم ولد ــ ؛ وعلياً ــ لا عقب له ، وأمه أم ولد ــ .

[فولد] جعفرُ بن محمد الصادقُ(٤) إسماعيلَ ــ أعقب ــ ؛ وعبدَ الله ــ لا عقب له ــ ، أمهما فاطمةُ ابنة الحسن بنَ الحسن بن على بن أبي طالب ؛ وموسى(٥) ، وإسحق ، ومحمداً ــ لأم

(١) الأسماء المذكورة عددها اثنا عشر لا ثلاثة عشر .
(٢) مابين الحاصرتين عن (ج) وبها يستقيم المعنى .
(٣) أبوجعفر محمد بن على زين العابدين ، الملقب بالباقر ، أحد الأئمه الاثنى عشر ــ فى اعتقاد الامامية ــ كان عالما كبيرا ، وقيل له الباقر لأنه تبقر فى العلم أى توسع فيه ، أمه أم عبد الله بنت الحسين بن الحسن بن على بن أبى طالب ولد بالمدينة يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة ٥٧ ، والأقوال مختلفة فى سنة وفاته فهى سنة ١١٣ أو ١١٤ أو ١١٧ أو ١١٨ ، وكانت وفاته في الحميمة ، ثم نقل الى المدينة ، فدفن فى البقيع فى قبر أبيه وعم أبيه الحسن ابن على ، انظر : (ابن خلكان ، ج ٢ ص ٢٢١).
(٤) أبو عبد الله جعفر الصادق ، أحد الأئمة الاثنى عشر ، لقب بالصادق لصدقه فى مقالته ، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، اشتغل بالكيمياء والزجر والفال ، ويقال أن من تلاميذه أبو موسى جابر بن حيان ، وأنه ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل أستاذه جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة ، ولد جعفر سنة ٨٠ ، وقيل سنة ٨٣ ، وتوفى فى شوال سنة ١٤٨ بالمدينة، ودفن بالبقيع ، انظر : (ابن خلكان ، ج ١ ص ١٨٥) .
(٥) هو أبو الحسن موسى الكاظم الامام السابع في رأى الاثنى عشرية ، كان كثير الورع والتقوى ، ولد بالمدينة سنة ١٢٩ أو ١٢٨ ، وأقام بها حتى أقدمه المهدى بغداد وحبسه ، ثم رده الى المدينة الى أن ولى هارون الرشيد ، فحمله الى بغداد سنة ١٧٩ ؛ فحبسه بها الى أن توفى فى محبسه ، وكانت وفاته سنة ١٨٣ أو ١٨٦ ، وكان الموكل به مدة حبسه السندى بن شاهك جد كشاجم الشاعر المعروف ، انظر : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ص ١٣ ــ ١٥) و (Mamour : The Origin of the Fatimid Caliphs, p.p. 93-100.)

ولد ـ ؛ والعباسَ ـ لا عقب له ، وأمه أمُّ ولد ـ [و] علياً ـ المعروف بالعريضى ـ [و] أمه أم ولد ـ .

* * *

وحيث انتهينا إلى ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب فإنه الغرض ، [و] إليه ينسب الخلفاءُ الفاطميون بناةُ القاهرة ، فنقول :

إن إسماعيل بن جعفر الصادق مات فى حياة أبيه جعفر سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة ، [و] خلّفِ من الأولاد محمداً ، وعلياً ، وفاطمة .

فأما محمد بنُ إسماعيل فإنه الذى إليه الدعوى ؛ وكان له من الولد جعفرُ ، وإسماعيل فقط ، ـ أمهما أم ولد ـ :

[فولد](١) جعفرُ بن محمد بن إسماعيل محمداً ، وأحمد ؛ أما أحمد فلا عقب له .

وأما محمد فَوَلَدَ جعفرا ، وإسماعيل ، وأحمد ، والحسن .

وقال أبو محمد عليُّ بن أحمد بن سعيد بن حزم(٢) :

«وولدُ إسماعيل بن جعفر : عليٌّ ، ومحمدٌ فقط ؛ وإمامة محمدٍ هذا تدّعى القرامطةُ والغلاة بعد أبيه إسماعيل .

[فولدُ](١) محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد جعفرٌ ، وإسماعيل ، منهم بنو جعفر البغيض بن الحسن بن محمد الحبيب بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق .

(١) مابين الحاصرتين زيادة عن (ج) وبهـا يستقيم المعنى .

(٢) هو أبو محمد على بن محمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صـالح الظاهرى الأندلسى ، ولد فى قرطبة يوم الأربعاء سلخ رمضان سـنة ٣٨٤ هـ (٧ نوفمبر ٩٩٤) ، كان أبوه وزيرا للحاجب المنصور محمد بن أبى عامر ، وقد ثقف ابن حزم ثقافة عالية ، وحصل علوما كثيرة ، وألف فيها ، روى ابنـه أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحـو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمـانين الف ورقة ، ويقال انه كان كثير الوقوع فى العلماء المتقدمين ، لا يـكاد يسلم أحد من لسانه ، فاستهدف لفقهاء وقته ، وأقصته الملوك ، فانتهى الى البادية حيث مات فى سنة ٤٥٦ هـ ، وأهم مؤلفـات ابن حـزم كتاب « الفصل فى الملل والنحل » طبع فى المطبعة الأدبية بالقاهرة سنة ١٣١٧ ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستانى ، انظر ترجمته بالتفصيل وبيان مؤلفاته فى (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٢ ، ص ٢١ ـ ٢٤) و (القفطى : أخبـار العلماء ، ص ١٥٦) و(دائرة المعارف الاسلامية، مادة ابن حزم ، ومابها من مراجع) .

وادعى عبيدُ الله القائمُ بالمغرب أنه أخو حسن بن محمد هذا ، وشهد له بذلك رجل من بنى البغيض ، وشهد له أيضا بذلك جعفرُ بن محمد بن الحسين بن أبى الجنّ على بن محمد الشاعر بن على بن إسماعيل بن جعفر ، ومرةً ادعى أنه ولدُ الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وكل هذه [دعوى] مفتضحة ، لأن محمد بن إسماعيل بن جعفر لم يكن له قط ولدٌ اسمه الحسين .

وهذا كذبٌ فاحش ، لأن مثل هذا النسب لا يخفى على من له أقل علم بالنسب ، ولا يجهل أهلَه إلا جاهلٌ » .

[قلتُ] (١) : وأما ما ذكره أبو محمد من انتسابهم إلى الحسين بن محمد بن إسماعيل قولٌ افتعله معاديهم ، فقد كان أبو محمد بقرطبة ، وملوكها بنو أمية ، وهم أعدى أعادى القوم ، فنقل ما أشاعه هناك ملوكُ بلده ، حتى اشتهر كما هى عادة الأعداء .

والذى يقوله أهل هذا البيت ويذهبون إليه : أن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنهُ من بعده ، وأنَّ الإمام بعد إسماعيل بن جعفر [هو] ابنهُ محمد ، ويلقبونه بالمكتوم(٢) ، وبعد المكتوم ابنهُ جعفر بن محمد بن إسماعيل ، ويلقبون جعفرا هذا « بالمصدق » ، وبعد جعفر المصدق ابنهُ محمدُ الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق .

قالوا : فوَلَد محمدٌ الحبيب عبيدَ الله بنَ محمد بنَ جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن الإمام إسماعيل .

---

(١) مابين الحاصرتين زيادة عن (ج) .

(٢) أمام اضـطهاد العباسـيين ، وسعيا لانجاح الدعوة اضـطر الأئمة من أبناء اسماعيل الى التكتم واخفـاء شخصياتهم ، فلقبوا بالأئمة المكتومين ، وأولهم محمد بن اسماعيل ، ويرى (Mamour : Op. Cit. 43-92) أن محمدا المكتوم هو ميمون القداح نفسه ، وأنه فى تكتمه انتحل هذا اللقب، وامتهن مهنة القداحة ليختفى وراءها وليكون أكثر اتصـالا بأكبر عدد ممـكن من الناس ، ويخالفه فى هذا الأستاذان : Bernard Lewis و H.A.R. Gibb انظر : (Bernard Lewis : The Origins of Ismailism. p. 21-22)

وعبيد الله هذا هو القائمُ بالمغرب ، الملقب بالمهدى ، المنسوب إليه سائر الخلفاء الفاطميين بالمغرب (١٣) وبمصر .

هذا هو الثابت فى درج نسبهم .

وقال الشريف محمد [بن] (١) أسعد بن على الحسينى الجوانى النقيب :

« وأما إسماعيل بن جعفر –يعنى الصادق– ، فَعَقِبُهُ من ابنيْه : محمد وعلى .

فأما على فمن ولده أبو الجن بن الحسين بن على بن محمد بن على بن إسماعيل بن جعفر وهم بدمشق ويقال لهم : « بنو أبى الجن » – بجيم ونون – .

وأما محمد بن إسماعيل فينُسب إليه الذين تغلبوا على إفريقية الغرب ، ثم تغلبوا على مصر والشام .

فنى النسابين من أثبتهم ، وفيهم من نفاهم ، وفيهم من أمسك .

سألتُ الشريف النسّابة جمالَ الدين أبا جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبى القاسم الإدريسى الحسنى بمدينة القاهرة عن هؤلاء ، فقال :

المثبتون لأنساب أهل القصر بالقاهرة [هم] : شيخ الشرف العبيدلى ، وابن ملقطة العمرى ، وأبو عبد الله البخارى .

والنافون لأنسابهم [هم] : الشريفُ ابن العابد ، وابنُ وكيع من أصحاب سحنوَن ، وابن حزم الأندلس صاحب كتاب « الجماهير فى أنساب المشاهير » .

والمتوقفون فى أنسابهم [هم] : محمد المبرقع ، وأخوه الحسن الزيديان ، فى جماعة كثيرة من النسابين ، كابن خداع ، وشبل بن تكين ، وغيرهم .

والذى قاله شيخ الشرف :

(١) مابين الحاصرتين زيادة عن (ج) ، وهو محمد بن أسعد بن على بن معمر أبوعلى انجوانى، صاحب كتاب « النقط بعجم ما أشكل من الخطط » ، ولم يظهر للآن مايثبت وجود هذا الكتاب ، غير أن المؤلفين المتأخرين قد نقلوا عنه كثيرا ، وخاصة المقريزى فى خططه حيث يقول عنه انه نبه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت ، وقد ولد الشريف سنة ٥٢٥ هـ وتوفى سنة ٥٨٨ هـ (١١٣١ – ١١٩٢) انظر : (المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٦ – ٧) و (أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٤٣ ، ج ٦ ، ص ١١٩ ، ٢١٨) و « محمد عبدالله عنان : مصر الاسلامية ، ص ٣٩ ، ٥٥ ، ٨٩) .

« وبنو عبد الله بالمغرب فى نسب القطع » .

هذا ما أملاه علىَّ الإدريسى ، وكان من العلماء بالنسب والتاريخ .

قال : ووجدتُ فى كتاب أبى الغنائم عبدالله النسَّابة الزيدى الحسينى فى ذكره ولدِ محمد بن إسماعيل بن جعفر : المعقب من جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر رجل واحد [هو] محمد ، أمه فاطمة بنت على بن جعفر بن عمر بن على بن الحسين بن على ، وأمها أروى ابنة الهَيْثَم ابن العُرْيان بن الهَيْثَم بن الأسود الجُشَمِى ؛ والمعقب من محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل رجل واحد ، وهو الحسن الحبيب (لأم ولد) ، وكان له : جعفر ، وإسماعيل ، وأحمد ، وعبيد الله ، وعلى (اغتربوا فلم يُعلم كيف جرى أمرهم ، وهل اعقبوا أم لا ؟) .

ويقال إن ولدَ عبد الله بالمغرب ؛ وآخر من ذكره من عقب محمد بن إسماعيل : الحسين ابن أبى طالب ، على بن الحسين ، أبى القاسم بن الحسين بن الحسن بن محمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (؟) .

وأما غيرهم فيقول : إن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وَلَدَ جعفرًا ، وإسماعيل ، وأحمد ، والحسن .

وَوَلَدَ الحسنُ جعفرًا – توفى بمصر سنة ثلاث وتسعين ومائتين – .

فَوَلَدَ جعفر بن الحسن بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق أبا جعفر محمدًا .

فولد محمدٌ أبا عبد الله جعفرًا ، وعليا ، وأحمد ، والحسن ، ويحيى .

هؤلاء الذكور من وَلَدِ الحسن بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق – وكانوا بمصر – .

وَوَلَدَ إسماعيلُ بنُ محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علىَ بن الحسين بن على ابن أبى طالب أحمدَ ، ويحيى ، ومحمدًا ، وعليا ، – دَرَجَ ولا عقب له – .

فَوَلَدَ أحمدُ بنُ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إسماعيلَ – توفى بمصر فى ذى القعدة سنة أربع وسبعين ومائتين – .

ومحمدًا – لا عقب له – .

وزيدا ، وعليا ، والحسين – لأم ولد – .

فَوَلَد إسماعيلُ بنُ أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق أبا عبد الله أحمدَ – توفى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة بمصر – .

وأبا جعفر محمدًا – توفى سنة اثنتين وثلاثمائة بمصر – .

وأبا القاسم جعفرا – توفى سنة أربع وسبعين ومائتين بمصر – ، وحمزة – درج فى سنة خمس وسبعين ومائتين ولا عقب له – .

وأبا عبد الله الحسين (توفى سنة أربع وتسعين ومائتين) .

وأبا الحسن عليًّا – توفى فى طريق مكة سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة – .

فولد أحمدُ بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق أبا محمد إسماعيل ، وأبا الحسن عليا ، وأبا القاسم جعفرا ، – وتوفى سنة ثلاثمائة – ، وموسى – ولا عقب له – .

فولد إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق أبا الحسن عليا ، وأبا عبد الله الحسين ، والحسن .

وَوَلَدَ علىٌّ بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بنتاً – لم يلد غيرها – .

وَوَلَدَ جعفر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق أبا عبد الله الحسين ، وأبا إبراهيم إسماعيل ، وأبا جعفر محمدا ، وأبا الحسين محمدا .

هؤلاء هم بنو أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل (٣ ب) بن محمد بن إسماعيل بن جعفرِ الصادق – وهم بمصر – .

وَوَلَدَ محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر [الصادق] عليًّا ، والحسين ، وموسى .

وولد عليٌّ بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الحسنَ ، - وتوفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ولا عقب له - .

وَوَلَدَ الحسينُ بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر زيدا - ولا عقب له - ، ومحمدًا [و] جعفرا ، وأحمد ، وإسماعيل - وُلد بالمغرب ولا عقب له - .

وولد موسى بنُ محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر يحيي ، وجعفرًا ، وعليًّا ، وإبراهيم ، وإسماعيل - ولا عقب له - .

فهؤلاء بنو محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر - وهم بمصر - .

وَوَلَدَ الحسينُ بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق محمدًا أبا الحسين ، ومحمدًا أبا عبد الله - وهم بمصر - .

وَوَلَدَ جعفر بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر زينبَ - لم يلد غيرها - .

وَوَلَدَ عليٌّ بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إسماعيلَ ، ومحمدًا ، والحسين ، والحسن ، وجعفرًا .

وَوَلَدَ إسماعيلُ بنُ على بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر محمدًا - ولا عقب له - ، وعبدَ الله .

وَوَلَدَ محمدُ بن على بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر إبراهيمَ ، وزيدًا ، وعبدَ الله ، ومحسناً ، وعلياً .

وَوَلَدَ الحسينُ بن على بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق حمزةَ وجعفرًا - وهم بمصر - .

وولد زيدُ بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر [الصادق] موسى - ولا عقب له - .

وولد عليٌّ بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر فاطمةَ - ماتت بدمشق - .

وَوَلَدَ الحسينُ بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر زيدًا - مات ببغداد - ، ومحمدًا ، وإسماعيل - النقيب بدمشق - ، وأحمد ، والحسن ، وعلياً ، وجعفرا - ولاعقب له - .

فَوَلَدَ زيدُ بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الحسينَ - ولاعقب له - ، وأمَّ سلمة ، وخديجة - وكان لها ولدٌ ببغداد - ، وموسى - لاعقب له - .

وَوَلَدَ محمدُ بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر فاطمةَ - لم يخلف غيرها - .

وولد إسماعيلُ بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق محمداً ، وموسى ، وإبرهيم ، والحسين ، وطاهرًا .

[فَوَلَدَ] محمد بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر أحمدَ .

وَوَلَدَ أحمدُ بن الحسين حمزةَ ، ومحمداً - وقد انقرضا ولا عقب لهما من الذكور - .

وَوَلَدَ الحسنُ بن الحسين بن أحمد محمداً ، وعقيلاً ، وإبراهيم - ولا عقب له - ، وعبيدَ الله ، ومحسنا - ولا بقية لهما - .

وَوَلَدَ عليٌّ بن الحسين بن أحمد المحسنَ ، وأحمدَ ، ومحمداً - المعروف بأخي محسن - ، كان سكن دمشق ، ولا عقب لأحمد ومحمد هذين .

وَوَلَدَ يحيى بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر أحمدَ وفاطمةَ - درجا - .

وَوَلَدَ محمدُ إسماعيل ، بن محمد بن إسماعيل بن جعفر محمداً .

فولدَ محمدٌ هذا الحسنَ ، والحسينَ ، ومحمدا .

وَوَلَدَ الحسنُ بن محمد الحسينَ ، وأحمدَ - وهم بالكوفة - .

فهؤلاء جميعُ وَلَدِ محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق .

وأما بقية أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق فلا حاجة بنا إلى ذكرهم هنا .

ذكر
ما قيل فى أنساب خلفاء الفـــاطميين

قال مؤلفه(1) ـ رحمة الله تعالى عليه ـ .

وقد وقفتُ على مجلد يشتمل على بضع وعشرين كراسة فى الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين ، تأليف الشريف العابد المعروف بأخى محسن(2) ، وهو محمد بن على بن الحسين ابن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ـ ويكنى بأبى الحسين ـ ؛ وهو كتاب مفيد .

وقد غبرتُ زمانا أظن أنه قائل ما أنا حاكية حتى رأيتُ محمد بن إسحق النديم(3) فى كتاب « الفهرست » ذكر هذا الكلام بنصّه(4) ، وعزاه إلى أبى عبد الله بن رزّام(5) ، وأنه

---

(1) ج : « قال كاتبه ، وقد وقفت .. الخ»

(2) علوى عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع ، ويرجح أنه كان معـــاصرا للمعز لدين الله ، انظر : (B. Lewis : Op. Cit. p. 7).

(3) انظر ترجمته فى (ابن خلكان : الوفيات) و (معجم الأدباء ليـــاقوت) و (مقدمة الفهرست)

(4) ورد فى الفهرســت لابن النديم ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ نص تحت عنوان «الكلام على مذهب الاسماعيلية » يشبه نص المقـــريزى فى المعنى ولكنه يختلف عنه كثيرا فى اللفظ، كذلك أورد المقريزى فى الخطط ، ج ٢ ، ص ١٥٨ ـ ١٥٩ فصلا عنوانه « ذكر ماقيـــل فى نسب الخلفاء الفاطميين بناة القاهرة » يتفق مع النص المذكور هنا فى المعنى ، ويختلف عنه فى اللفظ اختلافا يسيرا جدا ، والأصـــل الـــذى ينقـــل عنه المؤرخان هو ابن رزام .

(5) هو أبو عبد الله محمد بن على بن رزام الطائى الكوفى ، عاش على الأرجح فى النصـــف الأول من القـــرن الرابع الهجرى ، انظـــر : (المسعودى : التنبيه والاشراف ، ص ٣٤٣) حيث يذكره ضمن المـــؤرخين الذين كتبوا قبله عن القرامطة ، والمســعودى توفى سنة ٣٤٥ هـ ، وابن رزام أقدم كاتب ـ فيما نعلم حتى الآن ـ أشاع قصة انتماء الفاطميين الى ميمون القداح، ووصل بينه وبين القرامطة ، وكتاب ابن رزام مفقود حتى الآن ، ولكن هذه الأجزاء التى تشكك فى نســـب الفاطميـــين قد نقلها عنه مؤرخون لاحقون كثيرون ، اشار المقريزى هنا الى أن أخا محسن واحد منهم ، ومنهم المقريزى نفسه ، فقد نقـــل جزءا من هذا النص هنا ، وفى الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ، وفى المقفى ، انظر :

= (Quatremer: : Mémoires Historiques J.A. 1836)

ذكره فى كتابه الذى ردَّ فيه على الإسماعيلية ، قال - وأنا برىء من قوله - :

هؤلاء القوم من ولد ديْصان(1) الثنوى ، الذى يُنسب إليه الثنوية(2) - وهو مذهب يعتقدون فيه خالقيْن ، أحدهما يخلق النورَ ، والآخر يخلق الظلمة - فوَلَدَ ديْصانُ هذا ابناً يقال له ميمون القدّاح(3) .

= وفى (نهاية الأرب للنويرى - فى الجزء الخاص بتاريخ الفاطميين ولا يزال مخطوطا -) قسم كبير من هــذا الكتاب ، وكذلك نقل ابن النــديم فى الفهرست ، ص ٢٦٤ - ٢٦٦ كلام ابن رزام بلفظه .

وعلى أساس الشكوك الشائعة فى هــذا النص كتب المحضر العباسى الأول (٤٠٢ = ١٠١١) بانكار النسب الفاطمى الذى ظل المرجع الموثوق به لكثير من المــؤرخين الطاعنين فى النســب الفاطمى ، وقد ناقش نص ابن رزام هذا (B. Lewis : Op. Cit. p. 55, 69)

(١) من البــراهين القوية التى يتذرع بها مؤيدو النسب الفــاطمى أن ديصانا هذا عاش ومات قبل ظهور الدعوة الاسماعيلية بنحو أربعة قرون ، يقــول البغدادى مثـلا (الفرق بيـن الفرق ، ص ٣٣٣) عند كلامه عن الأصول التى اجتمع عليها أهل السنة : « وقالوا بتـكفير كل متنبىء ســواء كان قبل الاســلام كزرادشت ويوداسف ومانى وديصان ومزفيــور ومزدك ، أو بعده كمسيلمة وسجاح الخ » ، أنظر أيضا : (الرازى : اعتقادات فرق المسلمين ، ص ٨٨) و (Mamour: Op. Cit. P. 30 - 42) وما به من مراجع ، و
O' Leary : A Short History of the Fatimid Khalifate. p. 18)

(٢) الثنوية مذهب قديم كان أتباعه يعتقدون أن للعــالم أصلين ، هما النور والظلمة ، والثنوية أربع فرق :

١ - المانوية أتباع مانى ، وكانوا يقولون ان النور والظلمة حيان .
٢ - والديصانية أتباع ديصان ، ويقولون ان النور حى والظلمة ميتة .
٣ - والمرتونية ، وهم يثبتون متوسطا بين النور والظلمة ويسمونه المعدل .
٤ - والمزدكية ، أتباع مزدك بن نامدان .

انظر تفصيل الكلام عن هذه الفرق فى : (الشهرستانى : الملــل والنحل ، ص ١٤٣ ، ١٤٧) و (الرازى : اعتقــادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٨٨ - ٨٩)

(٣) اختلفت الآراء اختلافا كبيرا عند بيان حقيقة ميمون القداح ، فكتاب السنة من مؤرخين وفقهاء ينكرون انتساب الدولة الفاطمية الى على وفاطمة ، ويؤكدون نسبتها الى ميمون القداح ، ويقولون انه كان فارسيا مجوسيا من الأهواز ، وانه تظاهر بالاســلام والتشيع والدعوة لآل البيت ، فقبض عليه وأودع ســجن الكوفة فى أواخر عهد المنصور ، وبعد خروجه من السجن ادعى أنه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفــر الصــادق ، الى أن نجحت دعوته فى عهد أولاده الخلفاء الفاطميين . انظر مثلا :

وإليه تُنسب الميمونية(١) ، وكان له مذهب فى الغلو ؛ فوُلد لميمون هذا ابنٌ يقال له عبد الله كان أخبثَ من أبيه ، وأعلم بالحيل ، فعمل أبوابا عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام ، وكان عارفاً عالماً بجميع الشرائع والسنن ، وجميع علوم المذاهب كلها ، فرتَّب ما جعله من المكر فى سبع دعوات ، يتدرج الإنسان من واحدة إلى أُخرى ، حتى ينتهى إلى الأخيرة ، فيبقى مُعرًّا عن جميع الأديان ، لا يعتقد غير التعطيل والإباحة ، ولا يرجو ثوابا ، ولا يخشى عقابا ، ويقول إنه على هدى هو وأهل مذهبه ، وغيرهُم ضالٌ مغفل .

= (الحمادى اليمانى : كشف أسرار الباطنية ، ص ١٦ - ٢٠) و (عبد القاهر البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨) و (عنان : الحاكم بامر الله ، ص ٣٣ ، ١٧٣) .

أما المراجع الاسماعيلية فترى أنه : لما آن لاسماعيل الأجل ... أوصى والده الصادق الأمين أن يقيم لولده حجبا ومستودعا ، كما أوصى هارون موسى أن يقيم لولده كفيلا ، فاقام له يوشع بن النون سترا عليه وحجابا له ، فسلمه - أعنى مولانا محمد بن اسماعيل - الى ميمون ابن غيلان بن بيدر بن مهران بن سليمان الفارسى - قدس الله روحه - فرباه وأخفى شخصه ، وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح ، وهو كفيل له ومستودع أمره ، وميمون من أولاد سلمان ، وسلمان من أولاد اسحق بن يعقوب أهل الاستيداع ، والقائمين بالبلاغ والابلاغ » ، اى أن ميمونا وابنه عبد الله من بعده كانا حاجبين ومستودعين لأسرار أولاد اسماعيل بن جعفر الصادق . انظر ص ٤٧ و ٤٩ من كتاب « زهر المعانى » الذى نشره أخيرا المستشرق Ivanow فى كتابه (.Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids"

وقد ناقش Ivanow فى كتابه هذا ، ص ١٣٣ و ١٥٣ و ٢٣٣ و٢٣٦ جميع الآراء والأقوال المتصلة بحقيقة شخصية ميمون القداح ، وخرج منها برأى يدافع عنه ، خلاصته أن قصة انتساب الفاطميين الى ميمون خرافة لا يؤيدها المنطق أو المراجع الاسماعيلية أو الحوادث التاريخية .

ويرى (Mamour : Op. Cit. p. 43, 92) أن ميمونا هو محمد بن اسماعيل نفسه ، أما (B. Lewis : Op. Cit. p. 44-65) فيرى أن عهد التكتم شهد نوعين من الأئمة : الأئمة المستودعون وينتسبون لميمون القداح ، والأئمة المستقرون وينتسبون لمحمد بن اسماعيل

(١) يفهم من النص أن الميمونية فرقة تنتسب لميمون القداح ، غير أن الشهرستانى ذكر فى (الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٧٣) أن الميمونية هم : « اصحاب ميمون بن خالد ، كان من العجاردة الا أنه تفرد عنهم باثبات أن القدر - خيره وشره - من العبد ... والقول بأن الله تعالى يريد الخير دون الشر ، وليس له مشيئة فى معاصى العباد .. وأن الميمونية يجيزون نكاح بنات البنات وبنات أولاد الاخوة والاخوات .. الخ » انظر أيضا : (الرازى : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٤٨) .

وكان عبد الله بن ميمون يريد بهذا فى الباطن أن يجعل المخدوعين أمة له يستمد من أموالهم بالمكر والخديعة ، وأما فى الظاهر فإنه يدعو إلى الإمام من آل البيت : محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ليجمع الناس بهذه الحيلة .

وكان عبد الله بن ميمون هذا أراد أن يتنبأ فلم يتم له ، وأصله من موضع بالأهواز[1] يعرف « بقورج العباس[2] » ، ثم نزل « عسكر مُكْرَم[3] » وسكن « ساباط » أبى نوح[4] فنال بدعوته مالا ، وكان يتستر بالتشيع والعلم ، وصار له دعاة ، فظهر ما هو عليه من التعطيل والإباحة والمكر والخديعة ، فثارت به الشيعة والمعتزلة[5] ، وكسروا[6] داره ، ففرّ إلى البصرة ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الأهوازى ، فادعى أنه من ولد عقيل[7] بن أبى

---

(1) يقال ان الأهواز جمع هوز ، وأصله حوز ، والحوز فى الأرضين أن يتخذها رجل ويبين حدودها فيستحقها فلا يكون لأحد فيها حق ، ولما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها لأنه ليس فى كلامهم حاء مهملة ، فاذا تكلموا بكلمة فيها حاء قلبوها هاء ، وقد كان اسمها فى أيام الفرس خوزستان ، ويقال فى رأى آخر انما كان اسمها بالفارسية الأخواز فعربت الى الأهواز ، والأهواز - كما قال ياقوت فى معجمه - سبع كور بين البصرة وفارس ، وذكرأنها فتحت على يد حرقوص بن زهير بتامير عتبة بن غزوان اياه ، سيره اليها فى أيام تمصيره البصرة وولايته عليها ، وقال البلاذرى : غزا المغيرة بن شعبة سوق الأهواز فى ولايته بعد أن شخص عتبة بن غزوان من البصرة فى آخر سنة ١٥ هـ أو أول سنة ١٦ فقاتله البيروان دهقانها ثم صالحه على مال ، ثم نكث فغزاها أبو موسى الأشعرى حين ولاه عمر البصرة بعد المغيرة ففتح الأهواز عنوة . انظر : (ياقوت : معجم البلدان) .

(2) لم أجد فى المراجع التى بين يدى تعريفا لموضع هذا البلد .

(3) عسكر مكرم بلد من نواحى خوزستان ، منسوب الى مكرم بن معزاء الحارث صاحب الحجاج بن يوسف ، وقد نسب اليها قوم من أهل العلم منهم العسكريان أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن اسماعيل بن زيد بن حكيم اللغوى ، أخذ عن ابن دريد وأقرانه ، والحسن ابن عبد الله أبوهلال العسكرى . انظر : (معجم البلدان لياقوت) .

(4) صيغة ابن النديم : « فنزل عسكر مكرم فكبس بها ، فهرب منها ، فنقضت له داران فى موضع يعرف بساباط أبى نوح ، فبنيت احداهما مسجدا ، والأخرى خراب الى الآن » .

(5) للتعريف بالمعتزلة وفرقها انظر مثلا : (الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٢٢ - ١٢٤) ، (الرازى : اعتقادات ، ص ٣٨ - ٤٥) .

(6) (ج) : « وكبسوا »

(7) لاحظ هذا النص حيث يقول ان عبد الله بن ميمون ادعى أنه من ولد عقيل ، والمقريزى هنا ينقل عن ابن رزام ، وعن نفس المرجع ينقل ابن النديم فى الفهرست ، ولكن صيغة الفهرست ص ٢٦٤ : « وسار الى البصرة ، فنزل على قوم من أولاد عقيل بن أبى طالب » وهى أوثق لأن ابن النديم ينقل نص ابن رزام بلفظه ، وقال النويرى نقلا عن أخى محسن ان عبد الله بن ميمون فر الى البصرة عند قبيلة باهلة من اتباع عقيل بن أبى طالب ، وعن عقيل وأخباره انظر : (ابن قتيبة : المعارف ، ص ٨٨) .

طالب ، وأنه يدعو إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ثم اشتهر خبره ، فطلبه العسكريون ، فهرب هو والحسين الأهوازى إلى سَلَمية ليخفى أمره بها ، فوُلد له بها ابن يقال له أحمد ، ومات عبد الله بن ميمون ، فقام من بعده ابنه أحمد هذا فى ترتيب الدعوة ، وبعث الحسين الأهوازى داعيةً إلى العراق ، فلقى حمدان بن الأشعث قَرْمَط[1] بسواد الكوفة .

ووُلد لأحمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح ولدان ، هما : الحسين ومحمد ـ المعروف بأبى الشلعلع[2] ـ ، ثم هلك أحمد ، فخلفه ابنه الحسين فى الدعوة ، فلما هلك الحسين بن أحمد خلفه أخوه محمد بن أحمد ـ المعروف بأبى الشلعلع ـ .

وكان للحسين[3] ابن اسمه سعيد ، فبقيت الدعوة له حتى كبر ، وكان قد بعث محمد هذا داعييْن إلى المغرب ، وهما ؛ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد ، وأخوه أبو العباس محمد بن أحمد بن محمد ، فنزلا فى قبيلتين من البربر ، وأخذا على أهلها .

---

(١) فى المراجع تفسيرات كثيرة لهذا اللفظ ، منها أن حمدان سمى بهذا الاسم لأنه كان يقرمط فى سيره اذا مشى ، أى يقارب بين خطواته ، ومنها أنه لقب بهذا اللقب لأنه كان احمر البشرة تشبيها له بالقرمد وهو الطوب الأحمر (الآجر) ، وأصل هذا اللفظ يونانى Keramidi انظر : (ابن مالك : المرجع السابق ، ص ١٨)و(متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ، ص ١٨٥ من الترجمة العربية)و(الجواليقى : المعرب ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥) ويرى البعض أن هذا اللفظ مأخوذ من « اقرمط » أى غضب أو عبس . انظر القاموس ، وممن يأخذ بهذا الرأى De lacy و (B. Lewis : Op. Cit. pp. 82-83) وعندهما أسباب للبرهنة على هذا الرأى

ويرى الأب انستاس مارى الكرملى عند شرحه لهذا اللفظ فى (العرشى : بلوغ المرام ، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١) أن هذه اللفظة « آرامية » (نبطية) من قرمطونا أى المدلس أو الخبيث أو المكار أو المحتال ، أو من (قرمطا) وهى التدليس أو الخبث أو المكر أو الاحتيال ، لما اشتهر عنهم من هذه الأمور ، ولا جرم أن هذه التسمية لم يتخذها الباطنية أو القرامطة أنفسهم ، بل نبذهم بها من لم يكن من نحلتهم »

ولاحظ أن ابن النديم ، ص ٢٦٥ يثبت اعتناق حمدان للمذهب فى عهد عبد الله بن ميمون ، أما نص المقريزى هنا فيفيد اعتناقه اياه فى عهد أحمد بن عبد الله بن ميمون .

(٢) رسم هذا اللفظ فى بعض المراجع بالغين المعجمة هكذا « الشلغلغ » ، كذلك اختلف المؤرخون عند ذكر من خلف ميمون من أولاده ، انظر قوائم النسب الميمونى كما رواها المؤرخون المختلفون فى : (B. Lewis : Op. Cit : p. 72-73) و (Mmour : Op. Cit. p. 40-41)

(٣) فى (الخطط ، ج ٢ ، ص ١٥٨) : « وكان لأحمد بن عبد الله ولد اسمه سعيد » .

وقد كان اشتهر أمرهم بسلمية ، وأيسروا ، وصار لهم أملاك كثيرة ، فبلغ خبرهم السلطان ، فبعث فى طلبهم ، ففرَّ سَعيد من سلمية يريد المغرب ، وكان على مصر يومئذ عيسى النوشرى(١) ، فدخل سعيد على النوشرى ونادمه ، فبلغ السلطانَ خبرُه ، وكان يتقَصَّى عنه ، فبعث إلى النوشرى بالقبض عليه ، فقرىء الكتاب وفى المجلس ابن المدبِّر(٢) ، وكان مؤاخياً لسعيد ، فبعث إليه يحذِّره ، فهرب سعيد ، وكبس النوشرى داره فلم يوجد ، وسار إلى الاسكندرية ، فبعث النوشرى إلى والى الاسكندرية بالقبض على سعيد ، ـ وكان رجلا ديلميا يقال له على بن وهسودان .

وكان سعيد خداعاً ، فلما قبض عليه ابن وهسودان قال :

« إنى رجل من آل رسول الله » .

فَرَقَّ له ، وأخذ بعض ما كان معه وخلاَّه ، فسار حتى نزل سجلماسة ـ وهو فى زىِّ

---

(١) عيسى النوشرى أول وال على مصر بعد زوال دولة بنى طولون ، دخلها بعد ولايته من قبل الخليفة المكتفى فى جمادى الآخرة سنة ٢٩٢ هـ ، ولما توفى المكتفى (ذو القعدة ٢٩٥) وتولى الخلافة المقتدر بالله اقر النوشرى على ولاية مصر ، وفى عهد عيسى قدم على مصر زيادة الله بن الأغلب أمير افريقية مهزوما من ابى عبد الله الشيعى فى شهر رمضان ٢٩٦ ، ونزل بالجيزة وأراد الدخول الى مصر فمنعه ، ووقعت بينهما مناوشات الى أن وقع الصلح بينهما على أن يعبر زيادة الله الى مصر وحده من غير جند ، فدخلها وأقام بها ، وقد مات عيسى بعد قليل فى شعبان ٢٩٧ وهو على امرة مصر ، ودفن بها (ويقول أبو المحاسن انه نقل الى دمشق فدفن بها) ، وكانت مدة ولايته على مصر خمس سنين وشهرين ونصف شهر (٢٩٢ ـ ٢٩٧ = ٩٠٥ ـ ٩١٠) انظر : (الكندى : الولاة والقضاة، ص ٥٢٨ ـ ٢٦٧) و (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٤٥ ـ ١٥٦) و (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥) .

(٢) هذا القول يبعث على الشك ، لأن ابن المدبر كان واليا على خراج مصر عندما قدم اليها احمد بن طولون ، وذلك فى سنة ٢٥٤ ، وقد كان بين الرجلين منافسات ومؤامرات كثيرة انتهت بعزل ابن المدبر عن خراج مصر ، وتولية ابن طولون على خراجها وصلاتها ، وقد كان فرار عبيد الله المهدى الى المغرب ومروره بمصر فى سنة ٢٩٥ هـ ، فليس من المعقول أن يكون احمد بن محمد بن المدبر هذا حيا حتى تلك لسنة ، ولا يؤيد رواية المقريزى هنا الا أن يكون هناك فى تلك السنة ابن مدبر آخر ، إنظر أخبار ابن المدبر التفصيلية فى : (البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، الصفحات المذكورة فى فهرس الأعلام) و (المقريزى : والخطط ، ج ٢ ص ١٠٥ ـ ١٠٦ و ١١٣) و (ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٣ ، ص ٤٣) و (الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢١٤) .

التجار - فتقرّب إلى واليها وخدمه ، وأقام عنده مدة ، فبلغ المعتضدَ[1] خبرُه ، فبعث فى طلبه ، فلم يقبض عليه والى سجلماسة ؛ فورد عليه كتابٌ آخر ، فقبض عليه وحبسه ؛ وكان خبره قد اتصل بأبى عبد الله الداعى - الذى تقدم ذكر خروجه هو وأخوه إلى البربر - ، فسار حينئذ بالبربر إلى سجلماسة ، وقتل واليها ، وأخذ سعيداً ، وصار صاحب الأمر ، وتسمى بعبيد الله ، وتكنى بأبى محمد ، وتلقب بالمهدى ؛ وصار إماما علويا من ولد محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق ؛ ولم يلبث إلا يسيرا حتى قتل أبا عبد الله الداعى ، وتملك البربر ، وقلع بنى الإغلب[2] ولاة المغرب .

قال :

« فعبيد الله - الملقب بالمهدى - : هو [سعيد][3] بن الحسين بن أحمد بن عبد الله ابن ميمون القداح بن ديْصان الثنوى الأهوازى ، وأصلهم من المجوس » .

قال :

أما سعيد هذا الذى استولى على المغرب ، وتسمى بعبيد الله ، فإنه كان بعد أبيه يتيما فى

---

(١) المعروف ان أباعبدالله الداعى وصل الى المغرب فى سنة ٢٨٨ هـ (انظر مايلى) ، فلما تغلب على افريقية أرسل يستدعى عبيد الله الذى وصل الى المغرب فى سنة ٢٩٥ - ٢٩٦ ، فلايعقل اذن ان يكون الخليفة العباسى الذى أرسل فى طلبه هو المعتضد ، لأنه حكم بين سنتى ٢٧٩ - ٢٨٩ = ٨٩٢ - ٩٠٢ ، انظر
(Zambaur : Op. Cit. p. 4) و (Lane-Poole : Op. Cit. p. 12)
والأرجح أن يكون من أرسل فى طلبه هو الخليفة المكتفى (٢٨٩ - ٢٩٥ = ٩٠٢ - ٩٠٨) أو الخليفة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ = ٩٠٨ - ٩٣٢) .

(٢) فى سنة ١٨٤ (٨٠٠ م) ولى ابراهيم بن الأغلب على افريقية من قبل هارون الرشيد وقد خلف هذا الوالى دولة من أسرته استقلت بالحكم ، وكان لها شأن عظيم ، فقد أنشأت لنفسها أسطولا كبيرا نشر نفوذها فى شواطىء البحر الأبيض المتوسط الاوربية ، وخاصة شواطىء ايطاليا وفرنسا وقورسيقة وسردينيا ، وافتتح هذا الاسطول جزيرة صقلية سنة ٢١٢ (٨٢٧) ، وضمها الى ملك الأغالبة ، وظل الأغالبة يحكمون افريقية نيفا وقرنا (١٨٤ - ٢٩٦ = ٨٠٠ - ٩٠٩) حتى ضعف أمرهم ، وحتى مهد ملك الادارسة فى المغرب الأقصى وانتشار المذهب الشيعى لنجاح الدعوة الفاطمية فى سنة ٢٩٦ - ٢٩٧ . انظر
(Lane-Poole: Op. Cit. p. 36-37) و (Zambaur : Op. Cit. p. 67)
و (دائرة المعارف الاسلامية : مادة أغالبة ، وما بها من مراجع) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (الخطط، ج ٢ ، ص ١٥٨) .

حجر عمه - الملقب بأبي الشلعلع - ، وكان على ترتيب الدعوة بعد أخيه ، فَرَتَّب أمرها لسعيد ؛ فلما هلك وكبر سعيد ، وصار على الدعوة ، وترتيب الدعاة والرياسة ، ظهر أمره ، وطلبه المعتضد ، فهرب إلى المغرب من سَلَمية .

ويقال إنه ترسَّم بالتعليم كى يخفى أمره ، وكان يقول عن محمد أنه ربيبٌ فى حجره ، وأنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وذلك لضعف أمره فى مبدئه ، ولذلك يقال عن محمد ابن عبيد الله « يتيم المعلم » .

وزعم آخر أن عبيد الله كان ربيبًا فى حِجْر بعض الأشراف ، وكان يطلب الإمامة ، فلما مات ادعى عبيد الله أنه ابنه ؛ وقيل بل كان عبيد الله من أبناء السوقة صاحب علم » .

انتهى ما ذكره الشريف .

قال :

ولم يدَّعِ سعيدٌ هذا - المسمى عبيد الله - نسباً إلى على بن أبي طالب إلا من بعد هربه من سلمية ، وآباؤه - من قبله - لم يدَّعوا هذا النسب ؛ وإنما كانوا يظهرون التشيع والعلم ، وأنهم يدعون إلى الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وأنه حيٌّ لم يمت .

وهذا القول باطل ، وباطنهم غير ظاهرهم ، وليس يُعرف هذا القول إلا لهم ؛ وهم أهل تعطيل وإباحة ، وإنما جعلوا علاقتهم بآل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باباً للخديعة والمكر .

ولم يتم لسعيد أمرٌ بالمغرب إلا أن قال : « أنا من آل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - » فتم له بذلك الحيلة والخديعة ، وشاع بين الناس أنه علوى فاطمى من ولد إسماعيل بن جعفر ، فاستعبدهم بهذا القول ، وخفى أمرُ مذهبه عليهم إلا من كشف له من خاصته ودعاته فى تعطيل البارىء ، والطعن على جميع الأنبياء ، وإباحة أنفس أممهم وأموالهم وحريمهم ، ومع ما كانوا يظهرون لم يكن لهم جسارة أن يذكروا لهم نسباً على منبر ، ولا فى مجمعٍ بين الناس ، سوى ما يشيعون أنهم من آل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بغير نسب ينتسبونه ، تمويهاً على العامة .

ولم يكن أحد من السلاطين المتقدمين كاشفهم فى أمر نسبهم احتقاراً منه بهم وببلدهم ، ولبعد ما بينهم من المسافة ، فجرى أمرهم على ما ذكرنا – منذ ملك سعيد المسمى بعبيد الله المغربَ إلى أن جلس نزار بن معدّ يعنى العزيز – بمصر .

ثم ملك فنّا خِسرو(١) بن الحسن الديلمى بغداد ، فقرّب ما بينهما من المسافة ، فجمع العلويين ببغداد ، وقال لهم :

« هذا الذى بمصر يقول إنه علوىٌّ منكم » .

فقالوا :

« ليس هو منا » .

فقال لهم .

« ضعوا خطوطكم » .

فوضعوا خطوطهم أنه ليس بعلوى ، ولا من ولد أبى طالب .

ثم أنفذ إلى نزار بن معد رسولًا يقول له :

« نريد نعرف ممن أنت ؟ » .

---

(١) فى الأصل : فناخسر ، وهو عضد الدولة أبو شجاع فناخسروا بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه الديلمى ، كانت مدة حكمه (٣٦٧ – ٣٧٢) ، اتسع ملكه حتى شمل ملك سابقيه من البويهيين ، وضم الى ذلك الموصل وبلاد الجزيرة ، وهو أول من خوطب بالملك فى الاسلام ، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ، وكان من القابه تاج الملة ، فلما صنف له أبو اسحاق الصابى كتاب التاجى فى أخبار بنى بويه أضافه الى هذا اللقب ، وكان عضد الدولة محبا للفنون مكرما لأهلها ، فقصده فحول الشعراء ومدحوه ، وخاصة المتنبى الذى وفد عليه وهو بشيراز فى جمادى الأولى سنة ٣٥٤ ، ومدحه بقصائد كثيرة كان آخرها قصيدته الكافية التى ودعه فيها وهى آخر شعر المتنبى ، وقد أنشأ فناخسرو البيمارستان العضدى ببغداد ، وفرغ من بنائه سنة ٣٦٨ ، وتوفى سنة ٣٧٢ ببغداد ، ودفن بدار الملك ، ثم نقل الى الكوفة ، ودفن بمشهد على بن أبى طالب . انظر : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ١٥٩ – ١٦٢) و (المقريزى : نحل عبر النحل ، نشر الشيال ، ص ٨٣ ، ٩٣ ، ٩٤) .

فعظم ذلك عليه ، فذكر أن قاضيه ابن النعمان[1] ساس الأمر ، لأنه كان يلي أمر الدعوة والمكاتبة فى أمرها ، فنسب نزارًا إلى آبائه ، وكتب نسبه ، وأمر به أن يقرأ على المنابر ، فقرىء على منبر جامع دمشق صدرُ الكتاب ، ثم قال :

نزار العزيز بالله بن معد المعز لدين الله ، بن إسماعيل المنصور بالله ، بن محمد القائم بأمر الله ؛ ابن عبيد الله المهدى ، بن الأئمة الممتحنين – أو قال المستضعفين – وقطع .

ثم إن رسول فَنَّا خسرو سار راجعا ، فقُتل بالسم فى طرابلس ، فلم يأتهم من بعده رسول ، وهلك فنَّا خسرو .

وذكر[2] أبو الحسين[3] هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابى ، وابنه غرس الدولة

---

(١) هو القاضى على بن النعمان بن حيون ، ولد فى رجب سنة ٣٢٨ بالمغرب ، وقدم مع المعز الى مصر ، فامره بالنظر فى الحكم ، فكان يحكم هو وأبو الطاهر (القاضى السابق) الى ان أصابه الفالج ، ففوض العزيز لابن النعمان الانفراد بالقضاء ، وكان ذلك فى سنة ٣٦٦ ، فاتبع فى أحكامه المذهب الاسماعيلى ، لا المذهب الشافعى، وهو أول من لقب بقاضى القضاة فى مصر ، توفى فى رجب سنة ٣٧٤ هـ ، وقد تولى عدد كبير من أسرته القضاء فى العصر الفاطمى . انظر : (الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٤٩٥ – ٤٩٧، ٥٨٩ – ٥٩١ ، ٥٩٢ – ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٦٠٣ ، ٦١٣) .

(٢) هذه الفقرة الطويلة المنقولة عن تاريخ الصابى ، وردت فى المتن بنسخة (ج) ، ولكنها لم ترد بالمتن فى نسخة الأصل وانما كتبت على ورقة صغيرة منفصلة ، وقدم لها بهذه الجملة « فى ورقة ملصوقة مكتوب فيها بخط المصنف فى هذا المحل مامقاله » ، ومنها يتضح أن كاتب هذه النسخة نقلها عن نسخة المؤلف التى كانت لا تزال فى مرحلة التاليف ، فكان يضيف اليها بين الحين والآخر اضافات من قراءاته يثبتها على بطاقات أو طيارات صغيرة ويشير بعلامة فى المتن الى أمكنة هذه الاضافات .

(٣) فى الأصل : « أبوالحسن » ، والتصحيح عن تاريخه المطبوع ، وقد ولد هلال سنة ٣٥٩هـ، وتوفى سنة ٤٤٨، جده أبو أبيه ابراهيم صاحب الرسائل ، انظر ترجمته فى (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٠ – ٢١) ، كان صابئا ، وكان أبوالمحسن صابئا كذلك ، أما هلال فقد أسلم متأخرا ، انظر قصة اسلامه سنة ٤٠٣ – كما ذكرها سبط بن الجوزى فى مرآة الزمان – فى أول كتابه المطبوع فى تاريخ الوزراء ، ولهلال التاريخ الذى ذيل به على تاريخ ثابت بن سنان ، وفيه يؤرخ للسنوات من ٣٦١ الى ٤٤٧ ، وذيل عليه ابنه غرس النعمة ، وكتاب الدولة البويهية وكتاب رسوم دار الخلافة ، وكتاب اخبار بغداد، وكتاب الوزراء ذيله على كتاب الجهشيارى .. الخ انظر : (القفطى فى ترجمته ثابت بن سنان) وقد طبع لهلال كتاب تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، بدأه بالكلام عن أبى الحسن على بن محمد بن موسى بن الفرات ، وانتهى فيه بالكلام –

محمد ـ فى تاريخهما ـ أن القادر بالله عقد مجلسا أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الحسين[1] ابن موسى بن محمد بن[1] إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ، وابنه أبا القاسم عليا المرتضى[2] ، وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء ، وأبرز إليهم أبيات الشريف الرضى[3] أبى الحسن محمد بن أبى أحمد الحسين التى أولها :

ما مُقامى على الهوانِ وعندى ... مِقْوَلٌ صارمٌ ، وأنفٌ حَمِىٌّ
وإباءٌ محلّقٌ بى عن الضَّيْمِ ، ... كما رَاغَ طائرٌ وَحْشِىٌّ
أىُّ عُذْرٍ له إلى المجدِ إن ذلَّ ... غلامٌ فى غمْدِه المَشْرَفىٌّ
أحمل الضَّيْمَ[4] فى بلادِ الأعادى ، ... وبمصرَ الخليفةُ العلوىُّ

=عن أبى الحســن على بن عيسى المتوفى ســنة ٣٣٤ هـ ، وطبع معه فى مجلد واحد الجزء الثامن من كتابه التواريخ ، وهو الجزء الوحيد الذى وجد من تاريخه وحـوادثه من ٢٩٩ الى ٣٩٩ ، وقد نشر الكتابين معا وقــدم لهما المستشرق آمدروز ، هذا ولم أعثر فى هذا الجزء من تاريخه على أثر لهذا الحادث المروى هنا لمقارنة النصين احدهما بالآخر .

(١) راجع : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٣٦٦) و (ابن تغـرى بردى : النجـوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٥٦ و ١٥٧ و ١٦٧ و ٢٢٣) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٤٢) .

(٢) أبو القاسم على الشريف المرتضى ، ولد ســنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٦ ، تولى نقــابة الطالبيين نيابة عن أبيه مدة حياته ، ثم وليها وحده فى سنة ٤٠٦ بعــد وفاة أخيه الشريف الرضى ، كان شاعرا مجيدا كأخيه ، وله ديوان ومؤلفات فى المذهب الشيعى ، ويقول ابن خلكان: وقد اختلف النــاس فى كتــاب نهج البـلاغة المجموع من كلام الامام على بن أبى طالب ، هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضى ، وقد قيل انــه ليس من كلام على وانما الذى جمعه ونسبه اليه هو الذى وضعه ، انظر :(ابن خلكان : الوفيات، ج ٢ ، ص ١٤ ـ ١٧) و (النجـوم الزاهرة ، ج ٣ و ٤ الصــفحات المذكورة فى الفهـرس) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٥٣) انظر ايضا بيــان مؤلفاته التى طبعت فى (معجم سركيس) .

(٣) أبوالحسن محمد الشريف الرضى ، ولد سنة ٣٥٩ وتوفى سنة ٤٠٦ ببغداد ، ولى نقابة الطالبيين والنظر فى المظالم والحج بالناس نيابة عن أبيه ، ثم وليها وحده سنة ٣٨٨ وأبوه حى، وكان شــاعرا ممتازا ، وله ديوان كبير طبع مرتين فى بيـروت ، وفى بمبــاى ، وقد راجعنا شــعره الوارد هنا على الطبعة الثانية . انظـر ترجمته بالتفصيل فى (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٧) و (النجوم الزاهرة ، ج ٣ و ٤ ، الصــفحات المــذكورة بالفهرس) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣ و ٤) .

(٤) فى الديوان : « البس الذل »

مَنْ أبوه أبي ، ومولاه مولا ى ، إذا ضامنى البعيدُ القَصِىُّ
لَفَّ عِرْقِى بعرقه سيدا النا سِ جميعا : محمدٌ وعلىٌّ
إنَّ جوعى بذلك الربْع شِبْعٌ وأُوامى بذلك الظِلِّ رِىٌّ
مِثْلُ مَنْ يركبُ الظلام وقد أسـ رى ومِنْ خلفه هِلالٌ مُضِىٌّ(١)

وقال الحاجب للنقيب أبى أحمد :

« قل لولدك محمد : أىُّ هوانٍ قد أقام فيه عندنا ؟ وأىُّ ضيم لقى من جهتنا ؟ وأىُّ ذلٍ أصابه فى مملكتنا ؟ وما الذى يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه ؟ أكان يصنع إليه أكثر من صنيعنا ؟ [ألم نوله النقابة ؟](٢) ألم نوله المظالم ؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أمير الحجيج ؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا ؟ ما نظنه كان يكون - لو حصل عنده - إلا واحدا من أبناء الطالبيين بمصر » .

فقال النقيب أبو أحمد :

« أما هذا الشعر فمما لم نسمعه منه ، ولا رأيناه بخطه ، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله إياه ، وعزاه إليه » .

فقال القادر :

« إن كان كذلك فليُكتب الآن محضر يتضمن القدح فى أنساب ولاة مصر ، ويكتب محمدٌ خطَّه فيه » .

فكتب محضرٌ بذلك ، شهد فيه جميعُ من حضر المجلس ، منهم : النقيب أبو أحمد ، وابنه المرتضى .

وحُمل المحضر إلى الرضىّ ليكتب فيه خطَّه ، حمله أبوه وأخوه ، فامتنع ، وقال : « لا أكتب ، وأخاف دعاة صاحب مصر » .

---

(١) توجد للقصيدة تتمة فى الديوان لم يذكرها المقريزى هنا .
(٢) مابين الحاصرتين زيادة عن ج .

وأنكر الشعر ، وكتب بخطه أنه ليس بشعره ، ولا يعرفه ؛ فأُجبره أبوه على أن يسطر خطَّه فى المحضر ، فلم يفعل ، وقال :

« أخاف دعاة المصريين وغلبتهم[1] ، فإنهم معروفون بذلك » .

فقال أبوه :

« يا عجبا ! أتخاف مَنْ بينك وبينه ستمائة فرسخ ، ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع ؟ »

وحلف أن لا يكلمه ، وكذلك المرتضى ، فعلا ذلك تقية وخوفا من القادر ، وتسكينا له .

فلما انتهى الأمر إلى القادر سكت على سوء أضمره له ، وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة ، وولاها محمد بن عمر النهرسابسى[2] .

(١) ج : « وغيلتهم »

(٢) عند هـذا اللفظ تنتهى الفقرة الملحقة بالورقة الاضافية .

وقال الإمام على بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزرى فى كتاب « الكامل فى التاريخ » !

ذكر
ابتداء الدولة العلوية بافريقية

هذه الدولة اتسعت أكناف مملكتها ، وطالت مدتها ، فنحتاج نستقصى ذكرها ، فنقول :

أول من ولى منهم : أبو محمد عبيد الله ، فقيل هو محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ؛ ومَنْ ينسبه هذا النسب يجعله : عبد الله بن ميمون القداح - الذى ينسب إليه القداحيه - .

وقيل هو عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثانى بن محمد بن إسماعيل بن جعفر - يعنى الصادق - ، وقد اختلف العلماء فى صحة نسبه(١) .

فقال : - هو وأصحابه القائلون بإمامته - إن نسبه صحيح ، ولم يرتابوا فيه . وذهب كثير من العلماء بالأنساب إلى موافقتهم أيضاً ، وشهد بصحة هذا القول ما قاله الشريف الرضى(٢) .

ما مُقَامى على الهوانِ ؟ وعندى   مِقْوَلٌ صارمٌ ، وأنفٌ حَمِىٌّ
أَلْبَسُ الذُلَّ فى بلادِ الأعادى !   وبمصرَ الخليفةُ العلوىُّ ؟
مَنْ أبوه أبى ، ومولاه مولا   ىَ إذا ضامنى البعيدُ القَصِىُّ
لفَّ عرقى بعرقه سيِّدا النا   سِ جميعاً : محمدٌ وعلىٌّ (٥ أ)
إنَّ ذُلِّى بذلك الحىِّ عزٌّ ،   وأُوامى بذلك الرَّبْعِ رِىٌّ

---

(١) ناقش موضوع النسب الفاطمى عدد كبير من المؤرخين القدامى والمحدثين ، راجع أحدث ماكتبه فى هذا الموضوع B. Lewis "The Origins of Ismailism"

(٢) يوجد فى هامش نسخة الأصل تعريف بالشريف الرضى ، هذا نصه :

« بخطه : الشريف الرضى أبوالحسن محمد بن أبى أحمد حسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين ابن على بن أبى طالب ، ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، ومات فى المحرم سنة أربع وأربعمائة » .

قال (أى ابن الأثير) :

إنما لم يودعها ديوانه خوفاً ، ولا حجة فيما كتبه فى المحضر المتضمن القدحَ فى أنسابهم ، فإن الخوف يحمل على أكثر من هذا ، على أنه قد ورد ما يصدِّق ما ذكرتُه ، وهو أن القادر بالله لما بلغته هذه الأبيات أحضر القاضى أبا بكر الباقلانى(1) ، وأرسله إلى الشريف أبى أحمد الموسوى – والد الشريف الرضى – يقول له :

« قد عرفتَ منزلك منا ، وما لا نزال عليه من صدق الموالاة ، وما تقدم لك فى الدولة من مواقف محمودة ، ولا يجوز أن تكون أنت على خليقة نرضاها ، ويكون ولدُك على ما يضادها ؛ ولقد بلغنا أنه قال شعرا ، وهو كذا وكذا ، فياليت شعرى على أى مُقام ٍ ذُلٍّ أقام ؟ وهو ناظرٌ فى النقابة والحج – وهما من أشرف الأعمال – ولو كان فى مصر لكان كبعض الرعايا » .

وأطال القول .

فحلف أبو أحمد أنه ما علم بذلك ، وأحضر ولده ، فقال له فى المعنى ، فأنكر الشعر ، فقال له :

« اكتب خطَّك إلى الخليفة بالاعتذار ، واذكر فيه أن نسبَ المصرى مدخول ، وأنه مدَّعٍ فى نسبه » .

فقال : « لا أفعل » .

فقال أبوه : « أتكذبنى فى قولى ؟ »

---

(1) هو أبوبكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلانى البصرىَ، كان أشعرى المذهب ومن أئمة علماء الكلام فى وقته ، وله تصانيف كثيرة ، (انظر بيانها فى : البداية والنهاية ، وبروكلمان) ، لم يطبع منها الا كتاب « اعجاز القرآن » ، ومن أهم كتبه التى لم تصلنا كتاب يتصل بموضوع هذا الكتاب وضعه للرد على الباطنيــة وعنــوانه : (كشف الأسرار وهتك الأستار) ، وقد نقل عنه ابن تغرى بردى فى (النجوم ، ج ٤ ، ص ٧٥) فقـرات تتضمن الطعن فى نسب الفاطميين ، وقد كان الباقلانى موفور الذكاء ، ويروى ابن كثير أن عضد الدولة بعثه فى رسالة الى ملك الروم ، وقــد بدرت منه أثناء رسالته بوادر عرف منها ملك الروم وفور همته وعلو عزيمته ، توفى سنة ٤٠٣ هـ . انظر : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ – ٢٧٩) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٥٠ – ٣٥١) و (ابن تغـرى بردى : النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٣٤) و « دائرة المعارف الاسلامية ، مادة الباقلانى ومابها من مراجع) .

فقال : « ما أكذِّبك ، ولكن أخاف الديلم ، وأخاف من المصرى ، ومن الدعاة التى له فى البلاد » .

فقال أبوه : « أتخاف مَنْ هو بعيد منك وتراقبه ، وتُسخط مَنْ أنت بمرأى منه ومسمع ، وهو قادر عليك وعلى أهل بيتك ؟ » .

وتردد القول بينهما ، ولم يكتب الرضىُّ خطَّه ، فحرد عليه أبوه وغضب ، وحلف أن لا يقيم معه فى بلد ، فآل الأمر إلى أن حلف الرضىُّ أنه ما قال هذا الشعر .

واندرجت القصة على هذا .

ففى(١) امتناع الرضىِّ من الاعتذار ، ومن أن يكتب طعناً فى نسبهم دليلٌ قوىٌّ على صحة نسبهم .

وسألتُ أنا جماعةً من أعيان العلويين عن نسبه فلم يرتابوا فى صحته .

وذهب غيرُهم إلى أن نسبه مدخولٌ ليس بصحيح ، وغلا طائفةٌ منهم إلى أن جعلوا نسبه يهودياً .

وقد كُتب فى الأيام القادرية محضرٌ يتضمن القدح فى نسبه ونسب أولاده ، وكتب فيه جماعةٌ من العلويين(٢) وغيرهم : أن نسبه إلى أمير المؤمنين على – كرمَّ الله وجهه – غير صحيح .

وزعم القائلون بصحة نسبه أن العلماء ممن كتب فى المحضر إنما كتبوا خوفاً وتقيةً ، ومن لا علم عنده بالأنساب فلا احتجاج بقوله .

وزعم الأمير عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شدَّاد بن تميم بن المعز بن باديس – صاحب تاريخ إفريقية والغرب – أن نسبه معرق فى اليهودية ، ونقل فيه عن جماعة من العلماء ، وقد استقصى ذلك فى ابتداء دولتهم وبالغ .

---

(١) الأصل « فبقى » ، والتصحيح عن ابن الأثير ، وبه يستقيم المعنى

(٢) ذكر (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٠) أسماء العلويين الذين وقعوا على المحضر ، فراجعها هناك وراجع كذلك (ابن كثير : البداية والنهـــاية ، ج ١١ ، ص ٣٤٦) و (ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٣٠ – ٢٣١) .

وأنا أذكر معنى ما قاله مع البراءة من عهدة طعنه فى نسبه ، وما عدّاه فقد أحسن فيما ذكر ، قال :

« لما بعث الله محمداً – صلى الله عليه وسلم – عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس وسائر العرب ، لأنه سفَّه أحلامهم ، وعاب أديانهم ، فاجتمعوا يداً واحدة عليه ، فكفاه الله كيدهم ، وأسلم منهم مَنْ هداه الله ، فلما قُبض – صلى الله عليه وسلم – نَجَمَ النفاقُ ، وارتدَّتْ العربُ ، وظنوا أن أصحابه يضعفون بعده ، فجاهد أبو بكر – رضى الله عنه – فى سبيل الله ، فقتل مسيلمة وأهل الردَّه ، ووطَّأ جزيرةَ العرب ، وغزا فارس والروم ، فلما حضرته الوفاة ظنوا أن بوفاته ينتقض الإسلام ، فاستخلف عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فأذَلَّ فارس والروم ، وغلب على ممالكهما ، فدسَّ عليه المنافقون أبا لؤلؤة فقتله ، ظنًّا منهم أن بقتله ينطفىء نور الإسلام ، فولى عثمان – رضى الله عنه – ، فزاد فى الفتوح ، فلما قُتل ولى على – رضى الله عنه – قام بالأمر أحسن قيام ، فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا فى وضع الأحاديث الكاذبة ، وتشكيك ضَعَفَةِ العقول فى دينهم ، بأمور قد ضبطها المحدثون ، وأفسدوا الصحيحَ بالتأويل والطعن عليه .

وكان أول مَنْ فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب – مولى بنى أسيد(1) ، وأبو شاكر ، ميمون بن ديْصان ، وغيرهما ، فألقوا إلى كل من وثقوا به أن لكل شىء من العبادات باطنا ، وأن الله لم يوجب على أوليائه ومَنْ عُرف [من] الأئمة والأبواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ، ولا حرَّم عليهم شيئا ، وأباحوا لهم نكاح الأمهات والأخوات ، وقالوا : هذه قيود للعامة ، وهى ساقطة عن الخاصة ، وكانوا يظهرون التشيع لآل النبى – صلى الله عليه وسلم – ليستروا أمرهم ، ويستميلوا العامة .

---

(1) كذا فى الأصل ، وعند ابن الأثير : « بنى أسد » ، انظر تفصيل الحديث عن ابن الخطاب وعن الخطابية فى : (الكشى : معرفة الرجال ، ص ١٨٧ – ١٩٩) و (الرازى : اعتقادات المسلمين ، ص ٥٨) و (النوبختى : فرق الشيعة ، ص ٤٢ و ٤٤ و ٦٩) . (B. Lewis : Op. Cit. p. 32-43) و (الاسفراييني : التبصير فى الدين ، ص ٧٣ – ٧٤) . و (المقريزى : الخطط ، ج ٤ ص ١٧٤ – ١٧٥) .

وتفرق أصحابُهم فى البلاد ، وأظهروا الزهد والعبادة ، يغرون الناس بذلك وهم على خلافه ، فقُتل أبو الخطاب وجماعةٌ من أصحابه بالكوفة ، وكان أصحابه قالوا له : « إنا نخاف الجندَ » فقال لهم : « إن أسلحتهم لاتعمل فيكم » .

فلما ابتدأوا فى ضرب أعناقهم ، قال له أصحابه :

« ألم تقل إن سيوفهم لاتعمل فينا ؟ »

فقال : « إذا كان قد بدا لله فما حيلتى ؟ »

وتفرقت هذه الطائفة فى البلاد ، وتعلموا الشَّعْبَذَة(1) ، والنارنجيات(2) ، والنجوم ، والكيمياء ؛ فهم يحتالون على كل قوم بما ينفق عليهم ، وعلى العامة بإظهار الزهد .

ونشأ لابن دَيْصان ابنٌ يقال له « أبو عبد الله القداح(3) » علَّمه الحِيَل ، وأطلعه على أسرار هذه النحلة ، فحذق وتقدم .

وكان بنواحى أصبهان(4) رجلٌ يُعرف بمحمد بن الحسين ، ويلقب بدندان(5) ، يتولى

---

(1) يقال شعوذ وشعبذ ، والشعوذة أو الشعبذة خفة فى اليد ، وأخذ كالسحر ، يرى الشىء بغير ما عليه أصله فى رأى العين ، وهو مشعوذ ومشعوذ ، والشعوذى رسول الأمراء على البريد (القاموس) .

(2) النارنجيات أو النيرنجيات عرفها (Dozy : Supp. Dict. Arab) بأنها الرقى أو الطلاسم أو السحر (enchantements) ، وجاء فى القاموس أن النيرنج أخذ كالسحر وليس به ، انظر الفصل الذى عقده (ابن النديم فى الفهرست ، ص ٤٢٩ – ٤٣٥) عن أخبار المعزمين والمشعبذين والسحرة ، وأصحاب النارنجيات والحيل والطلسمات .

(3) كذا فى الأصل وفى ج ، وعند ابن الأثير « عبد الله القداح » .

(4) جاء فى (معجم البلدان لياقوت) نقلا عن حمزة بن الحسن أن أصبهان اسم مشتق من الجندية لأنه اذا رد الى أصله بالفارسية كان « أسباهان » ، وهي جمع أسباه أى الجند ، ويقال لها أيضا أصفهان ، وقد اختلفت الروايات عند ذكر السنة التى فتحها فيها المسلمون ، فهى سنة ١٩ أو ٢١ أو ٢٣ ، انظر أخبارها بالتفصيل فى : (أبو نعيم : أخبار أصفهان ، جزءان) و(دائرة المعارف الاسلامية ، مادة أصفهان ومابها من مراجع) .

(5) فى الأصل : « ديدان » ، وقد اختلفت المراجع فى رسم هذا الاسم ، فهو زيدان ، وزندان ، وذيذان ... الخ ، كذلك اختلفت المراجع السنية والشيعية عند التعريف به ، فهو فى المراجع السنية : محمد بن الحسين الملقب بدندان أو ذيذان ، كان رجلا ثريا يعيش بنواحى كرخ وأصفهان ، كما كان فارسيا شعوبيا ، كارها للعرب ، اجتمع وعبد الله بن ميمون فى سجن

تلك المواضع ، وكان يبغض العرب ، ويجمع مساويهم ، فسار إليه القداح ، وعرَّفه من ذلك مازاد به محله ، وأشار إليه أن لا يُظهر ما فى نفسه ويكتمه ، ويظهر التشيع والطعن على الصحابة ، فاستحسن قولَه ، وأعطاه مالًا ينفقه على الدعاة إلى هذا المذهب ، فسيَّر دعاته إلى كُوَر الأَهْوَاز ، والبصرة ، والكوفة ، والطالقان[1] ، وخراسان ، وسَلَمِيةَ من أرض حِمصْ .

وتوفى القَدَّاح ودَنْدَان ، فقام من بعد القدَّاح ابنهُ أحمد ، وصحبه انسانٌ يقال له أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج[2] بن حوشب بن زاذان النجار ، من أهل الكوفة ، وألقى إليه مذهبه فقبله ، وسيرَّه إلى اليمن ، وأمره بلزوم العبادة والزهد ، ودعا الناس إلى المهدى ، وأنه خارج

= والى العراق حيث أسسا مذاهب الباطنية ، ثم قدم دندان لعبد الله ألفا ألف دينار ليصرف منها على نشر الدعوة ، ثم بدأ دندان ينشر دعوته فى منطقة الجبل ، فتبعه جماعة من الأكراد ، انظر (الفهرست لابن النديم ، ص ٢٦٧) و (البغدادى: الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٠) و (الاسفرايينى: التبصير فى الدين ، ص ٨٣) .. الخ

وهو فى المراجع الشيعية أبو جعفر أحمد بن الحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد بن مهران من الأهواز ، وكان من الغلاة ، وله تصانيف كثيرة ، وكان أبوه الحسين من الثقات، روى الكثير عن على الرضا (٢٠٢ = ٨١٧) ومحمد الجواد (٢٢٠ = ٨٣٥) وعلى الهادى (٢٤٥ = ٨٦٨) ، وهو أصلا من الكوفة ، ثم رحل الى الأهواز حيث ولد له أحمد ، ثم ارتحل الى قم حيث مات بها . انظر مثلا : (الفهرست للطوسى ، ص ٢٦ ، ١٠٤) و (ابن شهراشوب: معالم العلماء ، ص ١٠ و٣٥) ، ولتوضيح حقيقة دندان انظر :
(Lewis : Op. Cit. p. 12, 56-58, 69-71) :

(١) الطالقان بلدتان احداهما بين قزوين وأبهر ، والثانية بخراسان بين مرو الروز وبلخ ، ولعل الثانية هى التى يقصدها النص هنا . انظر (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) فى ابن الاثير : « ابن الحسين بن حوشب بن دادان » ، وهناك اختلافات كبيرة عند ذكر اسمه فى المراجع المختلفة ، كما يتبين عند مقارنة نصى الأصل وابن الأثير ، وهو فى الخطط للمقريزى : « أبو القاسم الحسين بن فرج بن حوشب الكوفى » ويسمى أيضا منصور اليمن ، ويرى (Kay: Op. Cit. P. 323) أن هذه الكنية ليست جزءا من اسمه الحقيقى ، وانما هى صفة يقصد بها أنه الرجل الذى انتصر على يده المذهب فى اليمن ، وقد ذكر (البهاء الجندى : تاريخ القرامطة الملحق بتاريخ اليمن لعمارة ، ص ١٤١) ـ نقلا عن ابن الجوزى ـ أن ابن حوشب وصل مع على بن الفضل الى اليمن فى سنة ٢٧٩ ، وقد قارن(Kay: P. 225) نصوص المراجع المختلفة وأثبت أنهما وصلا الى اليمن سنة ٢٦٨ ، وقد روى (الجندى ، ص ١٥٠) أن ابن حوشب توفى سنة ٣٠٢ بعد وصوله بأربع وثلاثين سنة ، انظر أيضا : (ابن مالك : كشف أسرار الباطنية ، ص ٢٢ ـ ٢٨) و (Kay : Op. Cit. P. 191, 282 etc.)

فى هذا الزمان، فنزل بعدن بقرب قوم من الشيعة يعرفون ببنى موسى، فأظهر أمره، وقرَّب أمر المهدى، وأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح.

واتصلت أخباره بالشيعة الذين بالعراق، فساروا إليه، وكثر جمعهم، وعظم بأسُهم، وأغاروا على مَنْ جاورهم، وسبوا، وجبوا الأموال، وأرسل إلى من بالكوفة من ولد القداح هدايا عظيمة.

وأوفدوا إلى المغرب رجلين: أحدهما الحلوانى، والآخر أبو سفيان[1]، وقالوا لهما:

«إن المغرب أرض بور، فاذهبا فأحرثا حتى يجىء صاحبُ البذر».

فسارا، ونزل أحدهما بأرض كتامة، فمالت قلوب أهل تلك النواحى إليهما، وحملوا إليهما الأموال والتحف، فأقاما سنين كثيرة وماتا، وكان من إرسال أبى عبد الله الشيعى إلى المغرب ما كان.

فلما توفى عبد الله بن ميمون القداح ادَّعى ولدُه أنه من ولد عقيل بن أبى طالب، وهم مع هذا يسترون أمرهم، ويخفون أشخاصهم.

وكان ولده أحمدَ هو المشار إليه منهم، فتوفى وخلَّف ولدَه محمداً، ثم توفى محمد وخلَّف أحمدَ والحسين، فسار الحسين إلى سلمية، وله بها ودائع من جهة جده عبد الله القداح، ووكلاء وغلمان.

وبقى ببغداد من أولاد القداح أبو الشلعلع، وكان الحسين يدَّعى أنه الوصىُّ وصاحبُ الأمر، والدعاة باليمن المغرب يكاتبونه، واتفق أنه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية،

---

(١) يوجد بالهامش فى نسخة الأصل ونسخة (ج) تعريف بالحلوانى وأبى سفيان منقول عن المؤلف وخطه، ونصه: «بخطه: الحلوانى وأبوسفيان أنفذهما جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب — عليهم السلام — الى بلاد المغرب فى سنة خمس وأربعين ومائة، وقال لهما: انكما تدخلان أرضا بورا لم تحرث قط، فاحرثاها وكرماها وذللاها حتى يأتى صاحب البذر، فيضع فيها حبه، فنزل أبوسفيان من أرض المغرب مدينة مرماجنة، ونزل الحلوانى بموضع يسمى سوق حماد، فلم يزالا يدعوان الناس لطاعة آل البيت حتى استمالا قلوب جمع كثير من كتامة وغيرها الى محبة آل البيت، وصاروا شيعة لهم الى أن دخل اليهم صاحب البذر أبو عبد الله الشيعى بعد مائة وخمس وثلاثين سنة، وكان من أمره ماكان».

فوصفوا له امرأة رجل يهودى حداد مات عنها زوجها [وهى فى غاية الحسن](١) ولها ولد من الحداد يماثلها فى الجمال ، فأحبها وحسن موقعها منه ، وأحب ولدها ، وأدَّبه وعلمه ، فتعلم العلم ، وصارت له نفس عظيمة ، وهمة كبيرة ، فمن العلماء من أهل هذه الدعوة مَنْ يقول إن الإمام الذى كان بسلمية ـ وهو الحسين ـ مات ولم يكن له ولد ، فعهد إلى ابن اليهودى(٢) الحداد

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ج)

(٢) اعتاد المؤرخون السنيون أن يرددوا هذا الرأى القائل بانتساب الفاطميين الى أصل يهودى ، وترداد هذا الرأى ـ الى جانب القول بانتمائهم الى ميمون القداح ـ دليل قوى على بعده عن الحقيقة ، وعلى أنه وضع لتجريح الفاطميين والتشكيك فى صحة نسبهم ، مما دفع
(Lacy O'Leary : The Fatimid Caliphate, p. 33-34)
أن يسمى هذا الرأى « الخرافة اليهودية The Jewish Legend » ، وقد اتخذت هذه الخرافة فى تلك المراجع أشكالا أربعة :

١ ـ أول اشارة اليها توجد فى (ابن مالك : كشف أسرار الباطنية ، ص ١٧ ومابعدها) ، وقد نقلها عنه باختصار (الجندى : أخبار القرامطة ، ص ١٤٠) ، وخلاصة رأى ابن مالك أن عبد الله بن ميمون « كان يعتقد اليهودية ويظهر الاسلام ، وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة سلمية ، وكان من أحبار اليهود ، وأهل الفلسفة ، وكان صائغا يخدم شيعة اسماعيل ابن جعفر الصادق ، وكان حريصا على هدم الشريعة المحمدية .. الخ » .

٢ ـ وتروى بعض المراجع الأخرى . انظر مثلا (Maqrizi, Quatremere p. 115) و (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨) و (أبوالفدا ، ج ٢ ص ٦٣ ـ ٦٤) نفس الرواية المذكورة هنا فى المتن ، وخلاصتها أن الحسين ـ من نسل ميمون ـ وقد تزوج امرأة يهودى وتبنى ولدها ، ونقل اليه الدعوة ، وقد روى هذه القصة أيضا عبد العزيز بن شداد ، ورواها منسوبة الى القاضى عبد الجبار البصرى كل من (أبى المحاسن : النجوم ، ٤ ، ص ٧٥) و (السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص ٣) .

٣ ـ أما الشكل الثالث لهذه الرواية فيتلخص فى أن سعيدا كان ابنا لجارية من جوارى جعفر الصادق ، وقد أولدها اياه رجل يهودى كان يحبها . انظر : (ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٥٨) .

٤ ـ أما الشكل الرابع فيتلخص فى أن سعيدا قتل فى سجنه بسلمية ، وحفظا للدعوة أظهر أبو عبد الله ـ مكان سعيد ـ عبدا يهوديا ، ونادى به خليفة . انظر :
(Maqrizi, Quatermere, p. 108)

ومن الواضح أن هذا الاختلاف فى الروايات دليل آخر على ضعف هذه القصة وبعدها عن الصحة ، ويرى (B.Lewis:Op.Cit.P.68) أن استعانة الفاطميين باليهود وتوليتهم الوظائف الكبرى فى الدولة مما دفع أعداءها الى ابتداع هذه القصة ، واتهامهم بالانتماء الى أصل يهودى ، ويؤيد لويس رأيه هذا بأن ابن مالك ـ وهو أول راو لهذه القصة ـ كان يعيش فى عهد المستنصر ، وقد تولى الوزارة فى عهد هذا الخليفة اثنان من اليهود ، هما : ابن سهل التسترى ، وصدقة الفلاحى . انظر: (ابن =

– وهو عبيد الله – ، وعلّمه أسرار الدعوة من قول وفعل ، وأين الدعاة ، وأعطاه الأموال والعلامات ، وتقدّم إلى أصحابه بطاعته وخدمته ، وأنه الإمام والوصيّ ، وزوّجه ابنةَ عمه أبي الشلعلع ، وجعل لنفسه نسبا ، وهو :

عبيد الله بن الحسين بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب .

وبعض الناس يقول : إن عبيدَ الله هذا من ولد القداح » .

وقال [أى ابن الأثير] : هذه الأقوال فيها ما فيها ، فياليت شعرى ، ما الذى حمل أبا عبد الله الشيعى وغيره ممن قام فى إظهار هذه الدعوة حتى (٥ ا) يخرجوا الأمر من أنفسهم ويسلموه إلى ولد يهودى ؟! وهل يسامح نفسه بهذا الأمر [مَنْ] يعتقده دينا يُثاب عليه ؟!

قال : فلما عهد الحسين إلى عبيد الله قال له : إنك ستهاجر بعدى هجرةً بعيدة ، وتلقى محنا شديدة » فتوفى الحسين ، وقام بعده عبيد الله ، وانتشرت دعوته ، وأرسل إليه أبو عبد الله رجالا من كتامة من المغرب ليخبروه بما فتح الله عليه ، وأنهم ينتظرونه .

وشاع خبرُه عند الناس أيام المكتفى ، فطُلب ، فهرب هو وولده أبو القاسم – الذى ولى بعده وتلقب بالقائم – وهو يومئذ غلام ، وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب ، وذلك أيام زيادة الله بن الأغلب . » .

انتهى ما ذكره ابن الأثير .

قال المؤلف (١) – رحمة الله عليه – : وأما المحضر فنسخته :

« هذا ما شهد به الشهود :

= منجب الصيرفى : الاشارة الى من نال الوزارة ص ١٩ – ٢٣ و ٣٧ و ٥٢) و (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨٦) ، فاثار هذا العمل شعور المسلمين ، ولايعتمد لويس عند ابداء رايه هذا على استقراء الحوادث فقط ، وانما يستعين بقول ابن مالك نفسه (ص ١٩ – ٢٠) وهو ، «والدليل على انهم من اليهود استعمالهم اليهود فى الوزارة والرياسة ، وتفويضهم اليهم تدبير السياسة ، مازالوا يحكمون فى دماء المسلمين وأموالهم ٠٠ الخ » ٠

(١) ج : « قال كاتبه »

أن معدَّ بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد يُنسب إلى ديصان بن سعيد الذى تُنسب إليه الديصانية .

وأن هذا الناجم بمصر هو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم ـ حكم الله عليه بالبوار والخزى والدمار ـ ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد ـ لا أسعده الله ـ .

وأن مَنْ تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس ـ عليهم لعنة الله ولعنةُ اللاعنين ـ أدعياءُ خوارج، لانسب لهم فى ولد على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ :

وأن ما ادعوه من الانتساب إليه زور وباطل .

وأن هذا الناجم فى مصر ـ هو وسلفه ـ كُفَّار ، فساق ، زنادقة ، ملحدون ، معطلون ، وللإسلام جاحدون ، أباحوا الفروج ، وأحلُّوا الخمور ، وسبُّوا الأنبياء ، وادعوا الربوبية » .

وفى آخره : « وكتب فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة » .

وقال العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون(1) فى كتاب : « العبر وديوان المبتدأ والخبر » :

ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين فى العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة ، من نفيهم عن أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ والطعن فى نسبهم إلى إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق ، يعتمدون فى ذلك على أحاديث لُفقت للمستضعفين من خلفاء بنى العباس ، تزلفًا إليهم بالقدح فيمن ناصبهم ، وتفننا فى الشمات بعدوهم ، حسب ما تذكر بعض هذه الأحاديث فى أخبارهم ؛ ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات ، وأدلة الأحوال التى اقتضت

(1) من المعــروف أن المقريزى كان تلميذا لابن خلدون ، وقد تأثر به تأثرا كبيرا . انظر (مقدمة اغاثة الأمة للمقريزى نشر الدكتورين زيادة والشيال) ، وهو هنـا ينقل عنه دفاعـه عن الفاطميين وتأييده لصحة نسبهم ، غير أن (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨) يقـول : « والعجب أن صاحبنا المقريزى كان يفرط فى تعظيم ابن خلـدون ، لكونه كان يجزم بصحة نسب بنى عبيد الى على ، ويخالف غيره فى ذلك ، ويدفع ما نقـل عن الأئمة من الطعن فى نسبهم، ويقول : انماكتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العبـاسى ، وكان صاحبنا ـ أى المقريزى ـ ينتمى الى الفـاطميين ، فأحب ابن خلدون لكونه أثبت نسبهم ، وغفل عن مراد ابن خلدون ، فانه كان لانحرافه عن آل على يثبت نسب الفاطميين اليهـم لمـا اشتهر من ســوء معتقد الفاطميين ، وكون بعضهم نســب الى الزندقة وادعى الالهية ..الخ » انظر أيضا : (السخاوى: الاعلان بالتــوبيخ ، ص ٩٤) و (عنان : ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكرى) .

خلاف ذلك من تكذيب دعواهم ، والرد عليهم ، فإنهم متفقون فى حديثهم عن مبدأ دولة الشيعة أن أبا عبد الله المحتسب لما دعا - بكتامة - للرضى من آل محمد ، واشتهر خبره ، وعلم تحويمه على عبيد الله المهدى ، وابنه أبى القاسم خشياً على أنفسهما ، فهربا من المشرق - محل الخلافة - ، واجتازا بمصر .

وأنهما خرجا من الاسكندرية فى زىّ التجار ، ونُمى خبرهُما إلى عيسى(١) النوشرى - عامل مصر - فسرّح فى طلبهما الخيَّالةَ ، حتى إذا أدركا خفى حالهما على تابعهما بما لبسوا من الشارة والزىّ ، فأقبلوا إلى المغرب .

وأن المعتضد أوعز إلى الأغالبة - أمراء إفريقية بالقيروان - ، وبنى مدرار(٢) - أمراء سجلماسة - بأخذ الآفاق عليهما ، وإذكاء العيون فى طلبهما ، فعثر اليسع(٣) - صاحب سجلماسة ابن آل مدرار - على خفىّ مكانهما ببلده ، واعتقلهما مرضاة للخليفة .

هذا قبل أن تظهر الشيعة على الأغالبة بالقيروان .

ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بإفريقية والمغرب ، ثم باليمن ، ثم بالاسكندرية ، ثم بمصر والشام والحجاز ؛ وقاسموا بنى العباس فى ممالك الإسلام شق الأُبْلُمَةَ(٤) ، وكادوا(٥) يلجون عليهم مواطنهم ، ويديلون من أمرهم .

---

(١) الأصل : «موسى» ، وهو خطأ واضح .

(٢) بنو مدرار أمراء سجلماسة حكموا هذه المدينة قرنين من الزمان (١٥٥ - ٣٥٢ = ٧٧٢ - ٩٦٣) الا ثلاث فترات استولى فيها الفاطميون على هذه المدينة ، المرة الاولى فى ٢٩٦ ولبثوا فيها الى ٢٩٨ ، وكان ذلك فى عهد اليسع الثانى المستنصر ، والمرة الثانية فى سنة ٣٠٩ فى عهد أحمد بن ميمون ، والمرة الثالثة فى سنة ٣٤٧ وهى آخر سنة من حكم محمد الشاكر لله . انظر : (Zambaur : Op. Cit. p. 64-65)

(٣) هو اليسع الثانى المستنصر ثامن حكام سجلماسة من آل مدرار ، حكمها بين سنتى (٢٧٠ - ٢٩٦ = ٨٨٣ - ٩٠٩) ، وهو الذى قبض على عبيد الله المهدى واودعه السجن الى أن أطلق سراحه واستولى على المدينة أبو عبد الله الشيعى .

(٤) شق الأبلمة أى نصفين

(٥) فى الأصل : « وكانوا » وماهنا صيغة ابن خلدون .

ولقد أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الأمير البساسيرى[1] - من موالى الديلم المتغلبين على خلفاء بنى العباس - فى مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم ، وخطب لهم على منابرها حولا كاملا .

وما زال بنو العباس يغصّون بمكانهم ودولتهم ، وملوك بنى أُميه - وراء البحر - ينادون بالويل والحرب منهم .

وكيف يقع هذا كله لدعيٍّ فى النسب ، يكذب فى انتحال الأمر ؟ !

واعتبر حال القرمطى إذ كان دعيًّا فى انتسابه ، كيف تلاشت دعوتُه ، وتفرَّق اتباعُه ، وظُهر سريعا على خبثهم ومكرهم ، فساءت عاقبتُهم ، وذاقوا وبال أمرهم ، ولو كان أمرُ العبيدين كذلك لعُرف ولو بعد مهلة .

(٦ - ب) فمهما تَكُنْ عند امرئٍ من خليقةٍ وإنْ خالها تَخْفَى على الناسِ تُعْلَمِ

فقد اتصلتْ دولتُهم نحوا من مائتين وسبعين سنة ، وملكوا مقام إبراهيم ومصلاه ، وموطن الرسول ومدفنه ، وموقف الحجيج ، ومهبط الملائكة ، ثم انقرض أمرهم وشيعتهم فى ذلك كله على أتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم[2] ، والحب فيهم ، واعتقادهم بنسب الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق .

ولقد خرجوا مرارا - بعد ذهاب الدولة ودروس أثرها - داعين إلى بدعتهم ، هاتفين بأسماء صبيان من أعقابهم ، يزعمون استحقاقهم للخلافة ، ويذهبون إلى تعيينهم بالوصية ممن سلف قبلهم من الأئمة ، ولو ارتابوا فى نسبهم لما ركبوا أعناق الأخطار فى الانتصار لهم ، فصاحب البدعة لا يلبس [فى] أمره ، ولا يشبه فى بدعته ، ولا يكذب نفسه فيما ينتحله .

---

(١) هو أبوالحارث أرسلان - الملقب بالمظفر - البساسيرى ، وهذا الاسم نسبةشاذة الى المدينة الفارسية « بسا » أو (فسا) . انظر (ياقوت : معجم البلدان) ، وكان البساسيرى أحد القواد العباسيين آخر أيام بنى بويه ، ثم حدث نزاع بينه وبين ابن مسلمة وزير الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، لأنه طلب مساعدة السلاجقة للتخلص من بنى بويه ، فلما دخل طغرل بك بغداد سنة ٤٤٧ (١٠٥٥ م) اضطر البساسيرى الى الفرار ، ثم كاتب الخليفة المستنصر الفاطمى، فأمده هذا بالمال والسلاح ، وفى سنة ٤٥٠ (١٠٥٨ م) دخل بغداد ظافرا ، وأقام الخطبة للمستنصر ، وبعث البشائر الى مصر ، وفى سنة ٤٥١ تغلب عليه ثانية طغرل بك وقتله ، وأعاد الخطبة للخليفة العباسى ، انظر تفصيل هذه الثورة وأخباره فى (النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٥ - ١٢) و (الوفيات لابن خلكان ، ج ١ ، ص ١٠٧) و (دائرة المعارف الاسلامية) .

(٢) فى الأصل : « الصاغية اليهم » ، وما هنا عن ابن خلدون .

والعجب فى القاضى أبى بكر الباقلانى - شيخ النظار من المتكلمين - يجنح إلى هذه المقالة المرجوحة ، ويرى هذا الرأى الضعيف ، فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد فى الدين ، والتعمق فى الرافضية ، فليس ذلك بدافع فى صدد بدعتهم ، وليس إثبات منتسبهم بالذى يغنى عنهم من الله شيئاً فى كفرهم ، وقد قال تعالى لنوح - عليه السلام - فى شأن ابنه : « إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّه عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ »(١) [و] قال - صلى الله عليه وسلم - لفاطمة يعظها : « يا فاطمة : اعملى ، فلن أغنى عنك من الله شيئاً » .

ومتى عرف أمرؤ قضيةً ، أو استيقن أمرًا ، وجب عليه أنْ يصدع به « واللهُ يَقُولُ الحقَّ وَهُوَ يَهْدِى السبيلَ »(٢) .

والقومُ كانوا فى مجالٍ لظنون الدول بهم ، وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم ، وانتشارهم فى القاصية بدعوتهم ، وتكرر خروجهم مرةً بعد أخرى ، فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ، ولم يكادوا يُعرفون . كما قيل :

فلو تسألُ الأيامُ ما اسمى مَا دَرَتْ وأين مكانى ؟ ما عَرَفْنَ مَكَانِيَ

حتى لقد سُمى محمدُ بن إسماعيل الإمام - جد عبيد الله المهدى - بالمكتوم ، سمتّه بذلك شيعتُهم لما اتفقوا عليه من اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم ، فتوصَّل شيعة آل العباس بذلك عند ظهورهم إلى الطعن فى نسبهم ، وازدلفوا بهذا الرأى الفائل(٣) إلى المستضعفين من خلفائهم ، وأعجب به أولياؤهم وأمراءُ دولتهم ، المتولون لحروبهم مع الأعداء ، يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معرَّةَ العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتاميين - شيعة العبيديين وأهل دعوتهم - ، حتى لقد أسجل القضاة ببغداد بنفيهم من هذا النسب ، وشهد بذلك من أعلام الناسَ جماعةٌ ، منهم :

---

(١) السورة ١١ ، الآية ٤٦ .

(٢) السورة ٤ ، الآية ٣٣ .

(٣) الرأى الفائل أى الخاطىء أو الضعيف ، فقد جاء فى القاموس : « قال رأيه يفيل فيولة وفيلة أخطأ وضعف » .

الشريف الرضى (١) .

وأخوه المرتضى (٢) .

وابن البطحاوى .

ومن العلماء :

أبو حامد الاسفراييني (٣) .

والقدورى (٤) .

والصيمرى (٥) .

(١) أبو الحسن محمد الشريف الرضى ، ولد سنة ٣٥٩ ، وتوفى سنة ٤٠٦ ببغداد ، ولى نقابة الطالبيين والنظر فى المظالم والحج بالناس نيابة عن أبيه ثم وليها وحده سنة ٣٨٨ - وأبوه حى - وكان شاعرا ممتازا ، وله ديوان كبير طبع أكثر من مرة . انظر ترجمته بالتفصيل فى :(ابن خلكان: الوفيات ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٧) و (النجوم الزاهرة ، ج ٣ و ٤) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣-٤) .

(٢) أبو القاسم على الشريف المرتضى ، ولد سنة ٣٥٥ ، وتوفى سنة ٤٣٦ ، تولى نقابة الطالبيين نيابة عن أبيه - مدة حياته - ثم وليها وحده فى سنة ٤٠٦ بعد وفاة أخيه الشريف الرضى ، كان شاعرا مجيدا كأخيه ، وله ديوان ومؤلفات فى المذهب الشيعى ، ويقول ابن خلكان: « وقد اختلف الناس فى كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الامام على بن أبى طالب ، هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضى ، وقد قيل انه ليس كلام على ، وانما الذى جمعه ونسبه اليه هو الذى وضعه » .

انظر : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢، ص ١٤ - ١٧) و (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٣ و ٤ ، الصفحات المذكورة بالفهرس) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٥٣) . انظر أيضا بيان مؤلفاته فى: (معجم سركيس) .

(٣) أحمد بن محمد بن أحمد أبوحامد الاسفراييني امام الشافعية فى زمانه ، ولد سنة ٣٤٤ ، له مصنفات كثيرة ، وكان يتوسط بين الخليفة القادر وبين السلطان محمودبن سبكتكين، توفى سنة ٤٠٦ ، انظر : (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ح ٤ ، ص ٢٤٩) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢ - ٣) .

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان أبوالحسن القدورى الحنفى ، انتهت اليه رياسة أصحاب أبى حنيفة فى بغداد ، وكان ثبتا مناظرا ، وهو الذى تولى مناظرة الشيخ أبى حامد الاسفراييني شيخ الشافعية توفى سنة ٤١٨ عن ست وخمسين سنة .

انظر : (أنساب السمعانى) و (البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٤) و (النجوم الزاهرة، ج ٤ ، ص ٢٣٠) .

(٥) الحسين بن على بن محمد بن جعفر أبوعبد الله الصيمرى - نسبة الى نهر بالبصرة يقال له صيمر - ولد سنة ٣٥١ ، انتهت اليه رياسة الحنفية ببغداد ، وولى قضاء المدائن ثم قضاء ربع الكرخ ، توفى فى شوال سنة ٤٣٦ عن خمس وثمانين سنة .

انظر : (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٥٢) و (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٨) .

وابن الأكفانى(١) .

والأبيوردى(٢) .

وأبو عبد الله بن النعمان(٣) - فقيه الشيعة - .

وغيرهم من أعلام الأئمة ببغداد ، فى يوم مشهود وذلك سنة اثنتين وأربعمائة فى أيام القادر ؛ وكانت شهادتهم فى ذلك على السماع لما اشتهر وعُرف بين الناس ببغداد ، وغالبُها شيعةُ بنى العباس ، الطاعنون فى هذا النسب ، فنقله الأخباريون - كما سمعوه - ، ورووه - حسبما وعوه - ، والحق من ورائه .

وفى كتاب المعتصد - فى شأن عبيد الله - إلى ابن الأغلب بالقيروان ، وابن مدرار بسجلماسة أصدق شاهد ، وأوضح دليل على صحة نسبهم ، فالمعتضد أَقْعَدُ بنسب أهل البيت من كل أحد ، والدولة والسلطان سوق للعالم تُجلب إليه بضائع العلوم والصنائع ، وتُلتَمس فيه ضوال الحكم ، وتُحدى إليه ركائب الروايات والأخبار ، وما نفق فيها نفق عند الكافة ، فإن تنزهت الدولة عن التعسف والميل والإفن والشقشقة ، وسلكت النهج الأَمم ، ولم تَجُرْ عن قصد السبيل ، نفق بأسواقها الإبريز الخالص ، واللجين المصفى ، وإن ذهبت مع الأغراض والحقود ، وماجت

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو محمد المعروف بابن الأكفانى ، قاضى قضاة بغداد ، ولد سنة ٣١٦ ، وتوفى سنة ٤٠٥ عن خمس وثمانين سنة ، ولى الحكم منها اربعين سنة نيابة واستقلالا . انظر : (البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٥٤) و(النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٣٧)

(٢) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد أبو العباس الأبيوردى ، أحد ائمة الشافعية من تلاميذ أبى حامد الاسفراييني ، كانت له حلقة فى جامع المنصور للفتيا ، وولى الحكم ببغداد نيابة عن ابن الأكفانى ، وكان يقول الشعر الجيد ، توفى سنة ٤٢٥ .

انظر : (البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ٣٧) و (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٧٩) .

(٣) محمد بن محمد أبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة ، قال ابن كثير : « شيخ الامامية الروافض والمصنف لهم ، والمحامى عن حوزتهم» ، كانت له منزلة عند بنى بويه وملوك الاطراف لميلهم الى المذهب الشيعى ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف ، ومن تلاميذه الشريفان الرضى والمرتضى ، توفى سنة ٤١٣ .

انظر : (ابن كثير : البدايه والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥ - ١٦) و (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٥٨) .

بسماسرة البغي والباطل ، نفق البهرج[1] والزائف ، والناقد البصير قسطاس نظره ، وميزان بحثه وملتمسه »[2] .

قال (أى ابن خلدون) :

« وكان الإسماعيلية من الشيعة يذهبون إلى أن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه من بعده ، وأن الإمام بعده ابنُه (١٧) محمد المكتوم ، وبعده ابنه جعفر المصدق ، وبعده ابنه محمد الحبيب ، وكانوا أهل غلو فى دعاويهم فى هؤلاء الأئمة .

وكان محمد بن جعفر هذا يؤمل ظهورَ أمره والظفر بدولته .

وكان باليمن من هذا المذهب كثير بعدن فى قوم يعرفون ببنى موسى ، وكذلك كان بإفريقية من لدن جعفر الصادق بمرماجنة ، وفى كتامة ، وفى نَفْزَة[3] وسماتة ، تلقوا ذلك من الحلوانى[4] وابن بكار[5] ــ داعيَى جعفر الصادق ــ ، وقدم على جعفر بن محمد ــ والد عبيد الله ــ

(١) البهرج الباطل أو الردىء أو الزائف ، وأكثر مايوصف به الدرهم الذى فضته رديئة ، أو الدينار الذى ذهبه ردىء. انظر : (المقريزى: اغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٦٢ ، حاشية ١ ، ص ٦٧ ، حاشية ٣) .

(٢) الى هنا ينتهى مانقله المقريزى عن مقدمة ابن خلدون ، ثم ينقل بعد ذلك عن تاريخه مع اختلاف فى النصين ايجازا واضافة ، انظر : (تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٣١ ــ ٣٣ ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ ــ ٣٦١) .

(٣) قال (ياقوت فى معجم البلدان) « انها مدينة بالمغرب بالأندلس » ، وفى (الحميرى : الروض المعطار، ص٩) مايفيد ان نفزة ليست بالاندلس ،وانما على الشاطىء المقابل لها فى المغرب الأقصى .

(٤) المتواتر هنا وفى المراجع المختلفة ان الداعيتين اللذين ارسلا الى المغرب هما الحلوانى وأبوسفيان ، ولم أجد فى غير هذا المكان ذكرا لابن بمكار هذا ، ولعل هذه كنية أخرى لأبى سفيان .

(٥) توجد بالهامش فى النسختين فقرة ايضاحية ، هذا نصها :

« كان بعث أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق بأبى سفين (كذا) وبالحلوانى الى المغرب فى سنة خمس واربعين ومائة ، وامرهما ان يبسطا علم الأئمة ، ولايتجاوزا افريقية ، ثم يفترقان فينزل كل واحد منهما ناحية ، فامتثلا ذلك ، وكان الحلوانى يقول : بعثت أنا وأبوسفين ، فقيل لنا : اذهبا الى المغرب فانكما تاتيان أرضا بورا ، فاحرثاها وكرماها وذللاها ، الى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة فيبذر حبه فيها ، وكان بين دخولهما المغرب ودخول صاحب البذر ــ وهو أبو عبد الله الحسين بن احمد بن زكريا ــ مائة وخمس وثلاثون سنة » انظر مافات هنا ص ٤٠ ، هامش ٢ .

من أهل اليمن رجل من أولئك الشيعة ، يعرف بعلى بن الفضل ، فأخبره بأخبار اليمن ، فبعث معه أبا القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفى - من رجالات الشيعة - ، وقال له : « ليس لليمن إلا أنت » ، فخرجا من القادسية سنة ثمان وستين ومائتين ، ودخلا اليمن ، على حين انخلع محمد بن يَعْفُر[1] من الملك ، وأظهر التوبة ، فدعوا للرضى من آل محمد ، وظهرت الدعوة سنة سبعين ، وتسمى أبو القاسم بالمنصور ، وابتنى حصنا بجبل لاعة[2] ، وزحف بالجيوش ، وفتح مدائن اليمن ، وملك صنعاء ، وأخرج بنى يعفر ، وفرّق الدعاة فى اليمن والبحرين ، واليمامة ، والسند ، والهند ، ومصر والمغرب .

وكان أبو عبد الله المحتسب داعى المغرب ، وأصله من الكوفة ، واسمه الحسين بن أحمد ابن محمد بن زكريا ، من رام هُرْمُز[3] وكان محتسبا بسوق الغزل من البصرة ، وقيل إنما المحتسب أخوه أبو العباس محمد .

ويعرف أبو عبد الله بالعلم ، كان يعلّم الناس مذهب الإمامية الباطنية ، واتصل بالإمام محمد بن جعفر ، ورأى أهليته ، فأرسله إلى ابن حوشب - صاحب اليمن - ، وأمره بامتثال أمره ، والاقتداء بسيرته ، ثم يذهب بعدها إلى المغرب ، ويقصد بلد كتامة ، فلما بلغ إلى ابن حوشب لزمه ، وشهد مجالسه ، وأفاد علمه ، ثم خرج مع حاج اليمن إلى مكة حتى أتى الموسم ، ولقى به رجالات كتامة واختلط بهم ، ووجد لديهم بذرا من ذلك المذهب - كما قدمنا - ، فاشتملوا عليه ، وسألوه الرحلة فارتحل معهم إلى بلدهم ، ونزل بها ، وجاهر

---

(١) محمد بن يعفر ثانى ولاة اليعفريين على صنعاء والجند ، ولى من ٢٥٩ الى ٢٧٩ (٨٧٢ - ٨٩٢) .

(٢) فى المراجع الجغرافيه مدينة عدن لاعة ، ووادى لاعة ، وليس بها جبل لاعة ، وعلى كل فقد كانت منطقة لاعة باليمن من المواضع الأولى التى ظهرت بها الدعوة الفاطمية ، وقد كانت مقرا للداعيتين على بن الفضل ، وأبى عبد الله الشيعى . انظر « معجم البلدان لياقوت » و (Kay : Op. Cit. p. 232-233)

(٣) رسمها ياقوت متصلة ، وذكر أنها مركبة من لفظين : رام لفظة فارسية ومعناها مقصود أو مراد ، وهرمز أحد الأكاسرة ، وقال حمزة : رامهرمز اسم مختصر من رامهرمز أردشير ، وقال ياقوت انها « مدينة مشهورة بنواحى خوزستان ، والعامة يسمونها رامز كسلا منهم عن تتمة اللفظ » .

بمذهبه ، وأعلن إمامة أهل البيت ، ودعا للرضى من آل محمد ـ على عادة الشيعة ـ ، وأطاعته قبائل كتامة بعد فتن وحروب ، ثم اجتمعوا على تلك الدعوة .

ثم هلك الإمام محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بعد أن عهد لابنه عبيدالله المهدى ، وشاع خبر دعاته باليمن وإفريقية ، وطلبه المكتفى ، وكان يسكن عسكر مُكْرَم ، فانتقل إلى الشام ، ثم طُلِب ففر بنفسه وبابنه أبي القاسم ـ وكان غلاما حدثا ـ ، وبلغ مصر ، وأراد قصد اليمن ، فبلغه أن على بن المفضل أحدث فيها الأحداث من بعد ابن حوشب ، وأساء السيرة ، فكره دخول اليمن ، واتصل به شأن أبي عبد الله ، وما فتح الله عليه بالمغرب ، فاعتزم على اللحاق به ، وسرّح عيسى النوشرى ـ عامل مصر ـ فى طلبه ، وكانوا خرجوا من الإسكندرية فى زىّ التجار ، فلما أدركت الرفقة خفى حالهم ، بما اشتبه من الزى ، فأفلتوا إلى المغرب » .

انتهى كلام ابن خلدون ـ رحمه الله ـ

قال المؤلف ـ رحمة الله عليه ـ :

وأنت إذا سلمت من العصبية والهوى ، وتأملت ما قد مرّ ذكره من أقوال الطاعنين فى أنساب القوم علمتَ ما فيها من التعسف والحمل مع ظهور التلفيق فى الأخبار ، وتبيّن لك منه ما تأبى الطباعُ السليمة قبوله ، ويشهد الحسّ السليم بكذبه ، فإنه قد ثبت أن الله تعالى لا يمد الكذاب المفتعل بما يكون سببًا لانحراف الناس إليه ، وطاعتهم له على كذبه .

قال تعالى عن نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ »(1) .

وقال تعالى فى الدلالة على صدقه : « أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ »(2) .

وقد علم أن الكذب على الله تعالى ، والافتراء عليه فى دعوى استحقاق الخلافة النبوية على الأمة ، والإمامة لهم شرعا بكونه من ذرية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآل بيته ، من

---

(1) السورة ٦٩ (الحاقة) الآيات ٤٤ ـ ٤٦

(2) السورة ٢١ (الأنبياء) آية ٤٤ .

أعظم الجنايات ، وأكبر الكبائر ، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يُظهر مَنْ تعاطى ذلك واجترأ عليه ، ثم يمده فى ظهوره بمعونته ، ويؤيده بنصره حتى يملك أكثر مدائن الإسلام ، ويورثها بنيه من بعده ، وهو تعالى يراه يستظهر بهذه النعم الجليلة على كذبه ، ويفتن بمخرقته العباد ، ويحدث بباطله (٧ب) الفتنَ العظيمةَ والحروب المبيدة فى البلاد ، ثم يخليه - تعالى - وما تولى من ذلك بباطله من غير أن يشعره شعار الكذابين ، ويُحِلُّ به ما من عادته تعالى أن يُحلَّ بالمفسدين ، فيدمره وقومه أجمعين .

كما لايليق بحكمته تعالى أن يخذل من دعا إلى دينه ، وحمل الكافة على عبادته ، ولا يؤيده على إعلاء كلمته ، بل يسلمه فى أيدى أعداء دينه المجاهرين بكفرهم وطغيانهم ، حتى يزيدهم ذلك كفرا إلى كفرهم ، وضلالا إلى ضلالهم ، فإنَّ فِعْلَه هذا بالصادق فى دعائه إليه تعالى كتأييده الكاذب فيها سواء ، بل الحكمة الإلهية والعادة الربانية ، وسنة الله التى قد خلت فى عباده ، اقتضت أنه تعالى إذا رأى الكذاب يستظهر بالمحافظة على التنمس بالباطل ، ويتوصل إلى إقامة دولته بالكذب ، ويحيلها بالزور فى ادعائه نسبا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غير صحيح ، وصرفه الناس عن طاعة بنى العباس - الثابتة أنسابهم ، المرضية سيرتهم ، العادلة بزعمهم أحكامهم ومذاهبهم - أن يحول بينه وبين همه بذلك ، ويسلبه الأسباب التى يتمكن بها من الاحتراز ، ويعرضه لما يوقعه فى المهالك ، ويسلك به سبيل أهل البغى والفساد .

فلما لم يفعل ذلك بعبيد الله المهدى ، بل كتب تعالى له النصر على من ناوأه ، والتأييد بمعونته على من خالفه وعاداه ، حتى مكّن له فى الأرض ، وجعله وبنيه من بعده أئمةً ، وأورثهم أكثر البسيطة ، وملّكهم من حدّ منتهى العمارة فى مغرب الشمس إلى آخر ملك مصر ، والشام ، والحجاز ، وعُمان ، والبحرين ، واليمن ، وملّكهم بغداد وديار بكر مدة ، ونشر دعوتهم إلى خراسان ، ونصرهم على عدوهم أىَّ نصر ، تبيّن أن دعواهم الانتساب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صحيحة ، وهذا دليل يجب التسليم له .

وقد روى موسى بن عقبة أن هرقل لما سأل أبا سفيان بن حرب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان مما قاله له : « أتراه كاذبا أو صادقا ؟ » قال أبو سفيان : « بل هو

كاذب » ، قال هرقل : « لا تقولوا ذلك ، فإن الكذب لا يظهر به أحد ، » والله يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ »(١) .

وقد نُقل عن أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ الإشارة إلى أمر عبيد الله المهدى ، فمن ذلك : أن موسى الكاظم بن جعفر الصادق سئل عن ظهور القائم متى يكون ؟ فقال :

«إن ظهور القائم مثله كمثل عمود من نور سقط من السماء إلى الأرض ، رأسه بالمغرب ، وأسفله بالمشرق » .

وكذلك كان بداية أمر المهدى عبيد الله ، فإنه ابتدأ من المغرب ، وانتهى أمره على يد بنيه إلى المشرق ، فإنه ظهر بسجلماسة ـ فى ذى الحجة سنة تسعين ومائتين ـ ، وهى أقصى مسكون المغرب ، ودُعى للمستنصر ببغداد فى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

وكان علىٌّ بن محمد بن على بن موسى الكاظم يقول : « فى سنة أربع وخمسين ومائتين ستُكشف عنكم الشدة ، ويزول عنكم كثير مما تجدون إذا مضت عنكم سنة اثنتين وأربعين ؛ يشير بذلك إلى أن البداية من تاريخ وقته ، فيكون المراد سنة ست وتسعين ومائتين ؛ وفى ذى الحجة منها كان ظهور الإمام المهدى بالله ـ رحمة الله عليه(٢) ـ .

---

(١) سورة ٣٣ (الأحزاب) ، آية ٤ ، وقد وردت هذه الآية فى نسخة (ج) قبل هذا بقليل بعد الجملة : « وهذا دليل يجب التسليم له » .

(٢) يوجد بهامش نسخة ج أمام هذا اللفظ تعليق هذا نصه :

« انما حمل المؤلف رحمه الله على رد ما قاله أهل النسب فى حق الفواطم والاحتجاج لهم والاكثار فى مدحهم ، والانتصار لمذهبهم الذى اشتهر بين الأمة خلافه ، وهو معذور فيه ؛ لأنه ـ رحمه الله ـ ينتهى نسبه لهم ، وهو يذكره لاسيما فى أول الكتاب بخطه انه ينتهى الى تميم ، وانظر الى قوله : « ان الكاذب لايملك البلاد ولا يمكن له فى الأرض » ، وقد سمعنا قديما عن بختنصر ، وحديثا عن التتار وتيمور ، وقبل ذلك بنى أمية وهم متغلبون على آل البيت من مدة أمير المؤمنين وأولاده الحسن والحسين وأولادهم يفعلون بهم الأفاعيل ، وهم فى غاية من القوة والتمكن فى السلطان » .

ذكر

ما كان من ابتداء الدولة الفاطمية

إلى أن بنيت القاهرة

«وذلك أن أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشعيى ، سار إلى أبي القاسم رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب بن ذاذان الكوفى باليمن ، وصحبه وصار من كبار أصحابه ، وكان له علم وفهم ودهاء ومكر ، فلما ورد على ابن حوشب موت الحلوانى ورفيقه بالمغرب ، قال لأبي عبد الله الشيعى :

« إن أرض كتامة(١) من المغرب قد حرثها الحلوانى وأبو سفيان ، وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك » .

فخرج أبو عبد الله إلى مكة ، وقد أعطاه ابن حوشب مالاً ، فلما قدم مكة سأل عن حجاج كتامة ، فأرشد إليهم ، واجتمع بهم ، ولم يعرفهم قصده ، وذلك أنه جلس قريبا منهم ، فسمعهم يتحدثون بفضائل آل البيت ، فاستحسن ذلك ، وحدثهم فى معناه ، فلما أراد القيام سألوه أن يأذن لهم فى زيارته ، فأذن لهم ، وسألوه أين مقصده ؟ فقال : مصر ، ففرحوا بصحبته ، فرحلوا ، وهو لا يخبرهم بغرضه ، وأظهر العبادة والزهد ، فازدادوا فيه رغبة ، وخدموه .

وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم ، وعن طاعتهم لسلطان إفريقية ؛ فقالوا :

« ماله علينا طاعة ، وبيننا وبينه عشرة أيام » .

---

(١) يوجد بالهامش فى النسختين تعريف بكتامة هذا نصه :

« يقال ان كتامه من ولد كتامة بن افريقش بن صيفى بن سبا الأصغر ، وقيل : افريقش ابن زرعه وهو حمير الأصغر ، وقيل : هو قيس بن زرعة بن زهير بن أيمن ابن هيسع (كذا) ابن حمير الأكبر ، ويقال : افريقين بن صيفى ، وقيل : ان كتامة اخوة صنهاجة » .

قال :

أتحملون السلاح ؟

قالوا :

« هو شغلنا »

ولم يزل يتعرف أحوالهم حتى وصلوا إلى مصر ، فلما أراد وداعهم قالوا له :

«أيّ شيء تطلب بمصر ؟»

قال :

«أطلب التعليم بها»

قالوا :

«إذا كنت تقصد هذا ، فبلادنا أنفع لك ، ونحن أعرف بحقك »

ولم يزالوا به حتى أجابهم إلى المسير معهم .

فلما قاربوا بلادهم لقيهم رجالٌ من الشيعة فأخبروهم بخبره ، فرغبوا فى نزوله عندهم ، وأقرعوا فيمن يضيفه منهم .

ثم ارتحلوا حتى وصلوا إلى أرض كتامة منتصف ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين ، فسأله قومٌ أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا دونه ، فقال لهم :

«أين يكون فَجُّ الأخيار ؟ »

فعجبوا من ذلك ، ولم يكونوا ذكروه له ، فقالوا له :

«عند بنى سليمان» .

فقال :

إليه نقصد ، ثم نأتى كلّ قوم منكم فى ديارهم ، ونزورهم فى بيوتهم »

فأرضى بذلك الجميع .

وسار إلى جبل يقال له «إيكجان[1]»، وفيه «فَجُّ الأخيار»، فقال:

«هذا فَجُّ الأخيار، وما سُمى إلا بكم، ولقد جاء فى الآثار: للمهدى هجرةٌ تنبو عن الأوطان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قومٌ اسمهم مشتقٌ من الكتمان، وبخروجكم فى هذا الفج سُمى فَجُّ الأخيار».

فتسامعت القبائل، وأتاه البرابر من كل مكان، فعظم أمره إلى أن تقاتلت كتامة عليه مع قبائل البربر، وهو لا يذكر فى ذلك اسم المهدى، فاجتمع أهل العلم على مناظرته وقتله، فمنعه الكتاميون من المناظرة، وكان اسمه عندهم «أبا عبد الله المشرق».

وبلغ خبره إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ـ أمير إفريقية ـ، فأرسل إلى عامله على مدينة مِيلَة[2] ليسأله عن أمره، فصغَّره عنده، وذكر أنه يلبس الخشن، ويأمر بالخير والعبادة، فسكت عنه.

ثم إن أبا عبد الله قال للكتاميين.

أنا صاحب البذر الذى ذكر لكم أبو سفيان والحلوانى.

فازدادت محبتهم له، وتعظيمهم لأمره، فلما ظهر لأهل المغرب علمه وفضله، قال أحد الأولياء لأصحابه:

«لولا واحدة كان الحلوانى يقولها ما تخالجنى الشك فى أن هذا الرجل هو الذى كان الحلوانى يبشِّر به».

---

(1) يوجد فى الهامش بالنسختين تعريف بجبل ايكجان هذا نصه:
«ايكجان جبل بالقرب من قسنطينة، فيه قبائل كتامة، وهم كرام وقد فنوا».
وقال الدكتور حســـن ابراهيم حسن فى كتابه «الفاطميون فى مصر»، ص ٥٦، ان ايكجان يقع فى منتصف الطــريق بين طنجة وفاس، وايكجان جمع حاج، وكانوا يطلقـــون عليه من قديم الزمان Tzajjan وهو محل اجتماع الحجاج من الأندلس وشمال المغرب الأقصى.

(2) ميلة عرفها ياقوت بانها مدينة صغيرة بأقصى افريقية، بينها وبين بجـاية ثلاثة ايام، وبينها وبين قسنطينة يوم واحد.

قالوا :

«وما هى ؟

قال :

«كان إذا وصفه قال : فى فيه إصبع»

فبلغ ذلك أبا عبد الله فتبسم وقال :

«هذا لا يكون»

فلما أخذ العهد بعد ذلك على من سمع هذا القول ، واشترط عليهم الكتمان ، وضع إصبعه على فيه وقال :

«هذا هو الإصبع الذى كان يقوله الحلوانى ، أمركم بالصمت والكتمان ، فأما أن يكون فى فم رجل إصبع فلا»

فقالوا «كذلك والله هو»

وتفرقت البرابر وكتامة بسببه ، وأراد بعضهم قتله ، فاختفى ، ووقع بينهم قتال شديد ، واتصل الخبر بالحسن بن هرون — من أكابر كتامة — فأخذ أبا عبد الله إليه ، ودافع عنه ، ومضى به إلى مدينة تاصروت ، فأتته القبائل من كل مكان ، وعظم شأنه ، وصارت الرئاسة للحسن بن هرون ، وسلم إليه أبو عبد الله أعنة الخيل ، وظهر من الاستتار ، وشهد الحروب ، فكان الظفر له ، وغنم الأموال ، وخندق على مدينة تاصروت ، وقد زحفت إليه قبائل المغرب ، فاقتتلوا عدة مرار ، كان له فيها الظفر ، وصار إليه أموالهم ، فاستقام له أمر البربر وعامة كتامة ، وزحف إلى مدينة مِيلَة ، وقاتل أهلها قتالا شديدا ، وأخذ الأرباض ، ثم ملك البلد بأمان ، فبعث إليه إبراهيم بن الأغلب ابنه الأحول فى إثنى عشر ألفا ، وأتبعه بمثلهم ، فالتقى مع أبى عبد الله ، فانهزم أبو عبد الله ، وقُتل كثير من أصحابه ، وتبعه الأحول ، فحال بينهما الثلج ، ولحق أبو عبد الله بجبل إيكجان ، وملك الأحول مدينة تاصروت ، وأحرقها وأحرق مدينة مِيلة ، فبنى أبو عبد الله دار هجرة بإيكجان ، وقصده أصحابه ، وعاد الأحول إلى إفريقية ،

فمات إبرهيم بن الأغلب ، وقتل ابنه أبو العباس ، وولى زيادة الله بن الأغلب ، واشتغل باللهو واللعب ، فاشتد سرور أبى عبد الله .

ثم إن أبا مضر زيادة الله قتل الأحول ، فانتشرت حينئذ جنود أبى عبد الله فى البلاد ، وصار يقول :

« المهدى يخرج فى هذه الأيام ، ويملك الأرض ، فيا طوبى لمن هاجر إلىّ ، وأطاعنى » .

وأخذ يغرى الناس بزيادة الله ويعيبه ، وكان أكثر (٨ ب) مَن عند زيادة الله من الوزراء شيعة ، فلم يكن يسوءهم ظفر أبى عبد الله ، خصوصا وقد كان يذكر لهم من كرامات المهدى ، وأنه يحيي الموتى ، ويرد الشمس [من مغربها] ، ويملك الأرض بأسرها ، وهو مع ذلك يبعث إلى الوزراء ، ويعدهم ، (١ وبعث أبو عبد الله برجال ١) .

(١) أضيفت هذه الجملة عن (ج) .

ذكر
خروج عبيد الله المهدى الى المغرب

وكان من خبر ذلك أن أبا عبد الله سيَّر إلى عبيد الله رجالا من كتامة يخبرونه(١) بما فتح الله عليه ، وأنهم ينتظرونه ، فوافوه بسلمية من أرض حمص ، قد كان اشتهر خبرُ عبيد الله عند الناس ، فطلبه المكتفى ، ففرَّ من سلمية ومعه ابنه أبو القاسم نزار - الذى قام بالأمر من بعده ، وخرج معهما خاصته (٢) ومواليه .

فلما انتهى إلى مصر أقام مستترًا بزى التجار ، فأتت الكتب إلى عيسى النوشرى - أمير مصر - من المعتضد بالله العباسى بصفة عبيد الله وحليته ، وأنه يأخذ عليه الطرق ويقبضه وكلَّ من يشبهه ؛ فلما قُرئت الكتب كان فى المجلس ابن المدير الكاتب ، فبلَّغ ذلك عبيد الله ، فسار من مصر مع أصحابه ومعه أموال كثيرة ، فأوسع فى النفقة على من صحبه ، وفرّق النوشرى الأعوان فى طلب عبيد الله ، وخرج بنفسه ، فلما رآه لم يشك فيه ، وقبض عليه ، ووكل به وقد نزل فى بستان ، ثم استدعاه ليأكل معه ، فأعلمه أنه صائم ، فرقَّ له ، وقال :

« أعلمنى حقيقة أمرك حتى أطلقك » .

فخوَّفه الله تعالى وأنكر حاله ، وما زال يتلطف به حتى أطلقه وخلّى سبيله ، وأراد أن يرسل معه مَنْ يوصله إلى رفقته ، فقال : « لا حاجة إلى ذلك » ، ودعا له .

وقيل إنه أعطاه مالاً فى الباطن حتى أطلقه ، فرجع بعضُ أصحاب النوشرى عليه باللوم ، فندم على إطلاقه ، وأراد أن يبعث الجيش وراءه ليردَّه .

وكان عبيد الله قد لحق بأصحابه ، فإذا ابنه أبو القاسم قد ضيَّع كلباً كان يصيد به ،

---

(١) الأصل : « يخبر فيه » والتصحيح عن (ج) .

(٢) الأصل : « من مواليه » و(ج) :« وخرج معهما مواليه » . والتصحيح عن (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤) .

وهو يبكى عليه ، فعرفه عبيدهُ أنهم تركوه فى البستان الذى كانوا فيه ، فرجع عبيد الله بسبب الكلب حتى دخل البستان ومعه عبيده ، فلما رآه النوشرى سأل عن خبره ، فقيل إنه عاد بسبب كلبٍ لولده ، فقال النوشرى لأصحابه :

« قبحكم الله ، أردتم أن تحملونى على هذا الرجل حتى آخذه ، فلو كان يطلب ما يقال أو لو كان مريبا لكان يطوى المراحل ويخفى نفسه ، ولا كان يرجع فى طلب كلب[1] » ، وتركه ، ولم يعرض له .

فسار عبيدُ الله وخرج عليه عدة من اللصوص بموضع يُقال له : « الطاحونة » ، فأخذوا بعض متاعه ، منه كتبٌ وملاحم كانت لآبائه ، فعظم أمرها عليه[2] ، فيقال إنه لما خرج ابنه أبو القاسم فى المرة الأُولى إلى الديار المصرية أخذها من ذلك المكان .

ثم إن عبيد الله انتهى – هو وولده – إلى مدينة طرابلس ، ففارق التجار ، وكان فى صحبته أبو العباس أخو أبى عبد الله ، فقدّمه عبيدُ الله إلى القيروان ، فسار إليها ، فوجد خبر عبيد الله قد سبق إلى زيادة الله بن الأغلب ، فقبض على أبى العباس وقرّره ، فأنكر ، وقال : « أنا رجل تاجر صحبتُ رجلا فى القَفْل » ، فحُبس .

وبلغ الخبرُ إلى عبيد الله ، فسار إلى قسنطينة .

ووصل كتاب زيادة الله إلى ناظر[3] طرابلس بأخذ عبيد الله ، فلم يدركه ، ووافى عبيد الله قسطنطينة ، فلم يقصد أبا عبد الله ، لأن أخاه أبا العباس كان قد أُخذ ، وسار إلى سجلماسة ، فوافت الرسل فى طلبه ، وقد سار فلم يوجد ، ووصل إلى سجلماسة فأقام بها ، وقد أقيمت له المراصدُ بالطرقات .

---

(١) من النصوص الاسماعيلية الهامة التى نشرها المستشرق ايفانوف نص هام يتحدث عن رحلة المهدى من الشام الى المغرب ، ومؤلف هذا النص هو محمد بن محمد اليمانى ، وعنوانه « سيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدى من سلمية ووصوله الى سجلماسة » وقد نشر هذا النص فى (مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٣٦) وقد وردت فيه قصة القائم مع الكلب ، ولكن على أنها حدثت فى الطريق من دمشق الى الرملة لا بعد خروج المهدى من مصر كما ذكر هنا .

(٢) راجع المصدر المذكور فى الهامش السابق .

(٣) ج : « عامل » .

وكان على سجلماسة اليسع بن مدرار ، فأهدى إليه عبيد الله وواصله ، فقرّبه اليسع وأحبه ، فأتاه كتاب زيادة الله يعرّفه أن الرجل الذى يدعو إليه أبو عبد الله الشيعى عنده ؛ فلم يجد بُدًّا من القبض على عبيد الله وحبسه .

وأخذ زيادةُ الله فى جمع العساكر ، فقدّم إبراهيم بن حنيش[1] من أقاربه على أربعين ألفا ، وسلّم إليه الأموالَ والعدد ، وسار وقد انضاف إليه مثلُ جيشه ، فنزل مدينة قسنطينية ، وأتاه كثير من كتامة الذين لم يطيعوا أبا عبد الله ، وقتل فى طريقه خلقا كثيرا من أصحاب أبى عبد الله هذا ، وأبو عبد الله متحصنٌ بالجبل ، فأقام إبراهيم بقسنطينية ستة أشهر ، فلما رأى أن أبا عبد الله لا يتقدم إليه زحف بعساكره ، فأخرج إليه أبو عبد الله خيلا ، (١٩ ب) فلما رآها إبراهيم قصد إليها بنفسه ، والأثقال على ظهور الدواب لم تُحط ، فقاتلهم قتالا كثيرا ، وأدركهم أبو عبد الله ، فانهزم إبراهيم بمن معه وجُرح ، فغنم أبو عبد الله جميعَ ما معهم ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، فسار إبراهيم إلى القيروان ، وعظم أمرُ أبى عبد الله ، واستقرت دولتُه .

وكتب كتاباً إلى عبيد الله – وهو بسجن سجلماسة – يبشره ، وسيّر الكتاب مع بعض ثقاته ، فدخل عليه السجن فى زى قصّاب يبيع اللحم ، فاجتمع به وعرّفه .

ونازل أبو عبد الله عدة مدائن فأخذها بالسيف ، وضايق زيادة الله ، فحشد وجمع عساكره ، وبعث إليه هرون الطيبى[2] فى خلق كثير ، فقُتل هرون فى خلائق لا تحصى . فاشتد الأمر على زيادة الله ، وخرج بنفسه ، فوصل إلى الأُرْبُس فى سنة خمس وتسعين ومائتين ، وسيّر جيشاً مع ابن عمه إبراهيم بن الأغلب .

واشتغل زيادةُ الله بلهوه ولعبه ، وأبو عبد الله يأخذ المدائن – شيئاً بعد شىء – عنوة وصلحا ، فأخذ « مَجَّانَة[3] » ، و « تيفاش[4] » ، و « مسكيانة » و « تَبِسَّة[5] » ، وسار إلى إبراهيم ، فقتل من أصحابه ، وعاد إلى جبل إيكجان .

---

(١) ج : « حنبش » .
(٢) ج : « الطبنى » .
(٣) بلد بافريقية فتحه بسر بن أرطاة ، وهى تسمى قلعة بسر ، وبينها وبين القيروان خمس مراحل ، معجم ياقوت
(٤) ذكر المقريزى فى جنى الأزهار ، ص ٢١ ب أنها على ست مراحل من بجاية .
(٥) ذكر ياقوت أنها بلد مشهور من أرض افريقية بينه وبين قفصة ست مراحل وهو بلد قديم به آثار للملوك وقد خرب الآن أكثرها .

فلما دخل فصلُ الربيع ، وطاب الزمان ، جمع أبو عبد الله عسكره فبلغت مائة ألف فارس وراجل ، وجمع زيادةُ الله ما لا يحصى ، وسار أول جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين ، فالتقوا مع أبي عبد الله ، واقتتلوا أشد قتال ، وطال زمنه ، وظهر أصحاب زيادة الله ، ثم إن أبا عبد الله كادهم بخيلٍ بعثها من خلفهم ، فانهزم أصحاب زيادة الله ، وأوقع فيهم القتل ، وغنم أموالهم ، وكان ذلك فى آخر جمادى الآخرة ، ففرَّ زيادةُ الله إلى ديار مصر ، فدخل إبراهيم بن الأغلب إلى القيروان ، فقصد قصر الإمارة ، ونادى بالأمان ، وتسكين الناس ، وذكر زيادة الله وذمَّه ، وصغَّر أمر أبي عبد الله ، ووعد الناس بقتاله ، وطلب منهم الأموال ، فقالوا :

« إنما نحن فقهاء وعامة وتجار ، وما فى أموالنا ما يبلغ غرضك » ، ثم إنهم ثاروا به ورجموه . فخرج عنهم .

ودخل أبو عبد الله إلى مدينة رقادة ، فأمَّن الناس ، ومنع من النهب ، وخرج الفقهاء ووجوه أهل القيروان إلى لقاء أبي عبد الله ، وسلموا عليه ، وهنوه بالفتح ، فردَّ عليهم ردًّا حسنا ، وأمَّنهم ، وقد أعجبوا به وسرَّهم ، فأخذوا فى ذم زيادة الله وذكر مساوئه ، فقال لهم :

« ما كان إلا قوياً وله منعة ودولة شامخة ، وما قصَّر فى مدافعته ، ولكن أمر الله لا يعاند ولا يدافع » :

فامسكوا عن الكلام .

وكان دخول أبي عبد الله رقادة يوم السبت مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين ، فنزل ببعض قصورها ، وفرق دورها على كتامة ، ونادى بالأمان ، فرجع الناس إلى أوطانهم ، وأخرج العمال إلى البلاد ، وطلب أهل الشر فقتلهم ، وأمر بجمع ما كان لزيادة الله من الأموال والسلاح وغيره ، فاجتمع منه كثير ، وكان له عدة من الجوارى لهن حظ من الجمال ، فلم ينظر إلى واحدة منهن ، وأمر لهن بما يصلحهن .

فلما كان يوم الجمعة أمر الخطباء بالقيروان ورقادة فخطبوا ولم يذكروا أحدا ، وأمر

بضرب السكة(١) وألا يتسم(٢) عليها اسم ، وجعل فى الوجه الواحد : « بلغت حجة الله » ، وفى الآخر : « تفرّق أعداء الله » .

ونقش على السلاح : « عدة فى سبيل الله » .

ووسم الخيل على أفخاذها : « الملك لله » .

وأقام على ما كان عليه من لباس الخشن الدون ، والقليل من الطعام الغليظ .

ولما استقرت الأمور لأبى عبد الله فى رقادة وسائر بلاد إفريقية أتاه أخوه أبو العباس أحمد المخطوم ، ففرح به ، وكان هو الكبير .

---

(١) عرف (الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٩) السكة بأنها الحديدة التى تطبع عليها الدراهم ، ولذلك سميت الدراهم المضروبة سكة ، وقد شرح (المقريزى : الأوزان والأكيال الشرعية ، نشر Tychsen ، ص ٨٦) السكة بأنها الدينار والدرهم المضروبان ، سمى كل منهما سكة لأنه طبع بالحديدة المعلمة ويقال لها السكة ، وكل مسمار عند العرب سكة . انظر أيضا (المقريزى : اغاثة الأمة ، نشر زيادة والشيال ، ص ٥٥ ، حاشية ١ ، ص ٦٠ ــ ٦١) .

(٢) ج : « ينقش » .

ذكر
ظهور عبيد الله المهدى
من سجلماسة

وذلك أن أبا عبد الله الشيعى لما دخل شهر رمضان سنة ست وتسعين ومائتين سار من رقادة - وقد استخلف أخاه أبا العباس على إفريقية - فى جيوش عظيمة ، فاهتز المغرب لخروجه ، وخافته زناتة ، وزالت القبائل عن طريقه ، وأتته رسلهم فدخلوا فى طاعته ، فلما قرب من سجلماسة بعث اليسعُ بن مدرار صاحبُها إلى عبيد الله - وهو فى جيشه - يسأله عن نسبه وحاله ، وهل أبو عبد الله قصد إليه ؟ فحلف له أنه ما رأى أبا عبد الله ، « وإنما أنا رجل تاجر » ، فأفرده معتقلا بدارٍ وحده ، وأفرد ابنه أيضا ، فجعل عليهما الحرس ، وقرَّر ولدَه ، فماحال عن كلام أبيه ، وقرَّر رجالا كانوا معه وضربهم ، فلم يقروا بشىء .

وبلغ ذلك أبا عبد الله ، فشقَّ (٩ ب) عليه ، وأرسل إلى اليسع يتلطف به وأنه لم يقصده للحرب ، وإنما له حاجة مهمة عنده ، فرمى الكتبَ وقتل الرسل ، فعاوده بالملاطفة خوفا على عبيد الله ، ولم يذكره ، فقتل الرسول ثانيا ، فأسرع أبو عبد الله فى السير ، ونزل عليه ، فخرج إليه اليسع وقاتله يومهُ كلَّه ، فلما جنَّه الليلُ فَرَّقَ أصحابَه من أهله وبنى عمه ، وبات أبو عبد الله فى غم عظيم خوفا على عبيد الله .

فلما أصبح خرج إليه أهلُ البلد ، وأعلموه بهرب اليسع ، فدخل هو وأصحابه البلد ، وأتوا مكان عبيد الله وأخرجوه وأخرجوا ابنه فى يوم الأحد لسبع خلون من ذى الحجة سنة ست وتسعين ومائتين ، وقد انتشر فى الناس سرورٌ عظيم كادت تذهب منه عقولُهم ؛ فأركبهما أبو عبد الله ، ومشى هو ورؤساء القبائل بين أيديهما ، وأبو عبد الله يقول للناس : « هذا مولاكم » ، وهو يبكى من شدة الفرح ، حتى وصل [إلى] فسطاط ضربه له فنزل فيه ، وبعث الخيل فى طلب اليسع ، فأُدرك وأُخذ ، فضُرب بالسياط وقُتل .

وأقام عبيدُ الله المهدى بسجلماسة أربعين يوما ، ثم سار إلى إفريقية ، وأحضر الأموال من إيكجان فجعلها أحمالا ، وصار بها إلى رقادة فى العشر الأخير من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين .

وزال ملكُ بنى الأغلب من إفريقية ، وملك بنى مدرار من سجلماسة ، ومُلْك بنى رستم[1] من تاهرت[2] .

ومَلَكَ المهدىُّ جميعَ ذلك ، فلما قرب من رقادة تلقاه أهلها وأهل القيروان وأبو عبد الله ورؤساء كتامة مشاةً بين يديه ، وابنه خلفه ، فسلموا عليه ، فردَّ عليهم رداً جميلا ، وأمرهم بالانصراف ، ونزل بقصر من قصور رقادة .

وأمر يوم الجمعة أن يذكر [اسمه] فى الخطبة ، ويلقب بالمهدى أمير المؤمنين فى جميع البلاد ، فلما كان بعد صلاة الجمعة جلس رجل يعرف بالشريف - ومعه الدعاة - ، وأحضروا الناس ، ودعوهم إلى مذهبهم ، وقُتل من لم يوافق .

وعرض المهدى جوارى زيادة الله فاختار منهن لنفسه واولده ، وفرَّق ما بقى على وجوه كتامة ، وقسَّم عليهم أعمال إفريقية ، ودوَّن الدواوين ، وجبا الأموال ، واستقرت قدمه ، ودانت له أهل البلاد ، واستعمل العمال عليها :

---

(١) انظر : (Zambaur : Op. Cit. p. 21)

(٢) قال ياقوت : تاهرت : اسم لمدينتين متقاربتين فى أقصى المغرب ، يقال لاحديهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثة ، بين تلمسان وقلعة بنى حماد وقال (على بهجت : قاموس الأمكنة والبقاع ، ص ٧١) ولا تزال مدينة تاهرت قائمة ليومنا هذا ، وهى احدى موانى الجزائر تابعة لولاية وهران وتبعد عنها بنحو ٢٢٠ كم .

ذكر

قتل أبى عبد الله الشيعى

وكان سبب قتله أن المهدى لما استقامت له البلاد باشر الأمور بنفسه ، وكفَّ يَدَ أبى عبد الله ويدَ أخيه أبى العباس ، فداخل أبا العباس الحسدُ ، وعظم عليه الفطام عن الأمر والنهى ، والأخذ والعطاء ، فأقبل يزرى على المهدى فى مجلس أخيه ، ويتكلم فيه ، وأخوه ينهاه ، ولا يزيده ذلك إلا لجاجا ، ولام أخاه وقال له :

« ملكتَ أمراً ، فجئتَ بمن أزالك عنه ، وكان الواجب عليه أن لا يسقط حقَّك » .

وما زال به حتى أثّر فى قلب أبى عبد الله ، وقال للمهدى :

« لو كنتَ تجلس فى قصرك وتتركنى مع كتامة آمرهم وأنهاهم ، لأنى عارف بعاداتهم لكان ذلك أهيب لك فى أعين الناس » .

وكان قد بلغ المهدى ما يجهر به أبو العباس ، فردَّ ردا لطيفا ، وأسرَّ ذلك فى نفسه .

وأخذ أبو العباس يسرُّ إلى المقدمين بما فى نفسه ، ويقول .

« ما جازاكم على ما فعلتم ، بل أخذ هو الأموال من إيكجان ، ولم يقسمها فيكم » .

وكل ذلك يبلغ المهدى وهو يتغافل ، فزاد أبو العباس فى القول ، حتى قال :

« إن هذا ليس بالذى كنا نعتقد طاعته وندعو إليه ، لأن المهدى يأتى بالآيات الباهرة » .

فأثّر ذلك فى قلوب كثير من الناس ، حتى إن بعضهم من كتامة واجه المهدىَّ بذلك وقال :

« إن كنتَ المهدى فأظهر لنا آية ، فقد شككنا فيك » .

فقتله المهدى .

وخافه أبو عبد الله ، وعلم أن المهدى قد تغيَّر عليه ، فاتفق مع أخيه بجماعة من كتامة على المهدى ، ودخلوا عليه مراراً ، فلم يجسروا على قتله ، ونُقل ذلك إلى المهدى من رجل

كان يوافقهم على ما هم فيه ، ثم يأتي المهدىَّ فيخبره ، فأخذ المهدى فى تفريق القوم فى البلاد ، وكان كبيرهم أبو زاكى تمام بن معارك الإيكجانى ، فسيرَّه واليا على طرابلس ، وكتب إلى عاملها سرا بقتله عند وصوله ، فلما وصل أبو زاكى قتله العامل ، وأرسل برأسه إلى المهدى ، فأمر حينئذ بقتل جماعة ، وأعد (١٠ ا) رجالًا لأبى عبد الله وأخيه أبى العباس ، فلما وصلا إلى قرب القصر حمل القوم على أبى عبد الله ، فقال : « لاتفعلوا » فقالوا له : « إن الذى أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك » ، فقُتل هو وأخوه فى اليوم الذى قُتل فيه أبو زاكى ، وذلك يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين بمدينة رقادة ، وصلى عليه المهدى ، وقال :

« رحمك الله أبا عبد الله وجزاك خيرا بجميل سعيك » .

وثارت فتنة بسبب قتلهما ، وجرَّد أصحابُها السيوفَ ، فركب المهدى وأمَّن الناسَ فسكنوا ، ثم تتبعهم حتى قتلهم .

وثارت فتنة ثانية بين كتامة وأهل القيروان قُتل فيها خلقٌ كثير ، فخرج المهدى وسكَّن الفتنة ، وكفَّ الدعاةَ عن طلب التشيع من العامة .

وكان أبو عبد الله من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون ، أحد رجالات العالم القائمين بنقض الدول وإقامة الممالك العظيمة من غير مال ولا رجال .

ولما قُتل أبو عبد الله واستقام أمر المهدى عهد إلى ولده أبى القاسم بالخلافة ، ورجعت كتامة إلى بلادهم فأقاموا طفلا ، وقالوا : « هذا هو المهدى » ، ثم زعموا أنه يوحى إليه ، وزعموا أن أبا عبد الله لم يمت ، فبعث إليهم المهدى ابنه أبا القاسم ، فقاتلهم حتى هزمهم ، واتبعهم إلى البحر ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وقتل الطفلَ الذى أقاموه .

ثم إن أهل صقلية خالفوا على المهدى ، فأنفذ إليها ، وقتل من أهلها .

وخالف عليه أهل تَاهَرْت ، فغزاها ، وقتل أهل الخلاف ، وتتبعَ بنى الأَغْلَب ، فقتل منهم جماعةً برَقَادَة .

فلما كان سنة إحدى وثلاثمائة جهَّز المهدىُّ العساكر من إفريقية مع ولده أبى القاسم إلى مصر ، فساروا إلى بَرْقَة ، واستولوا عليها فى ذى الحجة ، وساروا إلى الاسكندرية والفيوم

فضيق على أهلهما ، وبعث المقتدر بالله مؤنساً الخادم[1] فى جيش كثيف ، فحاربهم وأجلاهم عن مصر إلى المغرب .

وكان سبب تحرك أبى القاسم بن المهدى إلى حرب أهل مصر أنه وجّه إلى بغداد قصيدةً يفخر فيها بنسبه ، وبما فتح من البلاد ، فأجابه الصولى[2] بقصيدة على وزنها ورويها ، فمنها :

فلو كانتْ الدنيا مثالًا لطائرٍ لكان لكم منها بما حُزْتُمْ الذَّنَبُ

فحرّك همته هذا البيتُ ، وقال :

« والله لا أزال حتى أملك صدرَ الطائر ورأسَه إن قدرتُ ، وإلا أهلك دونه » .

وكابد على ديار مصر من الحروب أهوالا ، ومات ولم يظفر بها ، وأوصى ابنه المنصور بما كان فى عزمه ، فشغلته الفتن ، وكان الظافر بها المعز .

فلما كان فى سنة اثنتين وثلاثمائة أنفذ المهدى جيشا مع قائد من قواده يقال له حُباسَة فى البحر ، فغلب على الاسكندرية ، ثم سار منها يريد مصر ، فأرسل المقتدرُ بالله مُؤْنِساً فى عسكر إلى مصر ، وأمدّه بالسلاح والأموال ، فالتقى بحُبَاسَة فى جمادى الأولى ، فكانت بينهما حروب كثيرة ، قُتل فيها من الفريقيْن جمعٌ عظيم ، وانهزم حُبَاسَة فى سَلْخ جمادى الآخرة ، ويقال إنه قُتل فى هذه الواقعة سبعة آلاف [و] لما صار حباسة إلى المغرب قتله المهدى .

وفيها ، خالف عليه عروبة بن سيف[3] الكتامى بالقيروان ، واجتمع عليه خلقٌ كثير من كُتَامَة والبرابر ، فأخرج إليهم المهدى مولاه غالبا ، فاقتتلوا ، فقتل غالب فى عالم لايُحصى ، وجيء بعدة رءوس إلى المهدى فى قُفَّة ، فقال :

---

(1) راجع أخباره فى (النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، الصفحات المذكورة بالكشاف) و (الكندى: الولاة ، ص ٢٦٨ و ٢٧٤) و (مسكويه : تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ٣٢ و٣٦) .

(2) أبوبكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين المعروف بالصولى الشطرنجى ، توفى مستترا فى سنة ٣٣٥ أو ٣٣٦ لأنه روى خبرا فى حق على بن أبى طالب ، فطلبته الخاصة والعامة لقتله ، فلم تقدر عليه ، وكان قد خرج من بغداد ، وله كتب فى الأخبار والأدب والتاريخ ، اهمها : أدب الكتاب وطبع فى القاهرة ١٣٤١ هـ ، والاوراق فى أخبار آل العباس وأشعارهم ، نشر جزءين منه المستشرق جمال الدين هيوارث دن .

(3) ج : « يوسف »

« ما أعجب أمور الدنيا ، قد جمعتْ هذه القُفَّةُ رؤوسَ هؤلاء ، وقد كان يضيق بهم فضاء المغرب » .

ثم إن المهدى خرج بنفسه يرتاد موضعاً على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة ، وكان يجد فى الكتب خروج أبى يزيد النكَّارى على دولته ، فلم يجد موضعاً أحسن ولا أحصن من موضع المهديَّة ، وهى جزيرة متصلة بالبر كهيئة كَفٍّ متصلة بزَنْد ، فبناها ، وجعلها دار ملكه ، وجعل لها سورًا محكمًا ، وأبوابا عظيمة ، زنة كل مصراع مائة قنطار .

وكان ابتداء بنائها فى يوم السبت لخمسٍ خلوْن من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة ، فلما ارتفع السور أمر راميا بالقوس يرمى سهما إلى ناحية المغرب ، فرمى بسهم فانتهى إلى موضع المصلى ، فقال : « إلى موضع هذا يصل صاحبُ الحمار » - يعنى أبا يزيد الخارجى فإنه كان يركب حمارا - .

وكان يأمر الصناع بما يعملون ، وأمر أن تُنقر دار صناعة[1] (١٠ ب) فى الجبل تسع مائة شينى[2] ،

---

(١) دار الصناعة ، ويقال الصناعة فقط ، وقد عرفها (المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٩٧) بأنها « اسم لمكان قد أعد لانشاء المراكب البحرية » ، وقد عنيت الدول الاسلامية المختلفة بانشاء الأساطيل ، وكان أكثرها عناية بها الدولة الفاطمية ، وذلك منذ قيام الدولة فى المغرب كما يتضح من النص هنا ثم زادت عنايتهم بدور الصناعة والأسطول بعد نزوحهم الى مصر ، انظر المرجع السابق ، ص ٣١٣ - ٣١٥ ، وقد أخذ الأوربيون فى العصور الوسطى هذا اللفظ عن العربية فهو فى الفرنسية Arsenale ، وفى الانجليزية Arsenal ، وفى الأسبانية Darsena ، ومن عجب أننا نسينا اللفظ العربى عندما قلت عنايتنا بالأساطيل ، فلما كان عصر محمد على وبدأنا نعنى من جديد بانشاء دار للصناعة أخذنا اللفظ الأجنبى المحرف وزدنا فى تحريفه فكان الترسانة .

(٢) الشينى أو الشانى أو الشينية أو الشونة ، والجمع شوانى ، السفينة الحربية وقال (الزبيدى : تاج العروس) انها من أصل مصرى ، وذكر (ابن مماتى : قوانين الدواوين ، طبعة الدكتور عطية ، ص ٣٤٠ ، ٣٥٦) أن الشينى كانت تسير بمائة وأربعين مجدافا وفيها المقاتلة والجدافون ، وظل هذا اللفظ مستعملا حتى العصر العثمانى . انظر (القاموس) و (على مبارك ، الخطط ، ج ١٤ ، ص ٨١) و (المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ و ٣٥٦ و ٣٥٨) و (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٥١ ، هامش ٣) و (البتانونى : رحلة الأندلس ، ص ١٤١) ، وهذه المادة موجز عن مخطوطتنا التى لم تنشر بعد وعنوانها « معجم أسماء السفن العربية » .

وعليها باب مغلق ، ونقر فى أرضها (١٠ ب) أهراء[١] للطعام ، ومصانع[٢] للماء ، وبنى فيها القصور والدور ، فلما فرغ منها قال : « اليوم آمنت على الفاطميات » - يعنى بناته - ، وارتحل عنها .

ولما رأى إعجاب الناس بها وبحصانتها قال : « هذه بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار » ، فكان كذلك ، لأن أبا يزيد وصل إلى موضع السهم ووقف فيه ساعة [وعاد] ولم يظفر .

فلما كان فى سنة ست وثلاثمائة جهزّ المهدىُّ جيشا كثيفا مع ابنه أبى القاسم إلى مصر ، وهى المرة الثانية ، فوصل الاسكندرية فى ربيع الآخر ، ودخلها القاسم ، ثم سار منها ، وملك الأشمونين وكثيرا من الصعيد ، وكتب إلى أهل مكة[٣] يدعوهم إلى طاعته ، فلم يقبلوا منه ، فبعث المقتدر مؤنسًا الخادم فى شعبان ، فوصل إلى مصر ، وكانت بينه وبين القائم عدة وقعات .

ووصل من إفريقية ثمانون مركبا نجدةً للقائم من أبيه ، فأرست بالاسكندرية ، وعليها سليمان الخادم ، ويعقوب الكتامى ، وكانا شجاعين . فأمر المقتدر أن تسير مراكب طرسوس ، فسار إليهم خمس وعشرون مركبا ، فيها النفط والعدد ، فالتقت المراكب على رشيد ، فظفرت مراكب المقتدر ، وأحرقوا كثيرا من مراكب إفريقية ، وأهلك أكثر أهلها ، وأسر منهم كثير ، فيهم سليمان ويعقوب ، فمات سليمان بمصر فى الحبس ، وحُمل يعقوب إلى بغداد ، فهرب منها ، وعاد إلى إفريقية .

وغلب مُؤْنِس عساكر القائم ، ووقع فيهم الغلاء والوباء ، فمات كثير منهم ، ورجع من بقى إلى

---

(١) عرف صاحب القاموس الهرى (ج : أهـراء) بأنه بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان ، والذى جرى عليه مصطلح الدول الاسلامية فى العصور الوسطى أن الأهراء هى الأماكن التى تخزن بها الغلال والأتبان الخاصة بالخليفة والسلطان احتياطا للطوارىء ، وكانت لا تفتح الا عند الضرورة ، ويؤكد هذا المعنى استعمال اللفظ بالمتن هنا ، وفيمايلى عند حصار أبى يزيد للمهدية ، والأهراء بهذا غير الشون التى كان يخزن بها مايستهلك طول السنة من غلال وأحطاب وأتبان . انظر : (المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٥٠٨ ، حاشية الدكتور زيادة) و (اغاثة الأمة ، ص ٢٨ ، حاشية ٤ وص ٣١ و٣٣)

(٢) المصنعة مكان كالحوض يجمع فيه ماء المطر ، والجمع مصانع (القاموس) .

(٣) كان حاكم مكة فى تلك السنة هو الشريف محمد بن موسى . راجع (Zamb. Op. Ctt. P. 21)

إفريقية ، وفيهم القائم ، وتَلَقَّب مؤنس الخادم من حينئذ بالمُظَفَّر ، لغلبته عساكر المغرب غير مرة .

فلما كانت سنة خمس عشرة وثلاثمائة سيَّر المهدى ابنه أبا القاسم من المهدية إلى المغرب فى جيش كثير ، فى صفر ، بسبب خارجى خرج عليه ، وقتل خلقا ، فوصل إلى ما وراء تَاهَرْت .

وعاد فَخَطَّ برمحه فى الأرض صفة مدينةٍ سماها « المحمديَّة » ، وكانت خُطَّةً لبنى كَمْلان ، فأخرجهم منها إلى فَحْص القَيْروان ، كالمتوقِّع منهم أمرًا ، فلذلك أحب أن يكونوا قريبا منه ، وهم كانوا أصحاب أبى يزيد الخارجى .

«[1] وكان المهدى يُشبَّه فى خلفاء بنى العباس بالسفاح ، فإن السَّفاح خرج من الحميمة[2] بالشام ، يطلب الخلافة والسيف يقطر دما ، والطلب مراصد ، وأبو سلمة الخَلَّال[3] يؤسس له الأمر ، ويبث دعوته ، وعبيد الله خرج من سلمية فى الشام ، وقد أذكيت[4] العيون عليه ، وأبو عبد الله الشيعى ساعٍ فى تمهيد دولته ، وكلاهما تمَّ له الأمر ، وقتل مَنْ قام بدعوته[1] » .

وانتقل كثير من الناس إلى المحمدية ، وأمر عاملها أن يكثر من الطعام ، ويخزنه ويحتفظ به ، ففعل ذلك ، فلم يزل مخزونا حتى خرج أبو يزيد ، ولقيه المنصور بنُ القائم بنُ المهدى ، ومن المحمدية كان يمتار ما يريد إذ ليس بالموضع مدينة سواها .

فلما كان يوم الاثنين الرابع عشر ، وقيل وقت صلاة المغرب ليلة الثلاثاء النصف من ربيع الأول ، سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة توفى أبو محمد عبيد الله المهدى بالمهدية ، وأخفى ابنه أبو القاسم موته سنةً لتدبيرٍ كان له ، فإنه كان يخاف الناس إذا علموا بموت المهدى .

---

(١) هذه الفقرة وردت فى نسخة (ج) فى نهاية الكلام عن المهدى ، وقبل الكلام عن القائم بأمر الله مباشرة .

(٢) الأصل : « الخيمة » ، والتصحيح عن ج

(٣) حفص بن سليمان أبو سلمة الخلال من كبار دعاة العباسيين الأول ، كانت له جهود مشكورة فى الحوادث التى مهدت لسقوط الامويين ، مثل سنة ١٣٢ هـ . انظر :(الوفيات لابن خلكان ، وتاريخ الطبرى ، والكامل لابن الأثير ، ج ٥) .

(٤) ج : « أو كتب » .

وكان عمرُ المهدى لما توفى ثلاثا وستين سنة - لم تكمل - .

وكانت ولايته - منذ دخل رقادة ودعى له بالإمامة إلى أن توفى - أربعا وعشرين سنة ، وعشرة أشهر ، وعشرين يومًا .

وقيل : كانت ولادته بسلمية من أرض الشام فى سنة تسع وخمسين ، وقيل سنة ستين ومائتين ؛ وقيل : وُلد بالكوفة .

ودُعى له على منابر رقادة والقيروان يوم الجمعة لسبع بقين من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين .

وتوفى ليلة الثلاثاء منتصف ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

ونقش خاتمة : « بنصر الإله المجد ، ينتصر الإمام أبو محمد » .

وقال فيه سعدون الورجيلى :

كُفِّى عَنْ التَشْبِيطِ إنِّى زائرٌ ... مِنْ أَهْلِ بَيتِ الوَحْيِ خَيْرَ مَزُورِ
(١١١) هذا أَميرُ المؤمنين تَضَعْضَعَتْ ... لقدومه أَركانُ كُلِّ أَمِيرِ
هذا الإمامُ الفاطمىُّ وَمَنْ به ... أَمِنَتْ مَغَاربُها مِنَ المحْذُور
والشرقُ ليس لِشَامِهِ وعِرَاقِهِ ... مِنْ مَهْرَبٍ من جَيْشِهِ المنصورِ
حتّى يفوزَ مِنَ الخلافةِ بالغ ... ويُفازَ مِنْهُ بعَدْلِهِ المنْشُور

القائم بأمر الله أبو القاسم محمد
(وقيل عبد الرحمن) بن المهدى عبيد الله

وُلد بسَلَمِيَة فى المحرم سنة ثمانين – وقيل سبع وسبعين – ومائتين ، ورحل مع أبيه إلى المغرب ، وعهد إليه من بعده .

فلما مات أبوه ، وفرغ من جميع ما يريده ، وتمكَّن ، أظهر موتَ أبيه ، وتبع سُنَّةَ أبيه ، وثار عليه جماعةٌ ، فتمكَّن منهم .

وخرج عليه ابن طالوت فى ناحية طرابلس ، فبعث إليه وقتله ، .وجهَّز جيشا كثيرا إلى المغرب ، فهزم خارجيًّا هناك .

وسيَّر جيشا فى البحر إلى بلد الروم ، فسبى وغنم فى بلد جِنْوَه .

وسيَّر جيشا بالغ فى النفقة عليهم إلى مصر ، فدخلوا الاسكندرية ، فبعث الأَخشيدُ فهزمهم .

ذكر
أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي

وحروبه

وذلك أنه لما كان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خرج أبو يزيد بن كَيْداد النُّكَّارى الخارجى بإفريقية ، واشتدت شوكتُه ، وكثرت أتباعه ، وهزم الجيوش .

وكان ابتداء أمره أنه من زَناتَة من مدينة تُوزَر ، وكان أبوه يختلف إلى بلاد السودان للتجارة ، فوُلد له بها أبو يزيد من جارية صفراء هَوَّارِيَّة ، فأَتى به إلى تُوزَر ، فنشأ بها ، وتعلَّم القرآن ، وخالط جماعة من النُّكارِيَّة ، فمالت نفسه إلى مذهبهم ، ثم سافر إلى تاهَرْت ، فأقام بها يعلِّم الصبيان إلى أن خرج أبو عبد الله الشيعى إلى سِجِلْماسة فى طلب عبيد الله المهدى ، فانتقل إلى تَقْيُوس(1) ، واشترى ضَيْعَةً ، وأقام يُعَلِّم الناسَ فيها .

وكان مذهبه تكفير أهل الملة ، واستباحة الأموال والدماء ، والخروج على السلطان ، فابتدأ يحتسب على الناس فى أفعالهم ، وصار له جماعة يعظمونه ، وذلك فى أيام المهدى سنة ست عشرة وثلاثمائة .

وتزايدت شوكته ، وكثرت أتباعه فى أيام القائم ، وحاصر باغاية ،(2) وهزم الجيوش الكثيرة ، ثم حاصر قسطيلية (3) سنة ثلاث وثلاثين ، وفتح تَبِسَّة ومجانة ، وهدم سورها ، ودخل مدينة مَرْمَجِنَّة (4) ، فلقيه رجل من أهلها ، وأهدى له حمارا أشهب مليح الصورة ،

---

(1) مدينة بافريقية قريبة من توزر . (ياقوت : معجم البلدان)

(2) يوجد بالهامش فى النسختين تعريف بهذه المدينة نصه :

« باغاية مدينة بافريقية ، ذات أنهار ومزارع على مقربة من جبل أوراس المتصل بالسوس ، الذى يعرف بجبل المصامدة ، المسمى بدرن » .

(3) ذكر (البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١٨٢) أن بين قسطيلية والقيروان مسيرة سبعة أيام .

(4) هكذا رسمها البكرى فى (المغرب ، ص ١٤٥) ، وذكر أنها قريبة من مجانة ، وأنها مدينة لطيفة بها جامع وفندق وسوق .

فركبه من ذلك اليوم ، وصار يُعرف براكب الحمار ، وكان قصيرا أعرج يلبس جبة صوف قصيرة ، وكان قبيح الصورة .

ثم إنه هزم كتامة ، وافتتح سبتية [1] ، وصلب عاملها ، وفتح مدينة الأُرْبُس [2] ، وأحرقها ونهبها ، والتجأ الناس إلى الجامع فقتلهم فيه ، وبلغ ذلك أهل المهدية فاستعظموه ، وقالوا للقائم : «الأُرْبُس باب إفريقية ، ولما أُخذت زالت دولةُ بنى الأغلب» ، فقال : «لابد أن يبلغ أبو يزيد المصلى ، وهى أقصى غايته» .

وأخرج القائم الجيوش لضبط البلاد ، وجمع العساكر ، وبعث جيشا مع فتاه ميسور ، وجيشا مع فتاه بشرى ، فسار أبو يزيد وواقع بشرى على باجة ، فانهزم أبو يزيد ، وصار فى أربعمائة ، فمال إلى خيام بشرى وانتهبها ، فانهزم بشرى إلى تونس وقتل كثير من عسكره ، وملك أبو يزيد باجة ، وحرقها ، ونهبها ، وقتل الأطفال ، وأخذ النساء ، وكتب إلى القبائل يدعوهم إلى نفسه فأتوْه ، وعمل الأَخْبِيَة [3] والبنود [4] وآلات الحرب .

وجمع بشرى جيشا وأنفذه إلى أبى يزيد ، فسير إليهم أبو يزيد جيشا ، والتقوا ، وانهزم أصحاب أبى يزيد .

وكانت فتنة بتونس ، وهرب عاملها ، وكاتبوا أبا يزيد فأمَّنهم ، وولى عليهم رجلا منهم ، فخافه الناس ، وانتقلوا إلى القيروان ، وأتاه كثير منهم ، ثم لقيه بشرى ، فانهزم عسكر أبى يزيد ، وقُتل منهم أربعة آلاف ، وأسر خمسمائة ، وبعث بهم إلى المهدية فى السلاسل ، فقتلهم العامة .

فغضب لذلك أبو يزيد ، وجمع الجموع .

---

(١) ج : « سبيبة » .

(٢) ذكر ياقوت ان الأربس مدينة وكورة بافريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب ، وقال البكرى : الأربس مدينة مسورة لها ربض كبير ، واليها سار ابراهيم بن الأغلب حين خرج من القيروان سنة ٢٩٦ . انظر ايضا: (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) جاء فى القاموس : « الخباء من الابنية يكون من وبر أو صوف أو شعر

(٤) البند ـ العلم الكبير .

(١١ ب) وسار إلى قتال الكتاميين فتلاقى مع طلائعهم ، فانهزمت الطلائع ، وتبعهم البربر إلى رَقَادَة ، فنزل أبو يزيد بالقرب من القَيْروان فى مائة ألف مقاتل ، وقاتل أهل رَقَادَة ، فقتل من أهل القيروان خلقا كثيرا ، ودخل القيروان عسكره فى أواخر صفر ، فانتهبوا البلد وقتلوا ، وأخذ عامل القيروان (١) فحمل إلى أبي يزيد فقتله .

وخرج شيوخ القيروان إلى أبي يزيد – وهو برقادة – فطلبوا الأمان فماطلهم ، وأصحابه يقتلون وينهبون ، فعادوا إلى الشكوى وقالوا :

« خربت المدينة » .

فقال : « وما تكون ؟ خربت مكة والبيت المقدس ؟! »

ثم قدم ميسور فى عساكر عظيمة ، فالتقى (٢) بأبي يزيد ، واشتد القتال بينهما ، وقُتل ميسور ، وحُمل رأسه إلى أبي يزيد ، فانهزم عامة عسكره .

وسيَّر أبو يزيد الكتب إلى عامة (٣) البلاد يخبر بهذا الظفر ، فخاف القائم ومَنْ معه بالمدينة ، وانتقل الناس من أرباضها ، فاحتموا بالسور ، فمنعهم القائم ، ووعدهم الظفر ، فعادوا إلى زويلة واستعدوا ، وأقام أبو يزيد شهرين وثمانية أيام فِى خِيَم مَيْسور ، وهو يبعث السرايا إلى كل ناحية ، فيغنمون ويعودون ، وفتح سُوسَة (٤) بالسيف ، وقتل الرجال ، وسبى النساء ، وأحرق البلد ، وشقَّ أصحابُه فروج النساء ، وبقروا البطون ، حتى لم يبقَ موضع فى إفريقية معمور ، ولا سقف مرفوع ، ومضى جميع من بقى إلى القيروان حفاة عراة ، فمات أكثرهم جوعا وعطشا .

---

(١) كان قائد جيش أبي يزيد اسمه « أيوب الزويلى » ، أما عامل رقادة فاسمه خليل ، انظر تفصيلا أكثر للحوادث فى : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٦٥)

(٢) الأصل : « فالتقيا » والتصحيح عن (ج) .

(٣) الأصل : « عاملة » ، والتصحيح (ج) .

(٤) ذكر ياقوت فى معجمه أنها مدينة صغيرة بنواحى افريقية بينها وبين سفاقس يومان ، كان أكثر اهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة ، وبينها وبين المهدية ثلاثة أيام ، وبين القيروان وبينها ستة وثلاثون ميلا ، ويحيط بها البحر من ثلاث نواح من الشمال والجنوب والشرق ، وقال : « وحاصرها أبويزيد مخلد بن كيداد الخارجى شهورا ثم انهزم عنها ، وكان عليها فى ثمانين ألفا » .

وفى أواخر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة حفر القائم الخنادق حول أرباض المهدية ، وكتب إلى زيرى[1] بن منادٍ سيد صِنْهَاجَة ، وإلى سادات كُتَامَة والقبائل يحثهم على الاجتماع بالمهدية ، فتأهبوا للمسير إليه .

ورحل أبو يزيد نحو المهديّة ، فنزل على خمسة عشر ميلا منها ، وبثّ سراياه فانتهبوا ما وجدوا ، وقتلوا من أصابوا .

فلما كان يوم الخميس لثمانٍ بقين من جمادى الأولى من السنة خرجت كُتَامَة وأصحاب القائم إلى أبى يزيد ، فالتقوا على ستة أميال من المهدية ، واقتتلوا مع أصحاب أبى يزيد ، وأدركهم أبو يزيد وقد انهزم أصحابه وقُتل كثير منهم ، فلما رآه الكتاميون انهزموا من غير قتال ، وأبو يزيد فى أثرهم إلى باب الفتح .

واقتحم قوم من البربر باب الفتح ، وأشرف أبو يزيد على المهدية ، ثم رجع إلى منزله ، وعاد إلى المهدية ، ووقف على الخندق المحدث ، وقاتل عليه حتى وصل إلى باب المهدية عند المصلى الذى للعيد – وبينه وبين المهدية رمية سهم – ، وتفرّق أصحابُه فى زويلة ينهبون ويقتلون ، وهم لا يعلمون ما صنع أبو يزيد فى ذلك الجانب ، فحمل الكتاميون على البربر ، وهزموهم وقتلوا منهم .

ووصل زيرى بن مناد فعظم القتال[2] ، وتحيّر أبو يزيد ، وقد مالوا عليه ليقتلوه ، فتخلّص إلى منزله بعد المغرب ، ورحل إلى ترنوطة[3] ، وحفر على عسكره خندقا ، واجتمع

---

(١) الأصل : « ابن زيرى » والتصحيح عن (ج)

(٢) انظر تفصيل الحديث عن هذا القتال فى :(ابن الأثير: الكامل ، ج ٨ ، ص ١٦٦–١٦٧) ولاحظ أن هذا الفصل كله موجز عن ابن الأثير ، فالمقريزى ينقل عنه بعض الجمل نقلا حرفيا ، ويختصر بالحذف أو التغيير البسيط عند نقل البعض الآخر •

(٣) ذكرها (البكرى : المغرب ، ص ٣١) على أنها ترنوط – لا ترنوطة – ، وقال انها فحص على ستة أميال من المهدية، ومنها زاحف أبويزيد المهدية ، وبهذا الفحص كانت محلته أيام حصار المهدية » •

إليه خلق عظيم من إفريقية والبربر ونَفُوسَة ، والزاب ، وأقاصى المغرب ، فحصر المهدية حصارًا شديدًا ، ومنع الناس من الدخول إليها والخروج منها .

ثم زحف إليها لسبع بقين من جمادى الآخرة ، فجرى قتال عظيم قُتل فيه جماعة من وجوه عسكر القائم ، واقتحم أبو يزيد بنفسه حتى وصل قرب الباب ، فعرفه بعضُ العبيد فقبض على لجامه وصاح :

« هذا أبو يزيد فاقتلوه » .

فأتاه بعض أصحابه وقطع يد العبد وخَلُص أبو يزيد ؛ وكتب إلى عامل القيروان بإرسال مقاتلة أهلها إليه ، ففعل ذلك ، وزحف بهم آخر رجب ، فجرى قتال شديد وانهزم أبو يزيد هزيمة منكرة ، وقُتل جماعة من أصحابه وأكثر أهل القيروان .

ثم زحف الزحفة الرابعة في العشر الآخر من شوال ، فجرى قتال عظيم ، وانصرف إلى منزله ، وكثر خروج الناس إليه من الجوع والغلاء ، ففتح عند ذلك القائمُ الأهراء التى عملها أبوه المهدى ، وفرّق ما فيها على رجاله ، وعظم البلاء على الرعية ، حتى أكلوا الدواب والميتة وخرج من المهدية أكثر السوقة والتجار ، ولم يبقَ بها سوى الجند ، فكان البربر يأخذون مَن خرج ، ويشقّون بطونهم طلبًا للذهب .

ثم وصلت كُتَامَة فنزلت بقُسطَنْطينَة ، فخاف أبو يزيد ، وكان البربر يأتون إلى أبي يزيد من كل ناحية فينهبون [١٢ ا] ويرجعون إلى منازلهم ، حتى أفنوا ما كان في إفريقية ، فلما لم يبقَ مع أبي يزيد سوى أهل أوراس وبنى كَمْلان أخرج عسكره . فكان بينهم قتال شديد لست خَلَوْن من ذى القعدة ، ثم صبحوهم من الغد فلم يخرج إليهم أحد .

ثم زحفت عساكر القائم إليه ، فخرج من خندقه ، واشتد بينهم القتال ، ثم عادوا إلى

---

(١) قال ياقوت : « نفوسة جبال فى المغرب بعد افريقية عاليـة نحو ثلاثة أميال فى أقل من ذلك .. وطول هذا الجبل مسيرة ستة أيام من الشرق الى الغرب ، وبين جبل نفوسة وطرابلس ثلاثة أيام ، وبينه وبين القيروان ستة أيام .. وافتتح عمرو بن العاص نفوسه وكانوا نصارى ، ومن جبل نفوسه رجع عمرو بن العاص بكتاب ورد عليه من عمر بن الخطاب »

القتال ، فانهزم عسكر القائم ، وعاد الحصار على ما كان عليه ، وهرب كثير من أهل المهدية إلى جزيرة صقلية ، وطرابلس ، ومصر ، وبلد الروم .

فلما كان آخر ذى القعدة اجتمع لأبي يزيد جمعٌ عظيم ، وتقدم إلى المهدية ، فقاتل عليها ، وكاد أن يؤخذ ، ثم خلص .

ودخلت سنة أربع وثلاثين .

وهو مقيمٌ على المهدية .

وفى المحرم منها ظهر بإفريقية رجل يدعو إلى نفسه ، فأجابه كثير من الناس ، وادعى أنه رجل عباسى ورد من بغداد ، ومعه أعلامٌ سود ، فظفر به أصحاب أبي يزيد وساقوه إليه فقتله .

وفرّ بعض أصحاب أبي يزيد إلى المهدية ، وخرجوا مع أصحاب القائم ، فقاتلوا أبا يزيد فظفروا ، وتفرّق عند ذلك أصحاب أبي يزيد ، ولم يبق معه غير هوّارة وبنى كملان وكان اعتماده عليهم .

ورحل بقية أصحابه إلى القيروان ، ولم يشاوروا[1] أبا يزيد ، فرحل مسرعا فى طائفة ، وترك جميع أثقاله ، وذلك فى سادس صفر ، فنزل مصلى القيروان ، فخرج أهل المهدية إلى أثقاله ، فغنموا طعاما كثيرا وخياما ، فحسنت حالهم ، ورخصت الأسعار ، وبعث القائم إلى البلاد عمالا يطردون عمال أبي يزيد .

ثم إن أبا يزيد بعث عسكرا إلى[2] تونس فدخلوها بالسيف فى العشرين من صفر ، فنهبوا جميع ما فيها ، وسبوا النساء والأطفال ، وقتلوا الرجال ، وهدموا المساجد ، والتجأ كثير من الناس إلى البحر فغرقوا . فسيّر القائم عسكرا لقتال أصحاب أبي يزيد فى تونس ، فانهزم عسكر القائم ، وتبعهم أصحاب أبي يزيد ، فكرّ عليهم عسكرُ القائم وصبروا ، فانهزم أصحاب أبي يزيد ، وقُتل منهم خلق كثير .

(١) الأصل : « لم يشاور » ، والتصحيح عن (ج)
(٢) الأصل : « فى تونس » والتصحيح عن (ج)

ودخلوا إلى تونس خامس ربيع الأول ، فأخرجوا من فيها من أصحاب أبي يزيد ، فبعث أبو يزيد ابنه[1] فقتل أهل البلد ، وأحرق ما بقى فيه ، وتوجه إلى بَاجَة[2] ، فقتل مَنْ بها من أصحاب القائم ، ودخلها بالسيف وأحرقها ؛ وكان فى هذه المدة من القتل والسبى والتخريب ما لا يوصف .

وهمَّ جماعةٌ من أصحاب أبي يزيد بقتله ، وكاتبوا القائم بذلك ، فظفر بهم أبو يزيد فقتلهم ، وكثر النهب والسبى فى القيروان .

وكان القائم قد بعث يجمع العساكر من المسيلة وغيرها ، فاجتمع له خلقٌ كثير ، فطرقهم أيوب بن أبي يزيد على حين غفلة فقتل منهم ، وغنم أثقالهم ، وسيَّر جريدة إلى تونس ، فأوقعوا بعسكر القائم ، وتكررت الحرب بينهم ، فانهزم أصحاب أبي يزيد ، وقُتلوا قتلا ذريعا ، وأُخذت أثقالهم ، وانهزم أيوب إلى القيروان فى ربيع الأول ، فعظم على أبي يزيد ، وجمع على ابنه أيوب فسار (؟) ، وتوالت بينه وبين أصحاب القائم الحروب إلى أن هزمت أصحاب القائم من عسكر أبي يزيد ، ثم تجمعت عسكر القائم ، وواقعت أصحاب أبي يزيد على قسنطينة ، فانهزمت أصحاب أبي يزيد .

فجدَّ حينئذ أبو يزيد فى أمره ، وجمع العساكر ، وسار إلى سوسة سادس جمادى الآخرة ، وبها جيش القائم ، فحصرها حصرا شديدا ، وعمل عليها الدبابات[3]

---

(١) اسم هذا الابن « أيوب » ، راجع ابن الأثير فعنده تفصيلات وافية عن القتال حول المهدية .

(٢) قال ياقوت فى معجمه : « باجة فى خمسة مواضع ، منها باجة بلد بافريقية تعرف بباجة القمح ، سميت بذلك لكثرة حنطتها » وهى المقصودة هنا فقد قال البكرى : « وامتحن أهل باجة فى أيام أبى يزيد مخلد بالقتل والسبى والحريق .. الخ » .

(٣) الدبابات جمع دبابة ، وقد وصفها (الحسن بن عبد الله : آثار الأول ، ص ١٩٢) بقوله « هى آلة سائرة تتخذ من الخشب الثخين المتلزز ، وتغلف باللبود والجلود المنقعة فى الخل لدفع النار ، وتركب على عجل مستديرة ، وتحرك فتنجر ، وربما جعلت برجا من الخشب ، ودبر فيها هذا التدبير ، وقد يدفعها الرجال فتندفع على البكر ، وقد وصف (العماد الأصفهانى فى كتاب الفتح القسى) ، و (ابن واصل فى مفرج الكروب) احدى دبابات الفرنج فقالا انها كانت دبابة عظيمة هائلة ولها أربع طباق وهى خشب ورصاص وحديد ونحاس ، أنظر أيضا (نعمان ثابت : الجندية فى الدولة العباسية) و (المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٥٦ ، حاشية ٨) و (Dozy : Supp. Dict. Arab)

والمنجنيقات[1] ، وقُتل من أهلها خلق كثير .

فلما كان فى شهر رمضان مات القائم ، وقام من بعده ابنه المنصور ، فكتم موت أبيه خوفا من أبى يزيد ، وعمل المراكب وشحنها بالرجال ، وسيّرها إلى سوسة ، وسار بنفسه إليها ، ثم عاد ، وقدمت المراكب فواقعت أبا يزيد حتى انهزم هو وأصحابه ، وأحرقوا خيامه ، فدخل أبو يزيد إلى القيروان ؛ وفرّ البربر على وجوههم ، فمات أكثرهم جوعا وعطشا .

ومنع أهل القيروان أبا يزيد من دخول البلد ، وحصروا عامله بها ، فالتحق به ، وأخذ أبو يزيد امرأته - أم أيوب - ، وتبعه أصحابه بعيالاتهم على سبيبة ، - وهى على يومين من القيروان - فنزلوها .

[و] سار المنصور إلى مدينة سوسة لسبع بقين من شوال ، وبعث فنادى فى الناس بالأمان ، ورحل إلى القيروان لست بقين من شوال ، فخرج إليه الناس فأمّنهم ، ووجد بالقيروان حرما وأولادا [١٢ ب] لأبى يزيد ، فحملهم [إلى المهدية] وأجرى عليهم الأرزاق .

وجمع أبو زيد العساكر ، وبعث سريّة يتخبرون له ، فأرسل إليهم المنصور سرية ، فالتقوا واقتتلوا ، وهزموا أصحاب المنصور ، وبلغ الناس ، ذلك فتسرعوا إلى أبى يزيد وكثر جمعه ، وزحف إلى القيروان ، فواقعه المنصور حتى ظفر ، وباشر بنفسه القتال ، وجعل يحمل يمينا وشمالا ، والمظلة[2] على رأسه كالعَلَم ، ومعه نحو خمسمائة فارس ، وأبو يزيد فى قدر

---

(١) المنجنيق - بفتح الميم وكسرها - أو المنجنوق، أو المنجنيق، والجمع مجانيق ومناجيق لفظ أعجمى معرب ، وهو آلة من آلات الحصار فى العصور الوسطى ، وقد وصفه صاحب صبح الأعشى (ج ٢ ، ص ١٤٤) بأنه آلة خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل ، رأسه ثقيل ، وذنبه خفيف تجعل كفة المنجنيق التى يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفه فيخرج الحجر منه ، فما أصاب شيئا الا أهلكه

وانظر أيضا التفسير اللفظ وأصله اللغوى: (الجواليقى : المعرب ، ص ٣٠٥-٣٠٧) ، وفى (كتاب آثار الأول ، ص ١٩١ - ١٩٣) وصف واف ممتع للمنجنيق وطرق استعماله . انظر أيضا : (نعمان ثابت : الجندية فى الدولة العباسية ، ص ١٩٠ - ١٩٣) .

(٢) عرف (القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٧و٨) المظلة بأنها قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة ، مطلية بالذهب ، تحمل على رأس السلطان فى العيدين ، ثم قال بأنها كانت تستعمل فى العهد المملوكى ، وأنها من بقايا الدولة الفاطمية ، ويفهم من المتن هنا أنهم كانوا يستعملونها فى المغرب أولا ، انظر أيضا (نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٤٦٩) .

ثلاثين ألفا ، فانهزم أصحاب المنصور هزيمة عظيمة حتى دخلوا الخندق ، وبقى المنصور فى نحو عشرين فارسا وقصده أبو يزيد ، فلما رآه شهر سيفه ، وثبت مكانه ، وحمل بنفسه على أبى يزيد ، حتى كاد يقتله ، فولى أبو يزيد هاربًا ، وقتل المنصورُ من أدرك منهم ، وتلاحقت به العساكر ، فقتل من أصحاب أبى يزيد خلقًا كثيرًا .

وكان يوماً من الأيام المشهودة التى لم يكن فيما مضى من الأيام مثله ، وعاين الناس من شجاعة المنصور ما لم يظنوه ، فزادت مهابتهُ فى قلوبهم .

ورحل أبو يزيد عن القيروان أواخر ذى القعدة ، ثم عاد إليها غير مرّة ، فلم يخرج إليه أحد ، [و] نادى المنصور :

« من أتى برأس أبى يزيد فله عشرة آلاف دينار » .

وأذن للناس فى قتال أبى زيد ، فجرى قتال شديد انهزم فيه أصحاب المنصور حتى دخلوا الخندق ، ثم عادوا فهزموا أصحاب أبى يزيد ، وافترقوا وقد انتصف بعضهم من بعض ، وكثرت القتلى من الفريقين ، وعادت الحرب بينهما غير مرة ، وأبو يزيد يبعث السرايا فيقطع الطريق بين المهدية والقيروان وسوسة .

ثم إنه بعث إلى المنصور يسأل حرمه وعياله الذين خلّفهم بالقيروان وأخذهم المنصور ، ليدخل فى طاعته ، على أن يؤمنه وأصحابه ، وحلف على ذلك بأغلظ الأيمان ، فسيّر إليه المنصور عياله مكرمين ، بعد أن وصلهم وكساهم ، فلما وصلوا إليه نكث ، وقال :

« انما وجهّهم خوفا منى » .

[و] انقضت سنة أربع وثلاثين وهم على حالهم .

ففى خامس المحرم سنة خمس وثلاثين زحف أبو يزيد ، وركب المنصور ، وكان بينهما قتالٌ ما سمع بمثله ، وحملت البربر على المنصور ، وحمل عليها ، وجعل يضرب فيهم ، فانهزموا بعد أن قُتل خلق كثير .

فلما انتصف المحرم عبّى المنصور عسكره ، فجعل على ميمنته أهل إفريقية ، وعلى ميسرته كتامة ، وركب فى القلب ومعه عبيده وخاصته ، فوقع بين الفريقين قتال شديد ،

وحمل أبو يزيد على ميمنة المنصور فهزمها ، ثم حمل على القلب فوقع إليه المنصور ، وقال :

« هذا يوم الفتح إن شاء الله تعالى » .

وحمل فيمن معه حملة رجل واحد ، فانهزم أبو يزيد ، وأخذت السيوف أصحابه ، فولوا منهزمين ، وأسلموا أثقالهم ، وفرّ أبو يزيد على وجهه ، وقد قُتل من أصحابه مالايحصى كثرة ، حتى أن الذى أخذه أطفال أهل القيروان خاصة من رؤوس القتلى عشرة آلاف رأس .

وأقام المنصور يتجهز ، ثم رحل أواخر ربيع الأول ، فأدرك أبا يزيد ، ففرّ منه فتبعه ، وصار كلما قصد أبو يزيد موضعا يتحصن فيه يسبقه المنصور إليه ، واستأمن بعضُ أصحابه فأمّنه المنصور ، واستمر الهرب بأبي يزيد حتى وصل إلى جبل البربر - وأهله على مذهبه - ، وسلك الرمال ، فاجتمع معه خلق كثير ، وواقع عسكر المنصور ، فهزم الميمنة ، وحمل عليه المنصور بنفسه فانهزم ، وتبعه المنصور إلى جبال وعرة ، وأودية عميقة خشنة الأرض ، فمنعت الأدلاءُ المنصورَ من سلوك تلك الأرض ، وقالوا إنه لم يسلكها جيشٌ قط .

واشتدّ الأمر على عسكر المنصور ، فبلغ عليقُ كلّ دابة دينارا ونصفا ، وبلغت قربة الماء دينارا ، هذا وما وراء ذلك رمال وقفار وبلاد السودان التى ليس فيها عمارة ، وقيل للمنصور :

« إن أبا يزيد اختار الموت جوعا وعطشا على القتل بالسيف » .

فلما سمع المنصور ذلك رجع إلى بلاد صنهاجة ، فاتصل به الأمير زَيْرى بن منادٍ الصنهاجى ، بعساكر صنهاجة ، فأكرمه المنصور ، وأتته الأخبار بموضع أبي يزيد من الرمال .

ونزل بالمنصور مرضٌ شديد أشفى منه ، فلما أفاق من مرضه رحل إلى المسيلة ثانى رجب ، فإذا أبو يزيد قد سبقه إليها لما سمع بمرض المنصور وهو يحاصرها ، فلما علم بالمنصور هرب منه [١٣ ا] يريد بلاد السودان ، فخدعه بنو كملان - هم وهوارة - ومنعوه من ذلك ، وأصعدوه إلى جبال كتامة وغيرهم فتحصن بها ، واجتمع إليه أهلها ، وصاروا ينزلون ويتخطفون الناس ، فسار المنصور عاشر شعبان إليه ، فلم ينزل أبو يزيد ، فلما أخذ المنصور فى العود ، نزل أبو يزيد إلى ساقة العسكر ، فرجع المنصور ، ووقعت الحرب ، فانهزم أبو يزيد ، وأسلم أصحابه وأولاده ، وأدركه فارسان فعقرا فرسه ، فسقط عنه ، فأركبه بعض أصحابه ،

وأدركه الأمير زَيْرى فطعنه وألقاه ، وكثر عليه القتال حتى خلّصه أصحابه ، وخلصوا به ، وتبعهم المنصور فقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف .

وسار المنصور فى أثره أول رمضان . فاقتتلوا أشد قتال . ولم يقدر أحد الفريقين على الهزيمة لضيق المكان وخشونته ، ثم انهزم أبو يزيد ، وطلع أصحابه على رؤوس الجبال يرمون بالصخر ، واشتد الأمر حتى تواخذوا بالأيدى ، وكثر القتل حتى ظنوا أنه الفناء ، وافترقوا على السواء .

والتجأ أبو يزيد إلى قلعة [كتامة وهى](1) منيعة فاحتمى بها ، وأقبلت هوّاره وأكثر مَنْ مع أبى يزيد يطلبون الأمان ، فأمّنهم المنصور ، وسار فحصر القلعة ، وفرّق جنده حولها ، فناشبه أبو يزيد القتال ، وزحف إليها المنصور غير مرّة حتى ملك بعضُ أصحابه مكانا من القلعة ، وألقوا فيها النيران ، فانهزم أصحاب أبى يزيد ، وقُتلوا قتلا ذريعا ، وامتنع أبو يزيد وأولاده فى قصر بالقلعة ومعه أعيان أصحابه ، فاجتمع أصحاب المنصور ، وأحرقوا شعارى الجبل حتى لايهرب أبو يزيد فصار الليل كالنهار .

فلما كان آخر الليل خرج أصحاب أبى يزيد وهم يحملونه على أيديهم ، وحملوا على الناس حملة منكرة ، فأفرجوا له ، ونجوا به ، ونزل من القلعة خلقٌ كثير ، فأُخذوا وأخبروا بخروج أبى يزيد ، فأمر المنصور بطلبه ، وقال :

« ما أظنه إلا قريبا منا » .

فبينما هم كذلك إذ جاء الخبرُ أن ثلاثة من أصحاب أبى يزيد حملوه من المعركة لقبح عرجه ، فذهب لينزل من الوعر فسقط فى مكان صعب ، فأخذ وحُمل إلى المنصور يوم الأحد لخمس بقين من المحرم ، وبه جراحات ، فلما رآه سجد شكراً لله . وقدم به والناس يكبرون حوله ، فأقام عنده إلى سلخ المحرم من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ؛ فمات من جراح كانت به ، فأمر [المنصور] بادخاله فى قفص عُمل له ، وجعل معه قردين يلعبان عليه ، وأمر بسلخ جلده ، وحشاه تبنا ، وكتب إلى سائر البلاد بالبشارة .

---

(1) زيد مابين الحاصرتين بعد مراجعة (ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٧٣) .

وخرج عليه – بعد أبى يزيد – عدةُ خوارج ، فظفر بهم المنصور .

ثم عاد المنصور إلى المهدية فى شهر رمضان سنة ست وثلاثين .

وكانت وفاة القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدى لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

وقام بالأمر من بعده ابنه أبو الطاهر إسماعيل المنصور بنصر الله ، وكتم موته خوفًا أن يعلم أبو يزيد ، فإنه كان على سوسة قريبا منه ، فأبقى الأمور على حالها ، ولم يتسمَّ بالخليفة ، ولا غيَّر السكَّة ولا الخطبة ولا البنود ، وبقى كذلك حتى فرغ من أمر أبى يزيد ، فلما فرغ منه أظهر موت أبيه ، وتسمَّى بالخلافة ، وعمل آلات الحرب .

ويقال إن القائم لم يَرْقَ سريرا ، ولا ركب دابة صيد منذ أفضى إليه الأمر حتى مات ، وإنه صلَّى مرَّة على جنازة ، وصلَّى مرة العيد بالناس .

وكانت مدة خلافته ثنتى عشرة سنة ، وسبعة أشهر ، واثنى عشر يوما .

وعمره ثمانيا وخمسين سنة ، وقيل أربعا وخمسين سنة ، وتسعة أشهر ، وستة أيام .

وأولاده :

أبو الطاهر إسماعيل .

وأبو عبد الله جعفر – ومات فى أيام (1) المعز –

وحمزة ، وعدنان ، وأبو كنانة – قبضوا بالمغرب –

ويوسف – مات ببرقة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة –

وعبد الجبار – توفى بمصر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة –

وأربع بنات .

وترك سبع سرارى .

---

(1) الأصل : « فى أيامه » ، والتصحيح عن (ج) .

وكانت قضاته :

إسحاق بن أبي المنهال ، ثم مات ، فولى أحمد بن يحيي - وقتله أبو يزيد لما فتح إفريقية في صفر سنة ثلاث وثلاثين - ، ثم أحمد بن الوليد .

ونقش خاتمه : «بنصر الدائم ، ينتصر الإمام أبو القاسم» .

وقال فيه أيوب بن إبراهيم :

(١٣ب) يا ابنَ الإمامِ المرتضَى ، وابن الو صيِّ المصطفى ، وابنَ النبيِّ المرسَلِ
الله أعطاك الخلافةَ واهبًا ورآك للإسلام أَمْنَعَ مَعْقِلِ
نِلْتَ الخلافةَ ، وهي أعظمُ رُتْبَةً نِيلَتْ ، وليستْ مِنْ عُلاكَ بأفضلِ
فمنعتَ حَوْزَتَها ، وحُطْتَ حريمها بالمشْرَفِيَّةِ والوَشِيجِ الذُّبَّلِ

وقال خليل بن إسحاق لما بعثه لقتال أبي يزيد :

وما ودَّعْتُ خَيْرَ الخَلْقِ طُرًّا ولا فارقْتُه عن طيبِ نَفْسِ
ولكنِّي طلبتُ به رِضاهُ وعَفْوَ اللهِ يومَ حُلُول رَمْسِ
فعاشَ مُمَلَّكًا ما لاحَ نَجْمٌ على الثَّقَلَيْنِ من جنٍّ وإنْسِ

المنصور بنصر الله
أبو الطاهر اسماعيل

ابن محمد القائم بن عبيد [الله] المهدى

وُلد بالمهدية فى أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وقيل ولد بالقيروان(١) فى سنة اثنتين وثلاثمائة ، وقيل بل فى سنة إحدى وثلاثمائة .

وبويع له فى شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

وتوفى يوم الأحد الثالث وعشرين من شوال ، وقيل يوم الجمعة مع الظهر سلخ شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، وسترت وفاته إلى يوم الأحد سابع ذى الحجة منها .

وكان له من العمر إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر .

وكانت ولايته الخلافة ـ بعد أبيه ـ ثمانى سنين ، وقيل : سبع سنين وعشرة أيام ، وقيل : كان عمره تسعا وثلاثين سنة .

وكان فصيحا بليغا خطيبا حاد الذهن ، حاضر الجواب ، بعيد الغور ، جيد الحدس ، يخترع الخطبة لوقته ؛ وأحواله التى تقدم ذكرها مع أبى يزيد وغيره تدل على شجاعته وعقله .

قال أبو جعفر أحمد بن محمد المروروذى(٢) :

« كنت مع المنصور فى اليوم الذى أظهره الله بمخلد بن كَيْداد أبى يزيد ، وهزمه ، فتقدمتُ إليه ، وسلمتُ عليه ، وقبلت يده ، ودعوت له بالنصر والظفر ، فأمرنى بالركوب ـ وقد جمع عليه سلاحه وآلة حربه ، وتقلد سيف جده ذا الفقار ، وأخذ بيده رمحيْن ـ فحدثته ساعة ، فجال به الفرس ، وردَّ أحدهما إلى يده اليسرى ، فسقط إحدى الرمحين من يده إلى الأرض ،

(١) الأصل : « بالعراق » وهو خطأ واضح ، والتصحيح عن (ج) .

(٢) المروروذى نسبة الى مرو الروذ ، وهى ـ كما ذكر ياقوت ـ مدينة قريبة من مرو الشاهجان ، بينهما خمسة أيام ، وينسب اليها أيضا بمروذى .

فتفاءلت له بالظفر ، ونزلت مسرعا ، فرفعت الرمح من الأرض ، ومسحتُه بكمى ، فرفعتُه إليه ، وقبلت يده ، وقلت :

فألقتْ عصاها واستقرَّ بها النوى كما قَرّ عينًا بالإياب المسافرُ

فأخذ المنصور الرمح من يدى وقال :

« هلاَّ قلتَ ما هو خير من هذا وأصدق ؟ » .

قال ، قلت : « وما هو ؟ » .

قال : قال الله عز وجل : « وأَوْحَيْنا إلى مُوسى أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَإذا هِيَ تَلْقَفُ ما يأْفِكون ، فَوَقَعَ الحقُّ وبَطَلَ ما كانوا يَعْمَلُون ، فغُلِبوا هُنالِكَ وانقَلَبُوا صاغرينَ(١) » .

قال : فقلت : « يا مولانا : أنت ابن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ ، وإمام الأُمة ، عليكم نزل القرآن ، ومن بيتكم درجتْ الحكم ، فقلتَ أنت بما عندك من نور النبوة ، وقال عبدك بما بلغه من علمه ومعرفته بكلام العرب وأهل الشعر » .

وكان الأمر كما قال ، فما هو إلا أن أشرف على عسكر أبي يزيد حتى ضرب الله فى وجوههم ، فقتلوا ، وأحرق عسكرهم وخيامهم بالنار ، وولى أبو يزيد فى بقية أصحابه خائبين إلى داخل المغرب .

ولما صارت الخلافة إلى المنصور فى الشهر الذى توفى أبوه فيه ، لم يغيِّر السكة ولا البنود ، وأقام على ذلك إلى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فأظهر موت أبيه بعد أن ظفر بأبي يزيد .

وكان سبب موته : أنه خرج إلى سَفَاقُس(٢) وتُونُس ، ثم إلى قَابِس(٣) ، وبعث يدعو

---

(١) الأصل : « فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين » وهذا خلط واضح ، فان الآية الأولى « فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون » هى الآية رقم ٤٥ من سورة الشعراء ، والآيتان التاليتان من سورة الأعراف . وقد رويت الآيات صحيحة فى نسخة (ج) وهى الآيات ١١٧ــ ١١٩ من سورة الأعراف .

(٢) ذكر ياقوت أنها مدينة من نواحى افريقية جل غلاتها الزيتون ، وهى على ضفة الساحل بينها وبين المهدية ثلاثة أيام ، وبين سوسة يومان ، وبين قابس ثلاثة أيام »

(٣) ذكر ياقوت أنها « مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية ، على ساحل البحر ، فيها نخل وبساتين غربى طرابلس الغرب ، وبينها وبين طرابلس ثمانية منازل . وكان فتحها مع فتح القيروان سنة ٢٧ » وقال البكرى : « وبين قابس والبحر ثلاثة أميال » .

أهل جِرْبة[1] إلى الطاعة فأجابوه ، وأخذ منهم رجالا وعاد ، وكانت سفرته شهرا .

وعهد إلى ابنه معدّ وجعله ولى عهده .

فلما كان شهر رمضان سنة إحدى وأربعين خرج متنزها إلى مدينة جَلولاء[2] - وهو (١٤ ا) موضع كثير الثمار ، وفيه من الأُتْرُج ما لا يحمل الجمل منه غير أربع أُتْرُجّات لعظمه - فحمل منه إلى قصره ، وكانت له حَظِيَّة[3] يحبها ، فلما رأتْ الأُتْرُج استحسنته ، وأحبت أن تراه فى أغصانه ، فأجابها إلى ذالك ، ورحل بها فى خاصته ، وأقام بها أياما ثم عاد إلى المنصورية ، فأصابه فى الطريق ريح شديد ، وبرد ومطر أقام أياما ، وكثر الثلج ، فمات جماعةٌ ممن معه .

واعتلّ المنصورُ عِلّةً شديدة ، ووصل المنصورية ، فأراد عبور الحمام فنهاه طبيبُه إسحاق ابن سليمان الإسرائيلى عن ذلك ، فلم يقبل ، ودخل الحمام ففنيت الحرارة الغريزية منه ، ولازمه السهر ، فأخذ طبيبه يعالج المرض دون السَهَر ، فاشتد ذلك على المنصور وقال لبعض خواصه :

« أما فى القيروان طبيبٌ غير إسحاق ؟ »

فأحضر إليه شاب من الأطباء يقال له : « أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبى خالد بن الجزار » ، فجمع له أشياءَ مخدِّرة[4] ، وكلّفه شَمَّها ، فنام ، وخرج وهو مسرور بما فعله ، فجاء إسحاق ليدخل على المنصور ، فقيل له إنه نائم ، فقال : « إن كان صُنع له شئٌ ينام منه فقد مات » ، فدخلوا عليه فإذا هو مَيِّت ، فدُفن فى قصره .

وأرادوا قتل ابن الجزار الذى صنع له المنوِّم ، فقام معه إسحاق ، وقال :

(١) جربة - بكسر الجيم أو فتحها - جزيرة بالمغرب من ناحية افريقيـة قرب قابس انظر : (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) هناك مدينتان تحمـلان هـذا الاسم « جلولاء » ، الأولى طسوج من طساسيج السـواد فى طريق خراسان ، بينهما وبين خانقيـن سبعة فراسخ ، والثـانية - وهى المقصودة هنا مدينة بافريقية بينها وبين القيـروان أربعة وعشرون ميلا ، راجع : (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) ذكر (ابن خلكان ، ج ١ ، ص ١٣٥) أن هذه الجارية كانت تسمى « قضيب » .

(٤) فى ابن الأثير وابن خلكان : « منومة »

« لا ذنب له ، إنما داواه بما ذكره الأطباء ، غير أنه جهل أصل المرض ، وما عرّفتموه ، وذلك أنني فى معالجته أقصد تقوية الحرارة الغريزية ، وبها يكون النوم ، فلما عولج بما يطفئها علمت أنه قد مات » .

وكان نَقْشُ خَاتَمِه : « بنصر الباطن الظاهر ، ينتصر الإمام أبو الطاهر » .

وكان يُشبَّه بأبى جعفر المنصور – من خلفاء بنى العباس – لأن كلا منهما اختلت عليه الدولة ، وأصفقت(۱) عليه الحروب ، وكاد يُسلُّ من الخلافة ، فهبَّ له ريحُ النصر ، وتراجع له أمره حتى لم يبقَ مخالف .

وأولاده :

أبو تميم المعز لدين الله :

وحَيْدَرَة – مات بمصر فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وصلى عليه العزيز بالله – .

وهاشم – مات بمصر فى ربيع الأول سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة ، وصلى عليه العزيز بالله – .

وطاهر – مات فى المحرم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة بالمغرب – .

وأبو عبد الله الحسين – مات بالمغرب – .

وخمسُ بنات :

هبة ، وأَرْوَى ، وأسماء – مِتْنَ بمصر أيام المعز لدين الله .

وأمُّ سَلَمَةَ – ماتت بمصر أيام العزيز بالله – .

ومنصورَة – ماتت بالمغرب – .

وكان له أمهات أولاد ثلاث .

وقضاته :

أحمد بن محمد بن أبى الوليد .

(۱) اصفقت اى اطبقت (القاموس) .

ثم محمد بن أبي المنصور .

ثم عبد الله بن قاسم[1] .

ثم على بن أبي سُفْيَان .

ثم أبو محمد زُرارة .

ثم أبو حنيفة النُعْمان بن محمد التميمي .

وحاجبه : جعفر بن على .

(1) ج : ابن هاشم

المعز لدين الله أبو تميم معد
ابن المنصور أبى الطاهر بن القائم أبى القـاسم محمد

ابن عبيد الله المهدى

قال : ولى الأمر بعد أبيه سلخ شوال - وقيل يوم الجمعة سابع عشر - سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة .

وأقام فى تدبير الأمور إلى سابع ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، وأذن للناس فدخلوا عليه وقد جلس لهم ، فسلّموا عليه بالخلافة ، وكان عمره أربعا وعشرين سنة .

ومولده بالمحمدية على أربع ساعات وأربع أخماس ساعة من يوم الاثنين الحادى عشر من رمضان سنة تسع(١) عشرة وثلاثمائة .

ومدة أيامه ثلاث وعشرون سنة ، وخمسة أشهر ، وسبعة عشر يوماً .

فلما كان فى سنة اثنتين وأربعين جالت عساكره فى جبل أوراس ، وكان ملجأً كلِّ منافق على الملوك ، يسكنه بنو كَمْلان ومَلِيلَة وبعض هوّارة ، ولم يدخلوا فى طاعة مَنْ تقدمه ، فأطاعوا المعز ، ودخلوا معه البلاد ، وتقدّم إلى نوابه بالإحسان إلى البربر ، فلم يبقَ منهم إلا مَنْ أتاه وشمله إحسان المعز ، فعظم أمره .

وفى سنة سبع وأربعين عظم أمر أبى الحسين جوهر عند المعز ، وعلا محله ، وصار فى رتبة الوزارة ، فسيّره فى صفر منها على جيش كثيف ، فيهم الأمير زيرى بن منادٍ(٢) الصنهاجى

(١) كذا فى الأصل ، وفى « ج » والخطط « سبع عشرة »

(٢) جاء فى الهامش بالأصـل تتمـة لهذا الاسم ونصها : « بخطه - أى بخط المؤلف - : زيرى بن منـاد بن مععوس (بدون نقط) بن زناك » .

وغيره ، فسار إلى تاهرت ، وحارب قومًا ، وافتتح مدنا ، ونهب وأحرق ، وسار إلى فاس[1] فنازلها مدة ، وسار إلى سِجِلْمَاسَة ، وقد قام بها رجل[2] وتلقب بالشاكر لله ، وخوطب بأمير المؤمنين ، ففرّ من جوهر فتبعه حتى أخذه أسيرًا .

ومضى [جوهر] إلى البحر المحيط. [١٤ ب] ، فأمر أن يصاد من سمكه ، وبعثه فى قلال الماء إلى المعز ، وسلك ما هنالك من البلاد فافتتحها ، ثم عاد فقاتل أهل فاس حتى افتتحها عنوة ، وقبض على صاحبها ، وجعله مع صاحب سجلماسة فى قفصين ، وحملهما إلى المعز بالمهدية ، وعاد فى أخريات السنة .

وفى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة كان إعذار[3] المعز لدين الله الأمراء بنيه : عبد الله ، وتزار ، وعقيل ؛ فحين عزم على طهورهم كاتب عُمَّاله وولاتِه من لدن برقة إلى أقصى سِجِلْماسة ، وما بين ذلك ، وما حوته مملكتُه إلى جزيرة صقلية وما والاها ، فى حضر وبدو ، وبحر وبر ، وسهل وجبل ، بطهور مَنْ وُجد من أولاد سائر الخلق ، حُرِّهم وعبدهم ، وأبيضهم وأسودهم ، ودنيئهم وشريفهم ، ومليهم وذميهم ، الذين حوتهم مملكته ، لمدة شهر ، وتوعَّد على ترك ذلك ، وأمرهم بالقيام بجميع نفقاتهم وكسوتهم ، وما يصلح أحوالهم من مطعم ومشرب وملبس وطيب وغيره بمقدار رتبهم وأحوالهم ، فكان من جملة المنفق فى ذلك مما حُمل إلى جزيرة صقلية وحدها من المال – سوى الخلع والثياب – خمسون حِمْلاً من الدنانير ، كلُّ حِمْلٍ عشرة آلاف دينار ، ومثل ذلك إلى كل عامل من عمال مملكته ليفرقه على أهل عمله .

وابتدىء بالختان فى مستهل ربيع الأول منها ، فكان المعز يطهر فى اليوم من أيام الشهر

---

(١) قال ياقوت : « هى مدينة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ، وهى حاضرة المغرب وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش .. وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها الا غرناطة بالأندلس » ، وقال البكرى : « مدينة فاس مدينتان مفترقتان مسورتان ، عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين . وأسست عدوة الأندلسيين .. فى سنة ١٩٢ ، وعدوة القرويين فى سنة ١٩٣ فى ولاية ادريس بن ادريس .. الخ » .

(٢) يوجز المقريزى هنا فى هذا الفصل عن: (الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص٢٠٧) واسم هذا الرجل هناك : « محمد بن واسول » .

(٣) أعذر الغلام وعذره أى ختنه ، وللقوم عمل طعام الختان (القاموس)

بحضرته اثنا(١) عشر ألف صبي وفوقها ودونها ، وخُتن من أهل صقلية وحدها خمسة عشر ألف صبي ، وكان وزن خِرَق الأكياس المفرغة مما أنفق فى هذا الإعذار مائة وسبعين قنطارا (٢) بالبغدادى .

واستدعى المعز – وهو بالمنصورية – فى يوم شاتٍ باردة الريح عدّة شيوخ من شيوخ كتامة ، وأمر بادخالهم إليه من غير الباب الذى جرى الرسم به ، فإذا هو فى مجلس مربع كبير مفروش باللبود على مطارح ، وحوله كساء ، وعليه جبة ، وحواليه أبواب مفتحة تُفضى إلى خزائن كتب ، وبين يديه مرفع ودواة ، وكتبٌ حواليه ، فقال :

« يا إخواننا : أصبحتُ اليوم فى مثل هذا الشتاء والبرد ، فقلتُ لأم الأمراء – وإنها الآن بحيث تسمع كلامى – : أترى إخواننا يظنون أنا فى مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ونتقلّب فى المُثْقل(٣) والديباج (٤) والحرير والفَنَك(٥) والسَّمُّور والمسك والخمر والغناء كما يفعل أرباب الدنيا ؟ !

ثم رأيت أن أنفذ إليكم فأحضركم لتشاهدوا حالى إذا خلوت دونكم واحتجبتُ عنكم ، وأنى لا أفضلكم فى أحوالكم إلا فيما لابد لى منه من دنياكم ، وبما خصّنى الله به من إمامتكم ، وأنى مشغول بكتبٍ ترد على من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطى ، وأنى لا أشتغل بشىء من ملاذ الدنيا إلا بما صان أرواحكم ، وعمّر بلادكم ، وأذلّ أعداءكم ، وقمع أضدادكم .

---

(١) فى النسختين : « اثنى » ، وما أثبتناه هو الصحيح

(٢) هـــذا اللفظ من أصـــل لاتينى هـو "Quintale" ، ومقابله بالفرنسية والاسـبانية والانجليزية "Quintal"

(٣) المثقل من الثياب ماكان منسوجا بالذهب .

(٤) الديباج من أقدم الاقمشـة الثمينة المعروفة فىالشرق قبل الاسلام،وكان يصنع فى الصين وأرمينية ، ويغلب أن يكون من الحرير . انظر :(عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية ، ص ٣٩ ، هامش ٣)

(٥)عرف (Dozy : Supp. Dict. Arab) الفنك بأنه نوع صـــغير جدا من الثعـالب فى حجم القط يسكن الأقاليم الحارة فى افريقية من الحبشـة ودارفور الى شمال القارة ، وجـاء فى (محيط المحيط) أن الفنك حيوان فروته أحسن الفراء وأعدلها ، قيل هو نوع من جراء الثعلب التركى، وقيل يطلق على جرو ابن آوى فى بلاد الترك ، والمقصود باللفظ هنا الفراء لا الحيوان .

فافعلوا يا شيوخ فى خلوتكم مثل ما أفعله ، ولاتظهروا التجبر والتكبر ، فينزع الله النعمة عنكم ، وينقلها إلى غيركم ، وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل إلىّ كتحننى عليكم ، ليتصل فى الناس الجميلُ ، ويكثر الخير ، وينتشر العدل .

وأقبلوا بعدها على نسائكم ، والزموا الواحدة التى تكون لكم ، ولا تشرهوا إلى التكثير منهن ، والرغبة فيهن ، فيتنغص عيشكم ، وتعود المضرةُ عليكم ، وتنهكوا أبدانكم ، وتذهب قوتكُم ، وتضعف نحايزكم (١) ؛ فحسبُ الرجل الواحد الواحدة ، ونحن محتاجون إلى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم .

واعلموا أنكم إذا لزمتم ما آمركم به رجوت أن يقرّب اللهُ علينا أمر المشرق كما قرَّب أمر المغرب بكم . انهضوا رحمكم الله ونصركم » .

وفى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة أمر [المعز] بحفر الآبار فى طريق مصر ، وأن يُبنى له فى كل منزلة قصر ، ففُعل ذلك .

وفى يوم الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخرة من السنة وردت النجب من مصر بموت كافور الأخشيدى يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الأولى (٢) .

واستدعى [المعز] يوما أبا جعفر بن حسين بن مهذب - صاحب بيت المال - وهو بالمغرب ، فوجده فى وسط القصر جالسا على صندوق ، وبين يديه ألوف صناديق مبددة فى صحن القصر ، فقال له :

« هذه صناديق مال ، وقد شذَّ عنّى ترتيبها ، فانظرها ورتبها » .

قال : « فأخذت أجمعها إلى أن صارت مرتبة ، وبين يدىَّ جماعة من [١٥ ا] خدام بيت المال والفراشين » ، وأنفذت إليه أعلمه ، فأمر برفعها فى الخرائن على ترتيبها ، وأن يُغلق عليها ، وتختم بخاتمه ، وقال : « قد خرجت عن خاتمنا وصارت إليك » ففعل .

---

(١) نحايزكم اى أصولكم ، فالنحاز - بكسر النون وضمها - الأصل (القاموس)

(٢) يفهم من النص هنا أن كافورا توفى فى العشرين من جمادى الأولى سنة ٣٥٥ هـ ، والصحيح أن الوفاة حدثت فى هذا التاريخ من سنة ٣٥٧ ، فهذا اليوم من سنة ٣٥٥ ليس يوم اربعاء ، وانما هو يوم أربعاء فى سنة ٣٥٧ . انظر : (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ١٠ و ٢١) و (التوفيقات الالهامية) .

وكانت جملتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار ، وذلك فى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، فأنفقها أجمع على العساكر التى سيَّرها إلى مصر - فى سنتى ثمان وتسع وخمسين - مع القائد جوهر .

وكان رحيله فى رابع عشر ربيع الأول منها ، ومعه ألف حمل مال ، ومن السلاح والخيل والعدد مالا يوصف ، فقدم جوهر إلى مصر ، ووصلت البشارة بفتحها فى نصف رمضان سنة ثمان وخمسين ، فسُرَّ المعز سرورا كثيرا وأنشده ابن هانىء قصيدة أولها :

يقولُ بنو العباسِ : هل فتحتْ مصر ؟ فَقُلْ لبنى العباسِ : قد قُضِى الأَمر

ولما وصلت البشارة من الشام بكسر عسكر أبى عبد الله الحسن بن أحمد القرمطى - المعروف بالأعصم (١) - أنشده ابن هانىء قصيدةً منها :

ما شئتَ لا ما شاءت الأَقدارُ ، فاحكم فأَنت الواحدُ القَّهارُ

وأنشد أيضا أخرى أولها :

وعلى(٢) أمير المؤمنين مَظَلَّةٌ زَاحَمْت تحت لوائها جِبْريلا

وفى سنتى ستين وإحدى وستين قال : ولقد وصلنا إلى برقة ومعنا خمسون ألف دينار .

ولما أنفذ جوهر إلى مصر ، وبرز يريد المسير إلى مصر ، بعث [المعز] خفيفاً الصَّقْلبى - صاحب السِّتْر (٣) - إلى شيوخ كتامة ، يقول :

---

(١) أحد زعماء القرامطة ، ولد بالأحساء ، وفى سنة ٣٦٠ خرج الى دمشق فاقتتل مع جيش جعفر بن فلاح وقتله بظاهر دمشق ، وملك دمشق وولى عليها ظالم بن موهوب العقيلى ، ثم عاد الى بلاد هجر ، وهاجم مصر فى أوائل سنة ٣٦٢ ، ثم تقهقر الى الشام ، ومات بالرملة فى رجب سنة ٣٦٦ ، انظر : (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٣١ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١٢٨) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى (ج) :«وخيل أمير المؤمنين مطلة » ، وليس فى الديوان قصيدة تنتهى بهذا الروى الا قصيدة واحدة مطلعها : « أتظن راحا فى الشمال شمولا » وليس فى هذه القصيدة بيت ينتهى بلفظ « جبريلا » الا هذا البيت :

أمديرها من حيث دار لشد ما زاحمت حول ركابه جبريلا

انظر : (الديوان ، ص ٥٦٠ و ٥٦٦) .

(٣) لعل المقصود بهذه الوظيفة أن صاحبها هو الذى كان يتولى أمر الستار التى تحجب الخليفة الفاطمى على عرشه حتى يتم اعداد المجلس - فى مجالسه العامه - ثم ترفع بعد ذلك .

« يا إخواننا : قد رأينا أن ننفذ رجالا من . . بلدان كتامة ، يقيمون بينهم ، ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم ، ويحفظونها علينا فى بلادهم ، فإذا احتجنا إليها أنفذنا خلفها فاستعنا بها على مانحن بسبيله » .

فقال بعض شيوخهم لخفيف ــ وقد بلّغهم ذلك ــ :

« قل لمولانا : والله لا فعلنا هذا أبدا . كيف تؤدى كتامة الجزية ، ويصير عليها فى الديوان ضريبة ؟ ؟ وقد أعزّها الله قديما بالإسلام ، وحديثا معكم بالإيمان ، وسيوفنا بطاعتكم فى المشرق والمغرب ؟ » .

فعاد خفيف بذلك إلى المعز ، فأمر باحضار جماعة كتامة ، فدخلوا عليه وهو راكب فرسه ، فقال :

« ما هذا الجواب الذى صدر عنكم ؟ » .

فقالوا : « نعم هو جواب جماعتنا ، ماكنا يامولانا بالذى يؤدى جزية تبقى علينا » .

فقام [المعز] فى ركابه ، وقال : «بارك الله فيكم ، فهكذا أريد أن تكونوا ، وإنما أردتُ أن أجربكم ، فانظروا كيف أنتم بعدى إذا سرنا عنكم إلى مصر ، هل تقبلون هذا أو تفعلونه وتدخلون تحته ممن يرومه منكم ؟ والآن سررتمونى بارك الله فيكم » .

وكتب إلى جوهر ــ وهو بمصر ــ من الغرب :

«وأما ماذكرتَ ياجوهر من أن جماعة من بنى حمدان وصلت إليك كُتبهم ، يبذلون الطاعة ، ويعدون بالمسارعة فى المسير إليك ، فاسمع لما أذكره لك : احذر أن تبتدئ أحدا من بنى حمدان بمكاتبة ــ ترهيبا له ولا ترغيبا ــ ، ومن كتب إليك منهم فأجبه بالحسن الجميل ، ولا تستدعه إليك ؛ ومن ورد إليك منهم فأحسن إليه ، ولاتمكّن أحدا منهم من قيادة جيش ولا مُلْك طَرَف ، فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء ، عليها مدار العالم ، وليس لهم فيها نصيب : يتظاهرون بالدين ، وليس لهم فيه نصيب ؛ ويتظاهرون بالكرم وليس لواحد منهم كرم فى الله ؛ ويتظاهرون بالشجاعة ، وشجاعتهم للدنيا لا للآخرة ؛ فاحذر كل الحذر من الاستنامة إلى أحد منهم »

ولما عزم [المعز] على المسير إلى مصر أجال فكره فيمن يخلفه بالمغرب ، فوقع اختياره على أبي أحمد جعفر بن على الأمير ، فاستدعاه ، وأسرَّ إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب ، فقال :

« تترك معى أحد أولادك أو أخوتك جالسا فى القصر وأنا أدبِّر ، ولا تسألنى عن شىء من الأموال إن كان ما أجبيه(1) بازاء ماأنفقه ، وإذا أردتُ أمرًا فعلتُه ولم أنتظر ورود الأمر فيه ، لبعد ما بين مصر والمغرب ، ويكون تقليدُ القضاء والخراج وغيره من قبل نفسى » .

فغضب المعز وقال :

« ياجعفر : عزلتنى عن ملكى ، وأردتَ أن تجعل لى شريكا فى أمرى ، واستبددت بالأموال والأعمال دونى ، قم فقد أخطأتَ حظَّك ، وما أصبتَ (١٥ ب) رشدك » .

فخرج .

واستدعى المعزُّ يوسف بن زَيْرى الصنهاجى ، وقال له :

« تأهب لخلافة المغرب »

فأكبر ذلك وقال :

« يامولانا : أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماصفا لكم المغرب ، [فكيف] يصفو لى وأنا صنهاجى بربرى ؟ قتلتنى يامولاى بلا سيف ولا رمح » .

ولم يزل به حتى أجاب وقال :

« يا مولانا : بشريطة أن تولى القضاء والخراجَ لمن تراه وتختاره ، والخبرَ لمن تثق به ، وتجعلنى أنا قائما بين أيديهم ، فمن استعصى عليهم أمرونى به حتى أعمل فيه مايجب ، ويكون الأمر لهم وأنا خادم بين ذلك » .

فحسن هذا من المعز [وشكره ، فلما انصرف](2) قال له عم أبيه أبو طالب أحمد بن المهدى عبيدالله :

« يامولانا : وتثق بهذا القول من يوسف أنه يفى بما ذكره ؟ »

فقال [المعز] : « ياعمنا : كم بين قول يوسف وقول جعفر ؟ واعلم ياعم أن الأمر الذى طلبه

---

(1) ج : « لأن ما اجبيه ..

(2) ما بين الحاصرتين زيادة عن (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٦٦)

جعفر ابتداءً هو آخر مايصير إليه أمر يوسف ، فإذا تطاولت المدة سينفرد بالأمر ، ولكن هذا أولى وأحسن وأجود عند ذوى العقل ، وهو نهاية مايفعله من يترك دياره » .

ووجّهتْ أمُّ الأمراء من المغرب بصبيةٍ رَبَّتْها لتُباع فى مصر ، فطلب الوكيلُ فيها ألف دينار ، فجاءت امرأةٌ شابة على حمار ، فلم تزل حتى اشترتها منه بستمائة دينار ، وقيل له يامغربى : « هذه بنت الاخشيد اشترت الجارية تتمتع بها ، وهى ست كافور » .

فلما عاد أخبر المعز بذلك ، فأمر بإحضار الشيوخ ، وأمر الرجل فحدثهم بخبر الجارية ، ثم قال :

« يا إخواننا : انهضوا إليهم ، فلن يحول بينكم وبينهم شىء ، وإذا كان قد بلغ بهم الترف إلى أن صارت امرأة من بنات ملوكهم تخرج وتشترى لنفسها جارية تتمتع بها فقد ضعفت نفوس رجالهم ، وذهبت الغيرة منهم ، فانهضوا بنا إليهم » .

فقالوا : « السمع والطاعة » .

فقال : « خذوا فى حوائجكم ، فنحن نقدم الاختيار لمسيرنا إن شاء الله » .

ولما عزم المعز على الرحيل إلى مصر أتاه بُلُكين[1] بن زَيْرى بألْفى جمل من إبل زَنَاتَة ، وحمل ما له بالقصور من الذخائر ، وسبك الدنانير على شكل الطواحين ، جعل على كل جمل قطعتين ، فى وسط كل قطعة ثقبا تُجمع به القطعة إلى الأخرى ، فاستعظم ذلك الجند والرعيَّة ، وصاروا يقفون فى الطرق لرؤية بيت المال المحمول .

وخرج المعز من المغرب يوم الإثنين لثمانٍ بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، وخرج من المنصورية ومعه بُلُكين - واسمه يوسف - إلى سردانية[2] من بلاد إفريقية ، فسلم إليه إفريقية والمغرب يوم الأربعاء لتسع بقين من ذى الحجة ، وأمر سائر الناس له بالسمع والطاعة ، وفوَّض

---

(١) كان بلكين زعيم قبيلة صنهاجة وهى من أكثر القبائل المغربية اخلاصا وتاييدا للفاطميين ، وقد ولاه المعز حكم المغرب نيابة عنه عند خروجه الى مصر كما هو واضح بالمتن هنا ، وتوفى فى ٢١ ذى الحجة سنة ٣٧٣ فى مكان بين سجلماسة وتلمسان ، وخلفه على المغرب ابنه المنصور ، انظر : (دائرة المعارف الاسلامية ، مادة « بلكين » وما بها من مراجع) .

(٢) سردانية قرية قريبة من القيروان ، انظر : (البكرى : المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٢) .

إليه أمور البلاد ، ما خلا جزيرة صقلية - فإنه ترك أمرها لحسن بن على بن أبى الحسين[1] - ، وطرابلس وأعمالها .

وقال له :

«إن نسيت ، ما وصيناك به فلا تنسَ ثلاثة أشياء : إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية ، ولا ترفع السيف عن البربر ، ولا تولِّ أحدا من أخوتك وبنى عمك ، فإنهم يروْن أنهم أحق بهذا الأمر منك ؛ وافعل مع أهل الحاضرة خيرا» .

وفارقه .

وكان قيصر ومظفر الصقلبيان قد بلغا رتبةً عظيمةً عند المنصور والمعز ، وكان المظفر يُدلّ على المعز لأنه علّمه الخطّ. وهو صغير ، فاتفق أنه حرد يوما ، فسمعه المعز يتكلم بكلمة صقلبية استراب بها ، فأخذ المعزّ نفسه بحفظ اللغات ، فابتدأ بالبربرية فأحكمها ، ثم بالرومية ، ثم بالسودانية ، ثم استدعى الصقلبية فمرّت به تلك الكلمة فيها ، فإذا هى شتمة ، فبقيت فى نفسه حتى قتلهما .

وبلغه - وهو بالمغرب - أمر الحرب من بنى حسن وبنى جعفر بن أبى طالب [بالحجاز] ، وأنه قُتل من بنى الحسن أكثرَ ممن قَتَلَ بنو حسن من بنى جعفر ، فأنفذ مالا ورجالا سرا سعوْا بين الطائفتين حتى اصطلحوا ، وتحملوا الحمالات عنهما .

وكان فاضل القتلى لبنى حسن عند بنى جعفر سبعين قتيلًا ، فأدّى القومُ ذلك إليهم ، وعقدوا بينهم فى المسجد الحرام صلحًا ، وتحملوا دياتهم من مال المعز ، وذلك فى سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، فصار ذلك جميلا عند بنى حسن للمعز ، فلما دخل جوهر [مصر] بادر حسنُ بن جعفر الحسنى فملك مكة ودعا للمعز ، وكتب إلى جوهر بذلك ، فبعث بالخبر إلى المعز ، فأنفذ من المغرب إليه بتقليد الحرم وأعماله .

(١) الحسن بن على بن أبى الحسين هو ثالث من تولى حكم صقلية من الأسرة الكلبية ، وقد حكمها مرتين من سنة ٣٣٦ الى ٣٤١ ، ثم من ٣٥٣ الى ٣٥٩ ، والمذكور فى المتن هنا انه هو الذى كان يلى حكم صقلية عند خروج المعز الى مصر ، أى فى أواخر سنة ٣٦١ ، والذى تذكره المراجع أن حاكم صقلية من ٣٥٩ الى ٣٧١ هو ابنه على بن الحسن بن على . انظر :
(Zambaur : Op. Cit. p. 67-69)

[١٦] ذكر
بناء القاهرة

قال أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق[(١)] المصرى فى كتاب «إتمام أخبار أمراء مصر للكندى» - رحمهما الله - :

«وفى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة صحت الأخبار بمسير عساكر المعز لدين الله من المغرب إلى مصر ، عليها عبده جوهر ، وكانت بمصر للمعز دعاة استدعوا خلقا فى البلد ؛ وكانوا يقولون : «إذا زال الحجرُ الأسود ملك مولانا المعزُّ لدين الله الأرضَ كلَّها ، وبيننا وبينكم الحجرُ الأسود - يعنون كافور الإخشيدى - » ، فلما مات كافور أنفذ المعزُّ إلى دعاته بنودا ، وقال : «فرقوها على من يبايع من الجند» ، وأمرهم إذا قربت العساكر ينشرونها ، فلما قربت العساكر من الإسكندرية جمع الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد ابن موسى بن الحسن بن الفرات[(٢)] الناس وشاورهم ، فاتفقوا على مراسلة جوهر ، وأن يشترطوا

(١) هذا أول نص ينقله المقريزى هنا عن ابن زولاق ، والحسن بن زولاق (٣٠٦-٣٨٧= ٩١٩ - ٩٩٧) مؤرخ مصرى عاصر الدولتين الاخشيدية والفاطمية ، له مؤلفات هامة منها هذا الذى ينقل عنه المقريزى ، وذيل آخر على قضاة الكندى ، وله أيضا كتاب فى سيرة الاخشيد وهو الذى نقله مختصرا عنه المؤرخ ابن سعيد فى كتاب « المغرب فى حلى المغرب » وسماه « العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج » ، ولعل أهم مؤلفاته سيرة المعز لدين الله ، غير أن مؤلفات ابن زولاق لم تصلنا للاسف ، وانما وصلت شذرات منها - تدل على أهميتها القصوى - فى المؤلفات المتأخرة ، انظر ما يلى عند كلام المقريزى عن المعز ، فانه ينقل فصلا كبيرا عن « سيرة المعز » السالف ذكرها .

(٢) جعفر بن الفرات (٣٠٨ - ٣٩١) كان أبوه وزير المقتدر بالله الخليفة العباسى ، ثم وفد هو الى مصر ووزر بها لأونوجور بن أبى‌بكر الأخشيد ، ثم لأخيه أبى‌الحسن على ، ثم لكافور ، وبقى وزيرا الى ان انتهت الدولة الأخشيدية ودخل الفاطميون مصر ، ويقال ان المعز لما أتى الى مصر عرض عليه الوزارة فامتنع ، فقال : اذا لم تل لنا شغلا فيجب أن لا تخرج عن بلادنا ، فانا لا نستغنى أن يكون فى دولتنا مثلك ، فأقام بها ولم يرجع الى بغداد ، وجعفر هذا هو الذى استجلب الدارقطنى من بغداد الى مصر ، وأنفق عليه نفقة واسعة ، وله صنف مسنده ، وقد مات جعفر فى عهد الحاكم ، فحمل تابوته الى المدينة ، ودفن بها حسب وصيته ، وقد ولى ابن له الوزارة للحاكم سنة ٤٠٥ ، فقتله بعد خمسة أيام من ولايته ، انظر : (ياقوت : معجم الأدباء) .

عليه شروطا ، وأنهم يسمعون له ويطيعونه ، ثم اجتمعوا على محاربته ، ثم انحل ذلك ، وعادوا إلى المراسلة بالصلح .

وكانت رسلُ جوهر ترد سرًّا إلى ابن الفرات ، ثم اتفقوا على خروج أبي جعفر مسلم الحسيني ، وأبي إسماعيل الرسّي ، ومعهما القاضي أبو طاهر ، وجماعة ، فبرزوا إلى الجيزة لاثنتي عشرة بقيت من رجب ، ولم يتأخر عن تشييعهم قائد ، ولا كاتب ، ولا عالم ، ولا شاهد ، ولا تاجر ، وساروا فلقوا جوهر بتروجة[1] ووافقوه ، واشترطوا عليه ، فأجابهم إلى ما التمسوه ، وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من جوهر الكاتِب - عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله - صلوات الله عليه - لجماعة أهل مصر الساكنين بها ، من أهلها ومن غيرهم :

أنه قد ورد مَنْ سألتموه الترسل والاجتماع معى ، وهم :

أبو جعفر مسلم الشريف - أطال الله بقاءه -

وأبو إسماعيل الرسّي - أيّده الله -

وأبو الطيّب الهاشمي - أيّده الله - .

وأبو جعفر أحمد بن نصر - أعزّه الله -

والقاضي - أعزّه الله - .

وذكروا عنكم أنكم التمستم كتابا يشتمل على أمانكم فى أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم ، فعرفتُم ما تقدَّم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وحسن نظره لكم .

فلتحمدوا الله على ما أولاكم ، وتشكروه على ما حماكم ، وتدأبوا فيما يلزمكم ، وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم ، العائدة بالسلامة لكم ، وبالسعادة عليكم ، وهو أنه - صلوات الله عليه -

---

(1) حقق محمد رمزى موقع هذه القرية فى (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٣٠ ، هامش ٣) بقوله : هـذه القرية كانت موجودة لغاية القرن التاسع الهجري ، حيث وردت فى كتاب التحفة السنية لابن الجيعـان ص ١٢٤ وقد درسـت مساكنها ، ومحلـها كوم تروجة بحوض تروجة بأراضى زاوية صقر ، بمركز ابى المطامير ، بمديرية البحيرة .

لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة ، والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم ، إذ قد تخطفتكم الأيدى ، واستطال عليكم المستذل وأطمعته نفسه بالاقتدار على بلدكم فى هذه السنة ، والتغلب عليه وأسْر من فيه ، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله فى غيركم من أهل بلدان المشرق ، وتأكد عزمه ، واشتد كَلَبُه ، فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - بإخراج العساكر المنصورة ، وبادره بانفاذ الجيوش المظفرة دونكم ، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق ، الذين عمَّهم الخزى ، وشملتهم الذلَّة ، واكتنفتهم المصائب وتتابعت الرزايا ، واتصل عندهم الخوف وكثرت استغاثتهم ، وعظم ضجيجهم ، وعلا صراخهم ، فلم يُغثهم إلا من أرمضه أمرهم ، ومضَّه حالهم ، وأبكى عينه مانالهم ، وأسهرها ما حلَّ بهم ، وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - ، فرجا - بفضل الله ، وإحسانه لديه ، وما عوّده وأجراه عليه - استنقاذ من أصبح منهم فى ذل مقيم ، وعذاب أليم ، وأن يؤمن من استولى عليه الوَهْل(١) ، ويفرخ رَوْعَ من لم يزل فى خوف ووجل ، وآثر إقامة الحج الذى تعطل وأهمل العباد فروضه وحقوقه لخوف المستولى عليهم ، وإذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم ، وإذ قد أوقع بهم مرة بعد أخرى ، فسُفكت دماؤهم ، وابتزت أموالهم ، مع اعتماد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات ، وقطع عبث العابثين فيها ، ليتطرق الناس آمنين ، ويسيروا مطمئنين ، ويتحفوا بالأطعمة والأقوات ، إذ كان قد انتهى إليه - صلوات الله عليه - انقطاع طرقاتها ، لخوف مادتها ، إذ لا زاجر للمعتدين ، ولا دافع للظالمين .

ثم تجديد السكَّة(٢) ، وصرفها إلى العيار الذى عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة ، وقطع الغش [١٦ ب] منها ، إذ كانت هذه الثلاث خصال هى التى لا يتسع لمن ينظر فى أمور المسلمين إلا إصلاحها ، واستفراغ الوسع فيما يلزمه منها .

---

(١) فى الأصل و ج : « المهل » ، وماأثبتناه قراءة ترجيحية ، والوهل معناها الفزع

(٢) عرف (الماوردى : الاحكام السطانية ، ص ١٤٩) السكة بأنها « الحديدة التى يطبع عليها الدراهم ، ولذلك سميت الدراهم المضروبة السكة » ، وقد شرح (المقريزى : كتاب الاوزان والأكيال الشرعيه ، طبعة Tychsen ص ٨٦) لفظ السكة بأنها « الدينار والدرهم المضروبين ، سمى كل منهما سكة ، لأنه طبع بالحديدة المعلمة ، ويقال لهاالسكة ، وكل مسمار عند العرب سكة » .

وما أوعز به مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – إلى عبده من نشر العدل ، وبسط الحق ، وحسم الظلم ، وقطع العدوان ، ونفى الأذى ، ورفع المؤن ، والقيام فى الحق ، وإعانة المظلوم مع الشفقة والإحسان ، وجميل النظر ، وكرم الصحبة ، ولطف العشرة ، وافتقاد الأحوال ، وحياطة أهل البلد فى ليلهم ونهارهم ، وحين تصرفهم فى أوان ابتغاء معاشهم ، حتى لا تجرى أمورهم إلا على مالمّ شعثهم ، وأقام أودهم ، وأصلح بالهم ، وجمع قلوبهم ، وألّف كلمتهم ، على طاعة وليِّه ومولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – وما أمر به مولاه من إسقاط الرسوم الجائرة التى لا يرتضى – صلوات الله عليه – بإثباتها عليكم .

وأن أجريكم فى المواريث على كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصيّة من المتوفى بها ، فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال .

وأن أتقدم فى رمّ مساجدكم ، وتزيينها بالفرش والإيقاد ، وأن أعطى مؤذنيها وقَوَمَتَها ومَنْ يؤمُّ الناسَ فيها أرزاقهم ، وأدرها عليهم ، ولا أقطعها عنهم ، ولا أدفعها إلا من بيت المال ، لا بإحالةٍ على من يقبض منهم .

وغير ما ذكره مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – مما ضمنه كتابه هذا [ما ذكره] من ترسل عنكم – أيدهم الله ، وصانكم أجمعين بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – من أنكم ذكرتم وجوها التمستم ذكرها فى كتاب أمانكم ، فذكرتُها إجابة لكم ، وتطمينا لأنفسكم .

[وإلا] فلم يكن لذكرها معنى ، ولا فى نشرها فائدة ، إذ كان الإسلام سنة واحدة ، وشريعة متبعة ، وهى إقامتكم على مذهبكم ، وأن تتركوا [على] ما كنتم عليه من أداء الفروض فى العلم ، والاجتماع عليه فى جوامعكم ومساجدكم ، وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة – رضى الله عنهم – والتابعين بعدهم ، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم ، وأن يجرى الأذان ، والصلاة ، وصيام شهر رمضان وفطره ، وقيام لياليه ، والزكاة ، والحج ، والجهاد على أمر الله وكتابه ، و [ما] نصّه نبيُّه – صلى الله عليه وسلم – فى سنته ، واجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه .

ولكم عليّ أمانُ الله التام العام ، الدائم المتصل ، الشامل الكامل ، المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام ، فى أنفسكم ، وأموالكم ، وأهليكم ، ونعمكم ، وضياعكم ، ورباعكم ، وقليلكم وكثيركم .

وعلى أنه لا يعترض عليكم معترض ، ولا يتجنى عليكم متجنٍ ، ولا يتعقب عليكم متعقب .

وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون ، ويُذَبُّ عنكم ، ويُمنع منكم ، فلا يُتعرض إلى أذاكم ، ولا يسارع أحد فى الاعتداء عليكم ، ولا فى الاستطالة على قويكم - فضلا عن ضعيفكم - .

وعلى أن لا أزال مجتهدا فيما يعمكم صلاحُه ، ويشملكم نفعُه ، ويصل إليكم خيره ، وتتعرفون بركته ، وتغتبطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - .

ولكم عليّ الوفاءُ بما التزمته ، وأعطيتكم إياه ، عهدَ الله ، وغليظ ميثاقه وذمته ، وذمة أنبيائه ورسله ، وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين - قدّس الله أرواحهم - ، وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله - صلوات الله عليه - فتصرّحون بها وتعلنون بالانصراف إليها ، وتخرجون إلىّ وتسلمون علىّ ، وتكونون بين يدىّ ، إلى أن أعبر الجسر ، وأنزل فى المناخ(١) المبارك ، وتحافظون - من بعد - على الطاعة ، وتثابرون عليها ، وتسارعون إلى فروضها ، ولا تخذلون وليًّا لمولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - ، وتلزمون ما أُمرتم به ، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين » .

وكتب القائد جوهر الأمان بخطه فى شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين الأخيار » .

---

(١) المناخ هو المكان الذى أنيخت فيه دواب الجيش الفاطمى عند نزوله خارج الفسطاط وحيث بنيت القاهرة بعد ذلك ، وقد كان له شان بعد ذلك فى عهد الدولة ، ويسميه (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣١١) « المناخ السعيد »، ويقول انه كان من وراء القصر الكبير فيما يلى ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر ، وأنه كان موضعا « برسم طواحين القمح التى تطحن جرايات القصور ، وبرسم مخازن الاخشاب والحديد ونحو ذلك » .

وكتب بخطه فى هذا الكتاب :

« قال جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين – صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين – :

كتبتُ هذا الأمان على ما تقدم به أمرُ مولانا وسيدنا [١٧ ا] أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – ، وعلىّ الوفاء بجميعه لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم على ما شرطت فيه .

والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين .

وكتب جوهر بخطه فى التاريخ المذكور :

وأشهد جوهر على نفسه جماعة الحاضرين وهم :

أبو جعفر مسلم بن محمد بن عبيد الله الحسينى .

وأبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسِّى الحسنى .

وأبو الطيب العباس بن أحمد الهاشمى .

والقاضى أبو الطاهر محمد بن أحمد .

وابنه أبو يعلى محمد بن محمد .

ومحمد بن مهلب بن محمد .

وعمرو بن الحرث بن محمد .

وأخذ منه أبو جعفر مسلم كتابا إلى أبى الفضل جعفر بن الفرات – الوزير – وجماعة وجوه الدولة ، وخاطب ابن الفرات – فى كتابه – بالوزير بعد مراجعة ، وكان قد توقف فى مخاطبته بالوزير ، وقال : « ما كان وزير خليفة » ، وأجاز الجماعة وحمَّلهم ، ولم يقبل أبو جعفر مسلم شيئا منه ، وأكلت الجماعة معه ، وودعوه وانصرفوا ، فوافوا لثمانٍ خلون من شعبان » .

قال ابن زولاق :

« سألتُ أبا جعفر مسلم عند رجوعه عن مقدار العسكر ، فقال : « هو مثل جمع عرفات كثرة وعدة » ، وسألته عن سن القائد جوهر ، فقال لى : « نيف وخمسون سنة » .

فلما قدم الجماعة انتقض الإخشيدية والكافورية ، وكان قد بلغهم ذلك وهم عند القائد جوهر ، فتسرعوا فى الانصراف من عنده ، وبلغ جوهر – بعد انصرافهم – انتقاض الصلح ، فأدرك الجماعة ، وأعلمهم بأن القوم قد نقضوا الصلح ، وطلب إعادة أمانه إليه ، فرفقوا به ، فقال للقاضى أبى طاهر :

ما تقول يا قاضى فى هذه المسألة ؟ »

فقال : « ما هى » ؟

فقال : « ما تقول فيمن أراد العبورَ إلى مصر ليمضى إلى الجهاد لقتال الروم فمُنِع ، أليس له قتالهم ؟ »

فقال له القاضى : « نعم » .

فقال : « وحلال قتالهم ؟ »

قال : « نعم » .

ولما وافى أبو جعفر مسلم ومَنْ معه من عند جوهر جاءه الناس ، وركب إليه ابن الفرات فى موكب عظيم ، وعنده جماعة الوجوه ، فقرأ عليهم كتاب جوهر بالأمان والشرط ، وأوصل كتابِ ابن الفرات وكُتُبَ الجماعة ، فامتنع القوم من قبول ذلك ، وقال فَرَح البجكمى للشريف مسلم :

« لو جاءنا جدُّك بهذا ضربنا وجهه بالسيف » .

فلامهم ابن الفرات على ذلك ، وقال : « أنتم سألتم الشريف هذه المسألة ، فلم يقنع حتى أخذ معه أبا إسماعيل – وهو رجل حسنى – ، وأخذ معه قاضى المسلمين ، وأخذ معه رجلا عباسيا » .

وسكت الشريف مسلم ، فلم يُزد على أن قال : « خار الله لكم » .

واشتغل ابن الفرات يسارر الشريف مسلم ، والإخشيدية والكافورية فى خوض ، فقالوا كلهم :

« ما بيننا وبين جوهر إلا السيف » :

فسلموا على نحرير شُوَيْزان بالإماره ، وخرجوا يحجبونه إلى داره ، وبقى أحمد بن على بن الإخشيد لا يُفكَّر فيه .

واستعدوا للحرب ، وساروا لعشرٍ خلون من شعبان ، فنزلوا الجزيرة بالرجال والسلاح ، ووافى جوهر الجزيرة ، فلما شاهد ما فعلوه عاد إلى منية شلقان(١) ، وعبر إلى مصر من ذلك الموضع ، وأرسل فاستقبل المراكب الواردة من تِنِّيس(٢) ودمياط وأسفل الأرض(٣) فأخذها ، وتولى العبور إليهم جعفر(٤) بن فلاح عريانا فى سراويل مع جمع من المغاربة ، وبلغ الإخشيدية ، فأنفذوا نحرير الأرغلى ، ويمن الطويل ، ومبشر الإخشيدى فى خلق ، فساروا إلى الموضع ، وكانوا قد وكلوا به مزاحم بن محمد بن رائق فلقوه راجعًا ، ووقع القتال فقُتل خلق من المصريين .

وانصرف الناس عشية الأحد النصف من شعبان ، فلما كان نصف الليل انصرف من كان بالجزيرة إلى دورهم ، وأصبحوا غادين إلى الشام ، وقد قُتل جماعة ، منهم : نحرير الأرغلى ، ومبشر الإخشيدى ، ويُمْن الطويل ، وخلق كثير .

وأصبح الناس على خطة عظيمة ، فبكروا فى يوم الاثنين إلى دار الشريف مسلم يسألونه الكتاب إلى جوهر فى إعادة أمانهم ، فكتب إليه ، وجلس الناس عنده ، وقد طاف علىٌّ بن

---

(١) تعرف اليوم باسم شلقان ، وهى قرية شرقى القناطر الخيرية بمركز قليوب

(٢) كانت تنيس مدينة قديمة وهى جزيرة وسط بحيرة تحمل نفس الاسم ، وهى التى تسمى اليوم بحيرة المنزلة ، وقد كان لتنيس فى العصور الوسطى شأن خطير من الناحيتين الحربية والصناعية ، فقد كان الروم يغيرون عليها بأساطيلهم كلما فكروا فى غزو مصر ، ولهذا كانت بها دار صناعة وأسطول مقيم ، وكانت بها حصون وقلاع قوية ، كما كانت تنيس مركزا هاما من مراكز صناعة النسيج فى مصر فى تلك العصور ، ويرى المقريزى أنه فى سنة ٥٨٨هـ صدرت الأوامر باخلاء تنيس فاخليت ونقل أهلها الى دمياط ،
وفى شوال سنة ٦٢٤ هـ أمر الكامل محمد الأيوبى بهدم تنيس . انظر : (الخطط ، ج ١ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٩٣) .

(٣) المقصود بأسفل الأرض فى تلك العصور الوجه البحرى .

(٤) جعفر بن فلاح من أكبر قواد المعز ، صحب جوهر ، واشترك فى فتح مصر ، ثم سار لفتح الشام فاستولى على الرملة فى آخر سنة ٣٥٨ هـ ، وعلى دمشق فى أول سنة ٣٥٩ هـ . وأقام بها الى سنة ٣٦٠ حيث قصده الحسن بن أحمد القرمطى وقاتله وقتله .

الحسين بن لؤلؤ ــ صاحب الشرطة السفلى[1] ــ ومعه رسول جوهر ، وبندٌ[2] عليه اسم المعز لدين الله ، وبين أيديهما الأجراس بأن لا مؤونة ولا كلفة ، وأمّن الناس ، وفُرقت البنود ، فنشر كلٌ من عنده بندٌ [١٧ ب] بَنْدَه فى درب حارته .

وجاء الجواب إلى الشريف وقت العصر ، ونسخته بعد البسملة :

« وصل كتاب الشريف الجليل ــ أطال الله بقاءه ، وأدام عزّه وتأييده وعلوه ــ وهو المهنأ بما هنأ به من الفتح الميمون ، فوقفت على ما سأل من إعادة الأمان الأول ، وقد أعدتُه على حاله .

رجعلت إلى الشريف ــ أعزّه الله ــ أن يؤمّن كيف رأى وكيف أحب ، ويزيد على ما كتبتُه كيف يشاء ، فهو أمانى ، وعن إذنى وإذن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين ــ صلوات الله عليه ــ .

وقد كتبتُ إلى الوزير ــ أيّده الله ــ بالاحتياط على دور الهاربين إلى أن يرجعوا إلى الطاعة ، ويدخلوا فيما دخلتْ فيه الجماعة ، ويعمل الشريف ــ أيّده الله تعالى ــ على لقائى فى يوم الثلاثاء لسبع عشرة تخلو من شعبان » .

فاستبشرت الجماعة وابتهجوا ، وعملوا على الغدو[3] إلى الجيزة للقاء جوهر مع الشريف مسلم ، وبات الناس على هدوء وطمأنينة .

فلما كان غداة يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان خرج الشريف أبو جعفر مسلم ، وجعفر بن الفضل بن الفرات ، وسائر الأشراف والقضاة والعلماء والشهود ووجوه التجار والرعية إلى الجيزة ، فلما تكامل الناس أقبل القائد جوهر فى عساكره ، فصاح بعض حجابه :

(١) الشرطة هم الجنود الذين يحافظون على الأمن ، وقد كان بالفسطاط شرطة منذ الفتح العربى ، وكان صاحبها فى المكان الثانى بعد الوالى ، فلما أسست العسكر أنشئت فيها دار أخرى للشرطه سميت الشرطه العليا ، لعلو العسكر عن الفسطاط ، كما سميت شرطة الفسطاط بالشرطة السفلى منذ ذلك الحين ، ولما فتح جوهر مصر وأنشأ القاهرة نقل اليها الشرطة العليا ، وقد ظلت بها طول عهود الفاطميين والأيوبيين والمماليك · أنظر (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٣) حيث يذكر أنه كانت هناك شرطة ثالثة فى القرافة ، وأنها ضمت فى أيامه الى شرطة الفسطاط أى السفلى ·

(٢) ذكر فى ابن خلكان أن هذا البند كان أبيض اللون ·

(٣) ج : « المسير »

« الأرضَ ، إلا الشريف والوزير » .

وتقدَّم الناسُ واحدًا واحدًا ، فلما فرغوا من السلام عليه عاد الناس إلى الفسطاط .

فلما زالت الشمس أقبلت العساكر ، فعبرت الجسر ، ودخلت أفواجا أفواجا ، ومعهم صناديق المال على البغال ، – ويقال إن المال كان فى ألف وخمسمائة صندوق – ، وأقبلت القباب ، وأقبل جوهر فى حلة مذهبة مثقل فى فرسانه ورجالته ، وقاد العسكر بأسره إلى المَنَاخ الذى رسم له المعز موضع القاهرة ، واختطّ موضعَ القصر ، وأقام عسكره سبعة أيام يدخل – من يوم الثلاثاء إلى [آخر] يوم الاثنين – ، واستقرت به الدار .

وجاءته الألطاف والهدايا فلم يقبل من أحد طعاما إلا من الشريف مسلم ، ويقال : لما أناخ جوهر فى موضع القاهرة الآن اختطّ القصر ، فأصبح المصريون ليهنئوه ، فوجدوه قد حفر أساس القصر فى الليل .

ويقال إن جوهر لما بنى القصور ، وأدار عليها السور سماها : « المنصورية[1] » ، فلما قدم المعز لدين الله إلى الديار المصرية سماها « القاهرة »[1] .

---

(1) أورد المقريزى هنا وفى (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٠٤) رأيين فى سبب تسميه عاصمة الفاطميين بالقاهرة .

أولهما أن جوهر سماها المنصورية ، فلما أتى المعز بعد أربع سنوات سماها القاهرة تفاؤلا بأنها ستقهر الدولة العباسية المنافسة .

وثانيهما قصة الحبال والجرس والغراب .

والنظرة العلمية الصحيحة ترجح صحة الرأى الأول ، فقد اختار جوهر لبناء القاهرة موقعا خارج العاصمة القديمة كما كانت منصورية المغرب خارج القيروان ، وقد سمى بابان من أبواب المدينة المصرية باسمى زويلة والفتوح وهما اسمان لبابين فى منصورية المغرب ، كذلك من المرجح أن يكون جوهر سمى العاصمة المصرية الجديدة المنصورية تقربا لسيده وخليفته المعز باحياء ذكرى والده المنصور .

أما قصة الغراب فهى أقرب الى الخيال ، ومما ينفيها نفيا باتا – رغم أخذ الكثيرين من المؤرخين بها – أن (المسعودى : مروج الذهب، ج ١ ، ص ٢١٥) يروى قصة شديدة الشبه جدا بهذه القصة وينسبها الى الاسكندر عند بنائه للاسكندرية ، والذى أرجحه أن المقريزى نقل الرأى الأول الصحيح عن مصادر فاطمية ، ثم نقل القصة الثانية عن مراجع متأخرة شبه عليها الأمر عند الكلام عن قاهرة المعز ، فاقتبست ماقيل عن اسكندرية الاسكندر ، انظر أيضا (كرزويل : تأسيس القاهرة ، الترجمة العربية للسيد محمد رجب ، مجلة المقتطف ، نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٣٤) .

ويقال فى سبب تسميتها بالقاهرة أن القائد جوهر لما أراد بناء القاهرة أحضر المنجمين ، وعرّفهم أنه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقيم بها الجند ، وأمرهم باختيار طالع لوضع الأساس ، بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم ، فاختاروا طالعا لحفر السور ، وطالعا لابتداء وضع الحجارة فى الأساس ، وجعلوا بدائر السور قوائم من خشب ، بين كل قائمتين حبلٌ فيه أجراس ، وقالوا للعمال :

« إذا تحركت الأجراس أرموا ما بأيديكم من الطين والحجارة » .

فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك ، فاتفق أن غرابا وقع على حبل من تلك الحبال المعلق فيها الأجراس ، فتحركت الأجراس كلها ، وظنّ العمال أن المنجمين حركوها ، فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا ، فصاح المنجمون :

« القاهر فى الطالع » .

فمضى ذلك وفاتهم ما قصدوه .

ويقال إن المريخ كان فى الطالع عند ابتداء وضع أساس القاهرة ، وهو قاهر الفلك ، [فسموها القاهرة](١) ، فحكموا لذلك أن القاهرة لا تزال تحت حكم الأتراك .

وأدار السور اللَّبِن حول بئر العظام ، وجعلها فى القصر ، وجعل القاهرة حارات(٢) للواصلين [صحبته و] صحبة [مولاه] المعز ، وعمل القصر بترتيبٍ ألقاه إليه المعز .

ويقال إن المعز لما رأى القاهرة لم يعجبه مكانها فى البرية بغير ساحل ، وقال لجوهر :

« يا جوهر فاتتك عمارتها ها هنا » - يعنى المقس(٣) بشاطىء النيل - .

---

(١) مابين الحاصرتين زيادة عن ج

(٢) قال ابن سيده : الحارة كل محلة دنت منازلها ، والمحلة منزل القـوم ، هذا وقد كانت احياء القاهرة عند تأسيسها تسمى الحارات ، كما كانت احياء الفسطاط تسمى الخطط ، انظر باب الحارات في (المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٢ - ٣٦) .

(٣) عرف (ابن تغـرى بردى - نقـلا عن القضاعى - النجوم الزاهرة ، ج ٤ص ٥٣) المقس بقوله : كانت ضيعة تعـرف بأم دنين ، وانمـا سميت المقس لأن العشار وهو المكاس كان فيها يستخرج الاموال ، فقيل له المكس ، ثم قيـل المقس ، وقد عقب على ذلك محمد رمزى بقوله : المقس والمكس والمقسم وأم دنيـن كلهـا أسماء مترادفة لقـرية كانت واقعة على شاطىء النيل وقت أن كان النيـل يجرى فى عهد الدولـة الفاطمية فى المكان الذى يمر فيه اليـوم شارع عمـاد الدين وميدان محطـة مصر ومابعده الى الشمال بشارع الملكة نازلى (شـارع رمسيس حاليا) .. الخ .

فلما رأى سطح الجرف المعروف اليوم بالرَّصَد(1) ، قال :

« يا جوهر : لما فاتك الساحل كان ينبغى عمارة القاهرة بهذا الجبل على هذا السطح ، وتكون قلعة لمصر » .

حكاه ابن الطوير(2) .

قال : « وكان المعز عارفا بالأمور ، مطلعا على الأحوال بالذكاء ، وكان يضرب فى فنون منها النجامة ، فرتَّب فى القصر ما يحتاج إليه الملوك بل الخلفاء ، بحيث لا يرام العيان فى النُقْلة من مكان إلى مكان ، وجعل لهم فى ساحاته البحر والميدان والبستان ، وتقدَّم بعمارة المصلى ظاهر القاهرة لأهلها ، لخطبتهم فيها والصلاة فى عيدى الفطر والنحر ، والاخر [18 أ] بالقرافة لأهل مصر » .

وقال ابن عبد الظاهر(3) :

« فلما تحقق المعز وفاة كافور جهَّز جوهر وصحبته العساكر ، ثم نزل بموضع يعرف برقادة ، وخرج فى أكثر من مائة ألف [فارس] ، وبين يديه أكثر من ألف صندوق من المال ،

---

(1) جبل الرصد مكان مرتفع كان موقعه جنوبى الفسطاط ، ويذكر محمد رمزى فى تعليقاته (النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص 382) أن هذا الجبل هو الذى يسمى الآن جبل اصطبل عنتر .

(2) ابن الطوير مؤرخ فاطمى لم يصلنا شىء من كتبه ، وانما ينقل عنه كثيرا المؤرخون اللاحقون كالمقريزى والقلقشندى وابن تغرى بردى .. الخ .

(3) هو محيى الدين أبوالفضل عبد الله بن عبد الظاهر القاضى ، كان كاتبا وشاعرا ، ولى ديوان الانشاء فى عهود الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل ، وهو الذى حرر التقليد بتولية الملك السعيد وليا للعهد ، واهم كتبه : الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة ، وقد اعتمد عليه كثيرا المقريزى فى خططه ، وليس هناك حتى الآن ما يدل على وجود هذا الكتاب ، وله أيضا سيرة السلطان الملك الظاهر بيبرس ، الفها نظما ، والألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية ، وقد نشر النص العربى مع ترجمة سويدية Moberg تحت عنوان "Axel Moberg : wr Abdallah b. Abd Az-Zahir's Biografi Över Sultanen Elmelik Al-Ashraf Halil, London. 1902).

وقد ولد ابن عبد الظاهر سنة 620 ، وتوفى سنة 692 ، انظر أخباره بالتفصيل فى (جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج 3 ، ص 154) و (دائرة المعارف الاسلامية : مادة ابن عبد الظاهر) و (Casanova : Ibn Abd Elzahir. Mémoires publiés par les Membres de la Mission Archéologiques au Caire t.VI. p. 493-505).

وكان المعز يخرج إلى جوهر فى كل يوم ويخلو به ، وأمره أن يأخذ من بيوت الأموال ما يريد زيادة على ما أعطاه .

وركب إليه المعز يوما فجلس وقام جوهر بين يديه ، فالتفت المعز إلى المشايخ الذين وجههم معه وقال :

« والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ، وليدخلنَّ إلى مصر بالأردية من غير حرب ، ولينزلنَّ فى خرابات ابن طولون ، وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا » .

قال : «ونزل جوهر مناخه موضع القاهرة الآن فى يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، واختط القصر ، وبات الناس ، فلما أصبحوا حضروا للهناء فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل ، وكانت فيه زَوْرات غير معتدلة ، فلما شاهد ذلك جوهر لم يعجبه ، ثم قال :

«قد حُفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة » فتركه على حاله » .

وقال ابن زولاق : «ولما أصبح أنفذ عليٌّ بن الوليد القاضى لعسكره ، وبين يديه أحمال مال ومنادٍ ينادى : « من أراد الصدقة فليصر إلى دار أبي جعفر » ، فاجتمع خلق من المستورين والفقراء ، فصاروا بهم إلى الجامع العتيق[1] ففرَّق فيهم .

ولما كان يوم الجمعة لعشرٍ بقين من شعبان نزل جوهر فى عسكر إلى الجامع العتيق لصلاة الجمعة ، وخطب بهم هبةُ الله بنُ أحمد - خليفة عبد السميع بن عمر العباسى - ببياضٍ ، فلما بلغ إلى الدعاء قرأه من رقعة وهو :

« اللهم صَلِّ على عبدك ووليك ، ثمرة النبوة ، وسليل العترة الهادية المهدية ، عبد الله الإمام معدّ أبي تميم المعز لدين الله ، أمير المؤمنين ، كما صليت على آبائه الطاهرين وأسلافه الأئمة الراشدين » .

---

(١) هو جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وقد سمى أيضا فى عهد ازدهاره « تاج الجوامع» ثم لما تقادم به العهد ، وكثرت الى جوانبه جوامع الفسطاط سمى «الجامع العتيق » انظر :(محمود أحمد : جامع عمرو بن العاص) .

اللهم ارفع درجته وأعلِ كلمته ، وأوضح حجته ، واجمع الأمة على طاعته ، والقلوب على موالاته وصحبته ، واجعل الرشاد فى موافقته ، وورِّثه مشارقَ الأرْض ومغاربها ، وأحمده مبادىء الأمور وعواقبها ، فإنك تقول وقولك الحق :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فى الزَّبُورِ من بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبَادىَ الصالحون »(1) .

فقد امتعض لدينك ، ولما انتُهك من حرمتك ، ودرس من الجهاد فى سبيلك ، وانقطع من الحج إلى بيتك وزيارة قبر رسولك – صلى الله عليه وسلم – ؛ فأعدَّ للجهاد عدته ، وأخذ لكل خَطْب أهبته ، فسيَّر الجيوش لنصرتك ، وأنفق الأموال فى طاعتك ، وبذل المجهود فى رضاك ، فارتدع الجاهل ، وقصر المتطاول ، وظهر الحقُّ وزهق الباطل ، فانصر اللهم جيوشه التى سيَّرها ، وسراياه التى انتدبها ، لقتال المشركين ، وجهاد الملحدين ، والذبِّ عن المسلمين ، وعمارة الثغور والحرم ، وإزالة الظلم والتهم والنهم ، وبسط العدل فى الأمم .

اللهم اجعل راياته عالية مشهورة ، وعساكره غالبة منصورة ، وأصلح به وعلى يديه ، واجعل لنا منك واقية علية » .

وأمر جوهر بفتح دار الضرب(2) ، وضرب السكَّة الحمراء(3) ، وعليها :

---

(1) الآية ١٠٥ ، سورة ٢١ (الأنبياء) .

(2) هـذا نص هام يفيد أنه كان بمصر قبل الفتح الفـاطمى دار للضرب ، وليس فى المراجع مايحدد الزمن الذى أنشئت فيهدار الضرب بمصر لأول مرة ، وانما فى (المقريزى : النقود الاسلامية ص ١٣) أن أحمـد بن طولون عثر مرة على كنز مصرى قديم به دنانير جيدة العيار ، « فتشـدد حينئذ أحمد بن طولون فى العيار حتى لحـق ديناره بالعيار المعروف له وهو الأحمدى ، الذى لا يطلى بأجود منه » ، فكأن أحمد بن طولون أول من ضرب الدينار باسمه فى مصر ، فلعله أيضا أول من أنشأ دار الضرب بها ، وفى (الكندى : القضاة ، ص ٥٦٢ – ٥٦٣ » مايفيد أن الحسين ابن زرعة ولى قضاء مصر سنة ٣٢٤ هـ – أى فى عهد الاخشيد – وأنـه نظر أيضا فى « المواريث والاحباس ودار الضرب » ، غير أن هذه المراجع لم توضح أين كانت تقـوم دار الضرب هـذه ، ويتضح من المراجع المختلفـة أن هذه الدار ظلت تعمل الى أن أنشئت دار ضرب جديدة فى العصر الفاطمى فى عهـد الخليفة الآمر بالله ، أنشأها الوزير المأمون البطائحى بالقشاشـين ، ويشغل مكانها اليـوم – كتحديد المرحوم رمزى بك فى النجوم الزاهـرة ، ج ٤ ، ص ٥٣ ؛ هامش ٣ مجموعة المبانى التى يحـدها من الشمال شارع الصناديقية ، ومن الغـرب شارع الغورى ، ومن الجنوب شارع الأزهر . أنظر وصف هذه الدار وغيرها من دور الضرب التى أنشئت بعد ذلك فى الاسكندرية وقوص وصور وعسقلان .. الخ فى (ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٠ – ٣٣١) و (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٩ و ج ٤ ص ٤٦٥) و (المقـريزى : الأوزان والأكيـال الشرعية ، ص ٤٧ – ٥٠) و (الخطط ، ج ٢ ، ص ٣١٢ – ٣١٣ و ٣٢١) و (اغاثة الأمة ، ص ١٥) و (الكرملى : النقود العربية ، ص ١١٥ – ١١٦) .

(3) لم أعثر فى المراجع التى أفدت منها على ما يوضح معنى « السـكة الحمراء » ، وانما جاء=

« دعا الإمام معد بتوحيد الإله الصمد » – فى سطر .

وفى السطر الآخر :

« المعز لدين الله أمير المؤمنين » .

وفى سطر آخر :

« بسم الله . ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة » ،

– وفى الوجه الآخر – :

« لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . علىٌّ أفضل الوصيين وزير خير المرسلين » .

ورجع مزاحم بن رائق – وكان قد سار مع الإخشيدية – ومعه جيش كبير .

وأفطر جوهر يوم الفطر على عدد بغير رؤية[1] ، وصلى صلاة العيد بالقاهرة ، صلى به علىٌّ بن وليد الإشبيلى وخطب ، ولم يصلِّ أهلُ مصر ، وصلوا من الغد فى الجامع العتيق ، وخطب لهم رجلٌ هاشمى . وكان أبو طاهر القاضى قد التمس الهلال على [رسمه فى] سطح الجامع فلم يَرَه ، وبلغ ذلك جوهر فأنكره وتهدَّد عليه .

= فى (المقريزى : النقود الاسلامية ، ص ١٤) مايفيد أنه بعد زوال الدولة الفاطمية «عمت بلوى المصارفة بأهل مصر ، لان الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا ، وعدما فلم يوجدا ، ولهج الناس بما عمهم من ذلك، وصاروا اذا قيل دينار أحمر فكانما ذكرت حرمة له ، وان حصل فى يده فكانما جاءت بشارة الجنة له .. الخ » ، فلعله يعنى بالسكة الحمراء الدينار الأحمر أى المصنوع من الذهب الجيد العيار الذى كان يمتاز به العصر الفاطمى .

انظر أيضا (الكرملى : النقود العربية ، ص ٥٩) .

(١) المذهب الشيعى لايقيد أتباعه عند صيام رمضان بضرورة رؤية الهلال ، وهى « المجالس المستنصرية ، ١٢٨ – ١٢٩ » ملخص رأيهم فى هذا الموضوع ، وهو « والذى يقتضيه المذهب الشريف المصون عن التبديل والتحريف أن التعبد فى دخول الصوم والخروج منه بالرؤية والحساب جميعا ، أنهما كالظاهر والباطن ، اذا أشكل الأمر فى أحدهما التمس فى الآخر ، ولأجل ذلك احتيج فيه الى الامام عليه أفضل السلام ، يستخرج حقيقته ، ويوضح طريقته ، فالهلال كالظاهر لأنه مشاهد ، والحساب كالباطن لأنه معقول ، والحساب يستعمل من أول كل سنة ، ثم يراعى طلوع الهلال ، فان وافق الحساب الرؤية ، فقد اتفق الظاهر والباطن ، وزال الاشكال ، وزكت الأعمال ، وان وفى الحساب ولم يطلع الهلال علم أنه قد غم أو وقع فى نظره اخلال » .

وجلس جوهر للمظالم[1] فى كل [يوم] سبت ، ثم ردَّ المظالم إلى أبى عيسى مرشد .

وفى شوال صرف على بن لؤلؤ عن الشرطة السفلى ، وردَّ شبل المعرضى ، وولى عدة من جهات الخراج ، وعلى الضياع .

وفى ذى الحجة [١١٨ ا] قدم ستة آلاف من الإخشيدية والكافورية ، فأُنزلوا خارج القاهرة وزيد فى الخطبة[2] :

« اللهم صلِّ على محمد [النبى] المصطفى ، وعلى علىّ المرتضى ، وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول ، الذين أذهبتَ عنهم الرجس وطهَّرتهم تطهيرا ، اللهم صلِّ على الأئمة الراشدين آباء أمير المؤمنين ، الهادين المهديين » .

ونودى برفع البراطيل[3] ، وقائم الشرطتيْن ، وسائر رسوم البلد .

وورد الخبر بدخول القرامطة الرملة .

وورد كتاب المعز من المغرب بوصول رأس نحرير ومُبَشِّر ويُمْن وبلال .

وتولى الحسبة[4] رجل يعرف بأبى جعفر الخراسانى .

وفى نصف ذى الحجة تكاملت الإخشيدية والكافورية[5] المستأمنة بمصر ، وهم أربعة عشر رئيسا ، فى عسكر عدته خمسة آلاف كانوا فى معسكر لهم عند مصلى العيد بالقاهرة ، فهرب

(١) فى (ابن خلكان : الوفيات ، ج ١ ص ٢١٢) أن جوهرا كان يجلس للمظالم بحضرة الوزير والقاضى وجماعة من أكابر الفقهاء ، وللتعريف بهذه الوظيفة انظر : (الأحكام السلطانية للماوردى) .

(٢) فى (ابن خلكان : المرجع السابق) ان هذه الزيادة حدثت فى يوم الجمعة الثامن من ذى القعدة .

(٣) عرف (المقريزى : الخطط ، ج ١ ص ١٧٩) البراطيل بانها « الأموال التى تؤخذ من ولاة البلاد ومحتسبيها وقضاتها وعمالها ، فأول من عمل ذلك بمصر الصالح بن رزيك فى ولاة النواحى فقط ، ثم بطل وعمل فى أيام العزيز بن صلاح الدين أحيانا .. الخ » ، وللنص هنا أهمية خاصة فهو يشير الى أن جوهرا أمر فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ برفع البراطيل ، فكانها كانت موجودة فى مصر قبل دخول الفاطميين ، فى حين يذكر فى الخطط أن أول من عمل ذلك بمصر هو الصالح بن رزيك » .

(٤) لاحظ أن هذا أول محتسب فى العصر الفاطمى .

(٥) جماعة من أمراء الجيش ينسبون الى الاخشيد والى مولاه كافور .

منه فاتك الهيكلى إلى الشام ، فلم يدركه الطلب ؛ وبلغ جوهر أن المستأمنة من الإخشيدية والكافورية اتفقوا على فساد .

وتوفى ابنٌ لجعفر بن فَلَاح ، فحضر جوهر الجنازة ، وحضر الناس وفيهم الإخشيدية والكافورية ، وانصرفوا معه ، فقال لهم فى طريقه :

« قد حضر كتاب مولانا ومولاكم بما تسروا به ، فسيروا حتى تقفوا عليه » .

فساروا معه إلى مضاربه بالقاهرة ، ودخلوا معه ، فقبض على ثلاثة عشر من وجوههم . وهم : نحرير شويزان ، وقنك الخادم الأسود ، ودرى الصقلى ، وحكل الإخشيدى ، ولؤلؤ الطويل ، ومفلح الوهبانى ، وقيلق التركى ، وفرح اليحكمى ؛ واعتقلهم ستة أشهر حتى سيَّرهم مع الهدية إلى المعز . ومعهم الحسن بن عبيد الله بن طغج ، وقبض على ضياع نحرير الأرغلى وأمواله ، وقبض من يحيى بن مكى بن رجاء ثمانين ألف دينار عينا ؛ وصاريين من عود رطب .

وورد كتاب المعز إلى جوهر ، وإلى أبى جعفر مسلم ، وإلى أبى إسماعيل الرسى ، وإلى الوزير جعفر بن الفرات .

وولَّى جوهرُ مزاحمَ بن محمد بن رائق الحوْف(١) والفرما(٢) .

ودخل جوهر والغلاء شديد ، فزاد فى أيامه حتى بلغ القمح تسعة أقداح بدينار .

---

(١) جاء فى (اللسان) « الحافة والحوف الناحية والجانب ، وحوف الوادى حرفه وناحيته » ، هذا وقد كان أسفل الأرض - أو الوجه البحرى - ينقسم فى العصر الاسلامى الى أربع نواح : الحوف الشرقى وكان يشمل عين شمس ومايسمى الآن مديرية القليوبية ومديرية الشرقية ومدينتى الفرما والعريش ، وبطن الريف وكان يشغل ما يسمى الآن مديرية الدقهلية وجزءا من شمال مديرية الغربية ، والجزيرة وهى الأرض التى بين فرعى النيل والحوف الغربى أى مديرية البحيرة . انظر : (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٨١ - ٣٨٧) والمقصود بالحوف هنا الحوف الشرقى .

(٢) كانت الفرما احدى ثغور مصر الحصينة الشمالية على البحر الأبيض المتوسط ، وقد كانت لها فى العصور الوسطى أهمية خاصة من الناحيتين الحربية والتجارية ، وفى سنة ٥٤٥هـ نزل الفرنج فى الفرما ونهبوها واحرقوها ، وفى سنة ٥٥٩ هـ أكمل حرقها الوزير الفاطمى شاور أثناء نزاعه مع ضرغام ، فلم تقم لها قائمة بعد ذلك ، وأطلالها الآن موجودة شرقى محطة الطينة على بعد ٢٥ كم منها .

وكان عاملُ الخراج عليّ بن يحيي بن العرمرم ، فأقرّه جوهرُ شهرًا ، ثم أشرك معه رجاء ابن صولان .

وأقرّ ابن الفرات على وزارته .

وأزال جوهر من مصر السواد .

ومنع من قراءة « سبح اسم ربلك » فى صلاة الجمعة .

وأزال التكبير بعد صلاة الجمعة(١) .

ولم يَدَع عملا إلا جعل فيه مغربيا شريكا لمن فيه(١) .

وكان القاع ثلاثة أذرع وتسعة عشر إصبعا . وبلغ الماء سبعة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا ؛ وخلع جوهر على ابن أبى الردّاد(٢) ، وحمله فأجازه .

(١) لاحظ هذه التغييرات التى أحدثها جوهر فى شؤون مصر الدينية والادارية .

(٢) ابن أبى الرداد هو الموظف الذى كان يشرف على أمور مقياس النيل بالروضة ، ويعلن وفاء النيل ، قال صاحب صبح الأعشى (ج ٣ ، ص ٢٩٥) : « وكانت النصارى تتولىٰ قياسه ، فعزلهم المتوكل عنه ، ورتب فيه أبا الرداد عبد الله بن عبد السـلام بن أبى الرداد المؤدب ، وكان رجلا صالحا ، فاستقر قياسه فى بنيه الى الآن » ويعنى بالجملة الأخيرة أن بنى أبى الرداد ظلسوا يلون القياس حتى عهده ، أى حتى القرن التاسع عشر .

ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة :

وفى المحرم أنفذ بشير[1] الإخشيدى من تِنِّيس نحو مائة وخمسين رجلا طيف بهم .

وكثر الفساد فى الطرق فضرب جوهرُ أعناقَ جماعة وصلبهم فى السكك .

ولاثنتى عشرة بقيت منه سار جعفرُ بن فَلَاح بن أبى مرزوق إلى الشام ، وقاتل القرامطة بالرملة وهزمهم ، وأسر الحسين بن عبيد الله بن طغج وجماعةً ، وبعثهم فى القيود إلى جوهر .

وسيَّر جوهر إلى الصعيد فى البر والبحر .

وفى ربيع الأول قبض على دواب الإخشيدية والكافورية ، وصرفهم مشاة ، وأمرهم بطلب المعيشة .

وسيَّر الهديَّة جعفرُ بن الفضل بن الفرات مع ابنه أحمد فى ربيع الآخر .

وفى سلخ ربيع الآخر زاد الغلاء ، ونزعت الأسعار ؛ وتوفى أبو جعفر المحتسب ، فردَّ جوهرُ أمرَ الحسبة إلى سليمان بن عزَّة . فضبط الساحل ، وجمع القماحين فى موضع واحد ؛ ولم يدع كف قمح يجمع إلا بحضرته ؛ وضرب أحد عشر رجلا من الطحانين وطيف بهم .

وفى يوم الجمعة لثمان خلوْن من جمادى الأولى صلى جوهر الجمعة فى جامع ابن طولون ، وأذَّن المؤذنون بحى على خير العمل ، وهو أول ما أُذن به بمصر[2] ، وصلى به عبد السميع الجمعة فقرأ سورة الجمعة : و « إذا جاءك المنافقون » وقنت[3] فى الركعة الثانية ، وانحطَّ إلى

(١) كذا فى الأصل ، وفى (ج) : « تبر »

(٢) ذكر (المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٤ ــ ٤٩) تاريخا للأذان فى مصر منذ دخلها الاسلام ، فقال انه كان بها أولا كأذان أهل المدينة الى ان دخل جوهر ، فأمر فى التاريخ المذكور فى المتن فأذن بحى على خير العمل ، ثم ذكر هناك تفصيلات وافية عن تطور الأذان بعد ذلك الى عهده .

(٣) جاء فى هامش نسخة (ج) أمام هذا اللفظ مايلى :

« عن طاوس وابراهيم قالا : القنوت فى الجمعة بدعة ، وكان مكحول يكرهه ، ولا يوجد عن أحد من الصحابة أنه قنت فى الجمعة ، وقال أبوبكر بن أبى شيبة : نايحى بن أبى بكير قال جد أبى قال : « أدركت الناس قبل عمر بن عبدالعزيز يقنتون فى الجمعة ، فلما كان زمن عمر ابن عبد العزيز ترك القنوت فى الجمعة » .

السجود ، ونسى الركوع ، فصاح به على بن الوليد - قاضى عسكر جوهر - : «بطلت الصلاة ، أعد ظهرا أربعا» .

ثم أذن بحى على خير العمل فى سائر مساجد العسكر ، وأنكر جوهر على عبد السميع أنه لم يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» فى كل سورة ، ولا قرأها فى الخطبة ، فصلى به الجمعة الأخرى وفعل ذلك ، وكان قد دعا لجوهر فى الجمعة الأولى فى الخطبة ، فأنكر ذلك ومنعه .

وقبض جوهر الأحباس من القاضى أبى طاهر ، وردها إلى غيره .

ولأربع بقين منه أُذِّن فى الجامع العتيق بحى على خير العمل ، وجُهر فيه بالبسملة فى الصلاة

ولسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة أنفذ جوهر هديته إلى المعز ومعها المعتقلون فى القيود (*) ، فكان فيما أهداه تسع وتسعون(1) بختية ، وإحدى وعشرون(2) قبة عليها الديباج المنسوج بالذهب ، ولها مناطق من ذهب مكللة بالجوهر ، ومائة وعشرون ناقة بأجلّة(3) الديباج ، وأعنّة محلاة بالفضة ، وخمسمائة جمل عرابا ، وستة وخمسون جُلاًّ ، وثمانية وأربعون دابة منها بغلة واحدة ، وسبعة وأربعون فرسا بأجِلّة حرير منقوش ، وسروج كلها ما بين ذهب وفضة ، ولجمها كذلك ؛ وعودان كأطول ما يكون العود الذى يُتبخر به .

وكان الأسرى : الحسن بن عبيد الله بن طُغْج ، وابن غزوان - صاحب القرامطة - وفاتك الهنكرى ، والحسن بن جابر الرياحى - كاتب الحسن بن عبيد الله بن طُغْج - ، ونحرير شويزان ، ومفلح الوهبانى ، ودرى الخازن ، وفرقيك ، وقيلغ التركى الكافورى ، وأبو منحل ،

(*) هذه الفقرة الطويلة الواردة بين نجمتين وردت فى الأصل بعد تفصيل الهدية مما يفهم منه أن هذه الأشياء وهى مما اهداه جعفر بن الفرات ، ولكن الصحيح ان هذه تفصيلات الهدية التى اهداها جوهر الى المعز ، وهكذا ورد النص فى نسخة (ج) فالتزمناه هنا لأفضليته .

(1) فى النسختين : «تسعا وتسعين» .

(2) الأصل : «احدى وعشرين»

(3) جاء فى (اللسان) : «جل الدابة وجلها، بضم الجيم وفتحها ، الذى تلبسه لتصان به ، والجمع جلال واجلال» ثم قال : «وجمع الجلال اجلة ، وجلال كل شىء عطاؤه ، وتجليل الفرس ان تلبسه الجل» .

وحكل الإخشيدى ، وفرح اليحكمى ، واؤلؤ الطويل ، [١١٩] وقنك الطويل [الخادم] ، فحملوا فى المراكب إلى الإسكندرية ، وساروا منها إلى القيروان فى البر .

ونافق بشير[١] الإخشيدى بأسفل الأرض ، فاستعطفه جوهر ، فلم يجب ، فسيّر إليه العساكر ، فحاربها بصهرجت[٢] ونهبها ، ومضى منهزما إلى الشام فى البحر ، فأخذ بصور ، وأُدخل به على فيل ومعه جماعة ، وبعث به جعفر بن فلاح .

وفى رمضان حفر جوهر سوارى الجامع العتيق الخشب[٣] .

وفى ذى القعدة رُدّت الحسبة إلى سليمان بن عَزّة المغربى ، فجمع سماسرة الغلات فى مكان ، وسدّ الطرق إلا طريقا واحدا ، فكان البيع كله هناك ، ولا يخرج قدح غلة حتى يقف عليه .

ومنع جوهر من الدينار الأبيض[٤] ، وكان بعشرة دراهم ، فأمر أن يكون الراضى بخمسة عشر درهما ، والمعزى بخمسة وعشرين درهما ونصف ، فلم يفعل الناس ذلك . فردّ الأبيض إلى ستة دراهم ، فتلف وافتقر خلق .

وضُربت أعناق عدة من أصحاب تِبْر والإخشيدية ، وصلبوا حتى دخل المعز من المغرب .

وأنفذ المعز عسكرا وأحمال مال - عدتها عشرون حملا - للحرمين ، وعدة أحمال متاع .

وورد الخبر بفتح جعفر بن فلاح دمشق ودخولها ، وكان من خبر جعفر بن فلاح : أنه لما سار من القاهرة فى عسكره كان على الرملة ودمشق الحسن بن عبيد الله بن طُغْج ، فلما بلغه دخول جوهر القائد إلى مصر بعساكر المعز سار عن دمشق فى شهر رمضان ، واستخلف

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى (ج) : « تبر » .

(٢) صهرجت احدى قرى مديرية الدقهلية الحالية ، وهى الآن قريتان : صهرجت الصغرى وتتبع مركز أجا ، وصهرجت الكبرى وتتبع مركز ميت غمر . انظر : (فهرس مواقع الأمكنة) .

(٣) هذا السطر غير موجود فى (ج)

(٤) لم أعثر فى المراجع التى بين يدى على تعريف للدينار الأبيض ولم سمى بهذا الاسم او فى عهد من ضرب ، وانما ورد فى كتاب (النقود للمقريزى ، ص ٤٢ ، نشر الكرملى) ذكر للدراهم البيض ، وأنها مما ضرب الحجاج ، هذا ويتضح من المتن أن هذا الدينار كان قليل القيمة جدا ، فلعله كان يشتمل على كمية كبيرة من الفضة مما اتضعت به قيمته ، ومما جعل القوم يسمونه بالأبيض .

عليه شمول الإخشيدى . وكان شمول يحقد فى نفسه منه . ويكاتب جوهر القائد ، فنزل ابن طغج الرملة ، وتأهب لحرب مَنْ يسير إليه من مصر . فوردت عليه الأخبار بمسير القرامطة إليه ، ووافوه بالرملة . فلقيهم وحاربهم ، فانهزم منهم ، ثم صالحهم وصاهرهم فى ذى الحجة .

ورحل عنه القَرْمَطى بعد ما أقام بظاهر الرملة ثلاثين يوما ، فبعث إلى شمول بالمسير إليه لمحاربة من تقدَّم من مصر ، وأنفذ إلى الصباحى - والى بيت المقدس - بالقدوم عليه ، فتقاعد عنه شمول ، وقرب منه جعفر بن فلاح ، وقد انتشرت كتبه إلى ولاة الأعمال يعدهم الإحسان ، ويدعوهم إلى طاعة المعز ، فالتقى مع ابن طغج وحاربه . فانهزم منه واحتوى على عسكره ، فقتل كثيرا من أصحابه ، وأخذه أسيرا فى النصف من رجب سنة تسع ، فأقام بالرملة يتبع ما كان لابن طغج ولأصحابه ، وسار إلى طبرية فبنى قصرا عند الجسر ليحارب فاتك غلام ملهم - وكان عليها من قبل كافور الإخشيدى - فلم يعرض له مُلْهَم ، وملك [جعفر] طبرية .

وكان بحَوْران(1) والبَثَنِيَّة(2) بنو عقيل - من قِبَل الإخشيد - وهم : شبيب ، وظالم بن موهوب ، وملهم بن ...(3) قد ملكوا تلك الديار . فأخذ جعفر بن فلاح يستميل إليه من العرب فزارة ومرَّة ، وباطنهم على قتل ملهم ، فرتبوا له رجالا قتلوه على حين غفلة . وأظهر جعفر أن ذلك من غير علمه . وقبض على من قتله [19 ب] وبعث بهم إلى ملهم . فعفا(4) عنهم .

وسار من دمشق مشايخ أهلها إلى طبرية للقاء جعفر . فاتفق وصولهم إليها يوم قتل فاتك ، وقد ثارت بها فتنة . فأخذوا وسُلبوا ما عليهم . فلقوا جعفر بن فلاح . وعادوا إلى دمشق وهم غير شاكرين ولا راضين . فبسطوا ألسنتهم بذم المغاربة حتى استوحش أهل دمشق منهم .

---

(1) ذكر (ياقوت : معجم البلدان) انهـا كورة واسعة من اعمال دمشق من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة ومزارع وقصبتها بصرى .

(2) هكذا ضبطها ياقوت ، وذكر انها قرية من نواحى دمشق .

(3) بياض بالاصل .

(4) الاصل : " مففى " والمعنى فى هـذه الفقرة مضطرب ، اذ كيف يتفق أن يقتل رجال جعفر ملهماً ثم يرسل جعفر هؤلاء الرجال الى ملهم - المقتول - فيعفو عنهم ؟!

وكان شمول قد خرج منها إلى جعفر ، فلقيه بطبرية ، وصار البلد خاليا من السلطان ، فطمع الطامع ، وكثر الذعّار[1] وحمال السلاح به وجهّز جعفر من طبرية من استمالهم من مرة وفزارة لحرب بنى عقيل بحَوْران والبَثَنِيَّة ، وأردفهم بعسكر من أصحابه ، فواقعو بنى عقيل ، وهزموهم إلى أرض حمص وهم خلفهم ؛ ثم رجعوا إلى الغوطة[2] ، وامتدت أيديهم إلى أخذ الأموال – وهم سائرون – حتى نزلوا بظاهر دمشق ، فثار عليهم أهل البلد ، وقاتلوهم وقتلوا منهم كثيرا من العرب ، فانهزموا عنها ، وذلك لثمانٍ خلوْن من ذى الحجة ، فلحقوا بطلائع جعفر ، فساروا معها إلى دمشق ، وخرج إليهم الناس مستعدين لمحاربتهم – فى خيل ورجل – فاقتتلوا يومهم ثم انصرفوا ، وأصبحوا يوم الجمعة فاقتتلوا ، وصاح الناس فى الجامع بعد الصلاة : « النفير » ، فخرج النفير ، واشتد القتال إلى آخر النهار .

ونزل جعفر يوم السبت لعشر خلوْن منه بالشماسيَّة ، وأصبح الناس للقتال ، ولم يصلوا ذلك اليوم فى المصلى صلاة العيد ، فاستمروا طول النهار ومعهم الجند الذين كانوا مع شمول ، فكلوا ، وحملت معهم المغاربة فانهزموا ، وتمكن السيف منهم وهم منهزمون إلى أرض عاتكة[3] وقصر حجاج ، فقتل خلق كثير ؛ وكان رئيس أهل الشام فى هذه الحروب أبو القاسم ابن أبى يعلى العباسى ، ومحمد بن عصودا وصادقة الشوا .

فلما ملك المغاربة ظاهر البلد طرحوا النار فيما هنالك من الأسواق وغيرها ، وصاروا إلى باب الجابية ، وأصبحوا وقد ضبط الرعية أبواب البلد ، فاستمرت [الحرب][4] طول النهار مما يلى المصلى ، ثم كفوا عن القتال وباتوا ؛ فلما أصبح النهار خرج قوم من مشايخ البلد لمخاطبة جعفر – وهو بالشماسيَّة – فى إصلاح أمر البلد ، فأخذهم قوم من المغاربة ، وسلبوهم

(١) الزعار والزعرة والزعر جمع زاعر وهو اللص المحتال والعيار والحرفوش والمتشرد (Filou, Vaurien) أنظر : (Dozy : Supp. Dict. Arab)

(٢) الغوطة فى اللغة الأرض المطمئنة ، وهى هنا – كما ورد عند ياقوت – الكورة التى منها دمشق .

(٣) توجد فى النسختين بالهامش خاشية أمام هذا اللفظ نصها :
« أرض عاتكة خارج باب الجابية من دمشق ، تنسب الى عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وكان لها بها قصر فيه مات زوجها عبد الملك بن مروان » .

(٤) مابين الحاصرتين عن (ج) .

ثيابهم ، وقتلوا منهم وجرحوا عدة ، وعلم بذلك أهل البلد ، فصاحوا من أعلى المواذن بالناس يعلمونهم الخبر ، ثم قدم المأخوذون فارتاع الناس واشتد خوفهم وتحيروا ، ثم جرت بينهم – بعد ذلك – وبين جعفر مراسلة ، فخرجوا إليه ، فاشتد عليهم وخوّفهم بالنار والسيف ، فعادوا وقد ملئوا رعبا ، فبلغوا قوله للناس وقد تحيّروا ، فاقتضى رأيهم معاودة جعفر فى طلب العفو ، فرجع المشايخ إليه ، وما زالوا يتضرعون إليه حتى قال :

« ما أعفو عنكم حتى تخرجوا إلىّ ومعكم نساؤكم مكشوفات الشعور فيتمرغن [فى التراب](١) بين يدى لطلب العفو » .

فقالوا له :

« نفعل ما يقول القائد » .

وما برحوا يذلون له حتى انبسط معهم فى الكلام ، وتقرر الأمر على أنه يدخل يوم الجمعة إلى الصلاة فى الجامع .

فلما كان يوم الجمعة ركب فى عسكره ، ودخل البلد فصلى بالجامع وخرج ، فوضع أصحابه أيديهم ينهبون الناس ، فثاروا عليهم ، وقتلوا منهم كثيرا ؛ وخرج إليه المشايخ فأنكر عليهم ، وقال لهم : « دخل رجال أمير المؤمنين للصلاة فقتلتموهم » وهددهم ، فلطفوا معه القول وداروه ، فأومأ إلى مال يأخذه من البلد دِيَةَ مَنْ قُتل من رجال أمير المؤمنين ، فأجابوه ، وكان فى الجماعة أبو القاسم أحمد المعروف بالعقيقى العلوى [وهو أحمد بن الحسن الأشل بن أحمد بن على – الرئيس بالمدينة كان – بن محمد العقيقى بن جعفر بن عبد الله ابن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب – عليهم السلام –](٢) فانصرفوا من عنده ، وفرضوا له المال ، فعمّ الناس البلاء فى جبايته .

ونزل بظاهر سور دمشق فوق نهر يزيد أصحاب جعفر [فبنوا](٣) المساكن ، وأقاموا بها الأسواق ، وصارت شبه المدينة ، واتخذ لنفسه قصرا عجيبا من الحجارة ، وجعله عظيما

(١) مابين الحاصرتين زيادة عن (ج)
(٢) مابين الحاصرتين زيادة عن (ج) .
(٣) أضفنا مابين الحاصرتين ليتضح المعنى

شاهقا فى الهواء غريب البناء ، وتطلب حمال السلاح فظفر بقوم منهم ، وضرب أعناقهم ، وصلب جثثهم ، وعلّق رءوسهم على الأبواب ، وفيها رأس إسحاق بن عصودا .

وكان ابن أبى يَعْلَى لما انهزم خرج إلى الغوطة يريد بغداد ، فقبض عليه ابن عليان العدوى عند تَدْمُر ، وجاء به إلى جعفر بن فلاح ، فشهَّره على جمل ، وفوق رأسه قلنسوة[1] وفى لحيته ريش [١٢٠] وبيده قصبة ، ثم بعث به إلى مصر .

وأما محمد بن عصودا فإنه لحق بالقرامطة فى الأحساء[2] ـ هو وظالم بن موهوب العقيلى ـ لما انهزم بنو عقيل عن حوران والبَثَنِيَّة ، فحثوهم على المسير إلى دمشق .

فلما كان فى ربيع الأول سنة ستين أنفذ جعفر غلامه فتوح على عسكر إلى أنطاكية ، وكان لها فى أيدى الروم نحو من ثلاث سنين ، وسيَّر إلى أعمال دمشق وطبرية وفلسطين فجمع منها الرجال ، وبعث عسكرا بعد عسكر إلى أنطاكية ، وكان الوقت شتاء ، فنازلوها حتى انصرم الشتاء ، وسارت القوافل وهم ملحون فى القتال ، فأردفهم جعفر بعساكر فى نحو أربعة آلاف مددا لهم ، فظفروا بنحو مائتى بغل تحمل علوفة لأهل أنطاكية فأخذوها وقد أشرفوا على اسكندرونة وعليها عساكر الروم فواقعوهم ، فانهزم العسكر ، وقتلوا منهم كثيرا .

وورد على ابن فلاح خبر هزيمة عسكره ، وخبر مسير القرامطة إلى الشام ، وأنهم وردوا الكوفة . فأمدهم صاحب بغداد بالسلاح ، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبى تغلب ابن حمدان ، تقوية لهم على حرب المغاربة ، فبعث إلى غلامه فتوح برحيله عن أنطاكية ومصيره إليه ، فوافاه ذلك أول رمضان ، فسار بمن معه ، وتركوا كثيرا من العلف والطعام ، وأتوه إلى دمشق ، فصار كل قوم منهم إلى أماكنهم .

---

(١) القلنسوة والقلنسية ما يلف على الراس تكويرا مثل العمامة . انظر :
(Dozy : Dict. des Vets).

(٢) الاحساء لغة جمع حسى وهو الماء الذى تنشقه الأرض من الرمل فاذا صار الى صلابة أمسكته ، فتحفر العرب عند الرمل فتستخرجه، والاحساء (كما ذكر ياقوت فى معجم البلدان) : « مدينة بالبحرين كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر ابوطاهر الحسن بن أبىسعيد الجنابى القرمطى ، وهى الى الآن ـ أى القرن السابع الهجرى ـ مدينة مشهورة عامرة » !

وقدم القرمطى إلى الرحبة ، فأمده أبو تغلب بالمال ، وبمن كان عنده من الإخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين ، صاروا إليه لما انهزموا من المغاربة ، وصار بهم القرمطى حتى قرب من دمشق ، فخرج إليهم جعفر بن فلاح - وقد استهان بهم - وواقعهم ، فانهزم منهم ، وأخذ السيف أصحابه ، وقُتل - فلم يدر قاتله - لست خلوْن من ذى القعدة سنة ستين ، ووجد مطروحا على الطريق خارج دمشق ، فجاءه محمد بن عصودا فقطع رأسه ، وصلبه على حائط داره ؛ أراد بذلك أخذ ثأر أخيه إسحاق لما قتله جعفر وصلبه . وملك القرامطة دمشق ، وأمنوا أهلها ، ثم ساروا إلى الرملة فملكوها ، واجتمع إليهم كثير من الإخشيدية .

وفيها اصطلح قرعويه - مولى سيف الدولة بن حمدان - متولى حلب ، وأبو المعالى شريف ابن سيف الدولة ، فخطب له قرعويه بحلب ، وخطبا جميعا فى معاملتيهما للإمام المعز بحلب وحمص[1] .

---

(1) يوجد بهامش نسخة الأصل أمام هذا اللفظ : « بياض ثلثى صفحة » مما يدل على ان هذه النسخة نقلت عن نسخة المؤلف التى كانت لا تزال فى مرحلة التـاليف والاستيفاء ، وسترد فيمايلى ملاحظات مشابهة كثيرة سنشير اليها فى مواضعها .

ودخلت سنة ستين وثلاثمائة :

فني المحرم اشتدت الأمراض والوباء بالقاهرة ، وورد جماعة من الوافدين إلى المغرب بجوائز وخلع .

وفي صفر ضرب تِبْر بالسياط ، وقبضت ودائعه .

وفي ربيع الآخر جرح تبر [القائد أبو الحسن][1] نفسه ، ومات بعد أيام ، فسلخ بعد موته وصلب حتّى مزقته الرياح [عند المنظر][1] .

وفي جمادى الأولى منع جوهر من بيع الشواء مسموطا ، وأن يسلخ من جلده .

وفي جمادى الآخرة نقل جوهر مجاس المظالم إلى يوم الأحد ، وأطلق لأصحاب الراتب ألف دينار فُرقت فيهم ؛ وورد شمول من الشام مستأمنا ، فخلع عليه سبع خلع ، وحمل على فرسين ، وأعطى إثنا عشر كيسا عينا وورقا ؛ وقدم سعادة بن حيّان من المغرب في جيش كبير ، فتلقاه جوهر فترجل له سعادة .

وفي شعبان وردت الرسل من المغرب برأس محمد بن خزر ، ومعه ثلاثة آلاف رأس ، فقرأ عبد السميع يوم الجمعة كتاب المعز بخبر المذكور ، وكان محمد بن الخير بن محمد بن خزر الزناتي أكبر ملوك المغرب سلطانا على زناتة وغيرهم ، هجم عليه أبو الفتوح يوسف بن زيرى ابن منادٍ وهو في قليل من أصحابه يشرب ، فلما أحيط به قتل نفسه بسيفه في سابع عشر ربيع الآخر سنة ستين وثلاثمائة ، فقدم رأسه على المعز لثلاث بقين منه .

وفي شوال أنفذ جوهر سعادة بن حيان إلى الرملة واليا عليها ، وقد كثر الإرجاف بالقرامطة ،

---

(١) ما بين الحاصرتين ورد في الهامش بالأصل .

وأن جعفر بن فلاح قتل منهم ، وملكوا دمشق ، فتأهب جوهر لقتالهم ، وعمل الخندق[1] ، ونصب عليه البابيْن الحديد اللذين كانا على ميدان الإخشيدى[2] ، وبنى القنطرة على الخليج ، وفرّق السلاح على المغاربة والمصريين ؛ ووكل بابن الفرات خادما يبيت معه فى داره ، ويركب معه حيث سار ؛ ووثب أهل تِنِّيس على واليهم وقتلوا جماعة منهم الإمام فى القبلة [٢٠ ب] ووجدت رقاع فى الجامع العتيق فيها التحذير من جوهر ، فجمع الناس ووبخهم فاعتذروا .

وفى ذى الحجة كبست القرامطة مدينة القُلْزُم[3] ، وأخذوا واليها عبدالعزيز[4] بن يوسف ، وما كان له من خيل وإبل .

وكان القاع خمسة أذرع ، وبلغ ماء النيل سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع ، وخلع جوهر على ابن أبى الرداد ، وأجازه وحمله .

وفيها مات أبو سعيد يانس أحد قواد الإخشيدية فى المحرم .

وقتل تبرُ القائدُ أبو الحسن نفسَه [بسكين الدواة[5] فى شهر ربيع الآخر ، فسلخه القائد جوهر ، وصلبه عند المنظر حتى مزقته الرياح][6] .

---

(١) ذكر (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨٠) أن جوهرا قصد باختطاط القاهرة حيث هى « أن تصير حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ، ليقاتلهم من دونها ، فأدار السور اللبن على مناخه الذى نزل فيه بعساكره ، واحتفر الخندق من الجهة الشامية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة الى القاهرة وما وراءها من المدينة » .

(٢) أنشأ هذا الميدان الأمير أبوبكر محمد بن طغج الاخشيد بجوار بستانه الذى عرف فيما بعد بالبستان الكافورى ، وكانت تقف فيه الخيول السلطانية فى الدولة الاخشيدية ، انظر : (المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٢٠ - ٣٢١) .

(٣) القلزم مدينة قديمة كانت ميناء مصر فى أقصى شمال خليج القلزم ، وبها سمى البحر الأحمر بحر القلزم أيضا ، وقد خربت هذه المدينة فى القرن الخامس الهجرى ، وعلى أنقاضها نشأت مدينة السويس الحالية فى القرن السادس الهجرى ، أنظر تحقيقات محمد رمزى فى « النجوم الزاهرة ، ج ٨ . ص ١٥١ ، ١٥٢ » .

(٤) توجد فى الهامش بالنسختين حاشية أمام هذا الاسم ، نصها :

« عبد العزيز هذا هو الذى أعان المتنبى حين هرب من مصر حين اجتاز به ، فأضافه وحوزه « كذا » ، وله فيه أبيات فى ديوانه » .

(٥) عقد صاحب صبح الأعشى فصلا طويلا تحدث فيه باسهاب عن الآلات التى تشتمل عليها الدواة كالأقلام والمقلمة والمقط والمحبرة والجونة ، وذكر من بينها : المدية أو السكين ، ثم ذكر أنواعها وأجزاءها وصفاتها وما قيل فيها . أنظر (ج ٢ ، ص ٤٦٥ و ٤٦٧) .

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ج) .

ودخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة :

وفى المحرم دُخل برءوس من بنى هلال .

وفيه كُبست الفرما ، وعصى أهل تنيس ، وغيروا الدعوة وسوّدوا ، فحاربهم العسكر ، ودخل بعض المنهزمين من القرامطة ، وتبعهم القرامطة إلى عين شمس ، فاستعد جوهر لقتالهم ، وغلّق أبواب الطابية ، وضبط الداخل والخارج ، وقبض على أربعة من الجند المصريين ، وضرب أعناقهم وصلبهم ، وبعث فأخرج ابن الفرات من داره وأسكنه بالقاهرة .

وفى مستهل ربيع الأول التحم القتال مع القرامطة على باب القاهرة .

وكان يوم جمعة ، فقُتل من الفريقين جماعة ، وأسر عدة ، وأصبحوا يوم السبت متكافئين ، وغدوا يوم الأحد للقتال ، فسار الحسن بن أحمد بهرام الذى يقال له الأَعْسَم – زعيم عسكر القرامطة – بجميع عسكره على الخندق ، والباب مغلق ، فلما زالت الشمس فتح جوهر الباب ، واقتتلوا قتالا شديدا قُتل فيه خلق كثير ، وانهزم الأَعْسَم ونهب سواده بالجب ، وأخذت صناديقه وكتبه ، وهو فى الليل على طريق القُلْزُم ، فنهبتْ بنو عَقِيل وبنو طيّ كثيرًا من سواده ، ونادى جوهر فى المدينة :

« من جاء بالقَرْمَطى أو برأسه فله ثلاث مائة ألف درهم ، وخمسون خِلْعَة ، وخمسون سرجا بحلى على دوابها » .

فلما كان الغد من وقعة القَرْمَطى ورد أبو محمد الحسن بن عَمّار من المغرب ؛ وسار عسكرٌ لقتال أهل تِنِّيس ، وقبض على تسعمائة من جند مصر فى ساعة واحدة وقيدوا ؛ وردّ جوهرُ تدبير الأموال إلى جعفر بن الفرات ، وخرج سعادة بن حَيّان فى عسكر إلى الرَّمْلَة بسبب القرامطة فدخلها ، ثم قدم عليه الأعسم القَرْمَطى ، فعاد سعادة بمن معه إلى مصر .

وفى شهر رمضان قبض على عجوز عمياء تُنْشِد فى الطريق وحُبست ، ففرح جماعة من الرعية ، ونادوا بذكر الصحابة ، وصاحوا :

« معاوية خال المؤمنين ، وخال على » .

فبعث جوهر ونادى فى الجامع العتيق :

« أيها الناس : أقلوا القول ، ودعوا الفضول ، فإننا حبسنا العجوز صيانةً لها ، فلا ينطقن أحد إلا حلت عليه العقوبة الموجعة » .

ثم أطلقت العجوز .

وخرج عبد العزيز بن إبراهيم الكلابى بالصعيد ، وسوّد ، ودعا لبنى العباس ، فبعث إليه جوهر فى البحر أربعين مركبا عليها بشارة النوبى ، وأنفذ بأزرق فى البر على عسكر ، فأُخذ وأُدخل به فى قفص مغلولا ، وطيف به وبمن معه .

ووافى الأسطول من المغرب ، وسار إلى الشام فأسر وغنم .

وأمر جوهر برفع الدنانير البيض .

وفى آخر ذى الحجة نهبت المغاربة مواضع بمصر ، فثارت الرعية ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وركب إليهم سعادة بن حيّان ، وغرم جوهر للناس ما نهب لهم ، وقبل قولهم فى ذلك .

ودخلت سنة اثنتين وستين وثلاثمائة :

فى المحرم قدّر جوهرُ قيمةَ الدنانير ، فجعل الأبيض بثمانية دراهم .

ولخمس بقين منه توفى سعادة بن حيّان ، فحضر جوهر جنازته ، وصلى عليه الشريف مسلم .

وفى ربيع الأول عزل سليمانُ بن عَزَّة المحتسب جماعة من الصيارفة ، فشغب طائفةٌ منهم ، وصاحوا :

« معاوية خال على بن أبى طلب » .

فهمَّ جوهرُ بإحراق رَحْبَة الصيارفة ، لولا خوفه على الجامع .

وفيه أمر ألا يظهر يهودىٌّ إلا بالغيار(١) .

ودخل الحسن بن عمّار ببضع وتسعين أسيرا ، وشُهِّروا .

ودخل عبد الله بن طاهر الحسينى على جوهر بطَيْلَسان(٢) كُحْلِى - وفى مجلسه القضاةُ والعلماءُ والشهودُ - فأنكر الطَيْلَسانَ الكحلىَّ ، ومدَّ يده فشقَّه ، فغضب ابنُ طاهر وتكلم ، فأمر جوهر بتمزيقه فمُزِّق ، وجوهر يضحك ، وبقى حاسرا بغير رداء ، فقام جوهر وأخرج له عمامة ، ورداءً أخضر ، وألبسه وعمَّمه بيده .

وفى يوم الثلاثاء رابع المحرم المذكور [١٢١ أ] زلزلت دمشق وأعمالها زلزلة عظيمة وقتا من الزمان ، ثم هدأ ، وانهدم بها من أنطاكية عدة أبرجة .

---

(١) الغيار الملابس التى كان يتميز بها اهل الذمة عن المسلمين فى العصور الوسطى ، وهذا ما يفهم من مدلول اللفظ ، أى الملابس التى تغاير ملابس المسلمين . انظر : (محيط المحيط) و (Dozy : Supp. Dict. Arab) و (السلوك ، ج ١ ، ص ١٣٥ ، هامش ٤) .

(٢) الطيلسان - بفتح اللام وكسرها وضمها ، والفتح أرجح - لفظ فارسى معرب ، ويقال فيه أيضا الطيلس والطالسان ، وجمعه طيالسة ، وهو فى المراجع المختلفة ثوب يحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة ، وكان يختص بلبسه فى العالم الاسلامى فى العصور الوسطى الفقهاء والعلماء والقضاة ، وفى النصوص مايفيد أنه كان ينسج من ألوان مختلفة ، انظر : (الجواليقى : المعرب ، ص ٢٢٧) و (اللسان) و (Dozy: Dict. des Vets) .

وفى شهر ربيع الآخر تواترت الأخبارُ بمسير المعز إلى مصر ؛ وورد كتابُه من قَابِس فتأهَّب جوهرُ لذلك ، وأخذ فى عمارة القصر والزيادة فيه .

وفى النصف من جمادى الأولى مات عبد العزيز بن هيج فسُلخ وصُلب .

وفى أول رجب كَدَّ جوهرُ الناسَ للقاء المعز ، فتأهبوا لذلك ، وخرج أبو طاهر القاضى ، وسائر الشهود والفقهاء ووجوه التجار إلى الجيزة مبرزين للقاء المعز ، فأقاموا بها أربعين يوما حتى ورد الكتاب بوصول المعز إلى برقة ، فسار القاضى ومَنْ معه .

وسار الحسن بن عمار إلى الحوف فى عشرة آلاف فواقعوا القرامطة هناك .

ولخمسٍ بقين من شعبان ورد الخبر بوصول المعز إلى الاسكندرية ، ولقيه أبو طاهر القاضى ومَنْ معه ، فخاطبهم بخطاب طويل ، وأخبرهم أنه لم يسر لازدياد فى ملك ولا رجال ، ولا سار إلا رغبة فى الجهاد ونصرة للمسلمين ؛ وخلع على القاضى وأجازه وحمله .

ولقيه أبو جعفر مسلم فى جماعة الأشراف ، ومعهم وجوه البلد بنواحى محلة حفص ، وترجلوا له كلُّهم – وكان سائرا فوقف – ، وتقدَّم إليه أولا أبو جعفر مسلم ، ثم الناس على طبقاتهم ، وقَبَّلوا له الأرض وهو واقف ، حتى فرغ الناس من السلام عليه ، ثم سار وسايره أبو جعفر مسلم – وهو يحادثه – وسأل عن الأشراف ، فتقدَّم إليه أكابرهم :

أبو الحسن محمد بن أحمد الأدرع .

وأبو إسماعيل الرسى .

وعيسى أخو مسلم .

وعبد الله بن يحيى بن طاهر بن السويح(١)

ثم عزم على الشريف مسلم ، وأمره بركوب قبة لأن الحرَّ كان شديدا وكان الصوم ، فقُدمت إليه قبة محلاة على ناقة ، وعَادَلَهُ غلامٌ له ، ونزل المعز إلى الجيزة ، فكانت مدة القائد أبي الحسن جوهر أربع سنين وتسعة عشر يوما .

---

(١) كذا في النسختين ، ولعلها « الشويخ » .

ذكر

قدوم المعز لدين الله أبى تميم معد الى مصر

وحلوله بالقصر من القاهرة المعزية

وما كان من ولاية الخلفاء من بعده حتى انقضت أيامهم وأناخ بهم حِمامهم .

فى يوم الاثنين لثمان بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة دخل المعز لدين الله إفريقية .

وفى يوم الاثنين رابع عشرين[1] جمادى الأولى سنة ثنتى وستين نزل بقصره خارج بَرْقَة .

ووصل إلى الإسكندرية يوم الجمعة لست بقين من شعبان ، ونزل تحت منارتها ثم سار .

ونزل المعز إلى الجيزة فخرج إليه جماعةٌ من بنى ، وعقد جوهر جسر[2] الجيزة ، وعقد جسرا آخر عند المختار بالجزيرة حتى سار عليه إلى الفسطاط ، ثم إلى القاهرة . وزينت له الفسطاط . فلم يشقها ، ودخل معه جميع من كان وفد إليه ، وجميع أولاده وأخوته وعمومته ، وسائر ولد المهدى ، وأدخل معه توابيت آبائه : المهدى والقائم والمنصور . وكان دخوله إلى القاهرة ، وحصوله فى قصره يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، فصارت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة .

قال الفقيه الحسن بن إبراهيم بن زولاق - رحمه الله - ومن خطه نقلتُ - :

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى (ج) : « أربع عشر » .

(٢) كان يربط الجزيرة بالفسطاط فى العصر الاسلامى جسر يمر عليه الناس والدواب، كما كان يربطها بالجيزة جسر آخر ، وكان هذان الجسران - كما يروى (المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٧٦) يتكونان من مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض ، وهى موثقة ، ومن فوق المراكب أخشاب ممتدة فوقها تراب ، وكان عرض الجسر ثلاث قصبات . انظر كذلك (ابن حوقل : المسالك والممالك ، ص ٩٦) و (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٣٥) .

«حدثنى أحمد بن جعفر قال : كان القائم بأمر الله - عليه السلام - يومًا فى مجلس أبيه المهدى جالسا بين يديْه ، وكان ابنه المنصور قائما بين يدى جَدِّه ، فقال المهدىُّ لابن ابنه المنصور : «ايتنى بابنك» - يعنى المعز لدين الله - ، فجاءت به دايته - وله سنة أو فوقها - ، فأخذه المهدى فى حجره وقبَّله ، وقال لابنه القائم بأمر الله : «يا أبا القاسم : ما على ظهر الأرض مجلس أشرف من هذا المجلس ، اجتمع فيه أربعة أئمة ، يعنى المهدىُ نفسَه ، وابنه القائم ، وابن ابنه المنصور ، وابن ابنه المعز لدين الله ؛ وزادنى أبو الفضل ريدان[1] - صاحب المظلة - فى هذا الخبر[2] أن المهدى جمعهم فى دُوَّاج[3] وقال : «جمع رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - معه ثلاث أئمة فى كساء سوى نفسه ، وقد جمع هذا الدُوَّاج أربعة أئمة» .

قال [ابن زولاق] :

«ولما وصل المعز إلى قصره خَرَّ ساجدا ، ثم صلى ركعتين ، وصلى بصلاته كل من دخل معه ، واستقر فى قصره بأولاده وحشمه وخواص عبيده ، والقصر يومئذ مشتمل على ما فيه من عَيْن وورق [٢١ ب] وجوهر وحُلى وفرش وأوان وثياب وسلاح وأسفاط وأعدال وسروج ولجم ؛ وبيت المال بحاله بما فيه ، وفيه جميع ما يكون للملوك .

وخرج غد هذا اليوم - وهو يوم الأربعاء - جماعةُ الأشراف والقضاة والعلماء والشهود ووجوه أهل البلد وسائر الرعية لتهنئة المعز .

ولعشر خلون من رمضان أمر المعز بالكتاب على المشايخ فى سائر مدينة مصر : «خيرُ الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم [أمير المؤمنين][4] علىُّ بن أبى طالب - عليه السلام - » ، وأثبت اسم المعز لدين الله ، واسم ابنه عبد الله الأمير .

ووقَّع المعز بيده إلى محمد بن الحسين بن مهذب[5] - صاحب بيت المال - :

---

(١) الأصل : «زيدان» والتصحيح عن (ج) .
(٢) الأصل : «الجزء» ، والتصحيح عن (ج) .
(٣) الدواج ضرب من الثياب (اللسان) .
(٤) مابين الحاصرتين زيادة عن (ج) .
(٥) الأصل : «مهدى» ، والتصحيح عن (ج) .

« تقدَّمْ يا محمد بابتياعٍ لنا ولمولاك عبد الله فى كل يوم من الفاكهة الرطبة واليابسة كذا وكذا بسعر الناس ، ولا تعرف الرسول لئلا تقع محاباةٌ ولا مسامحة ، وكذلك حوائج المطبخ » .

وللنصف منه جلس المعز فى قصره على السرير[1] الذهب الذى عمله جوهر فى الإيوان الجديد ، وأَذِنَ بدخول الأشراف أولاً ، ثم بعدهم الأولياءُ وسائر وجوه الناس ، وجوهرٌ قائمٌ بين يديْه يقدِّم الناسَ قوما بعد قوم ؛ ثم مضى جوهر وأقبل بهديته ظاهرةً يراها الناسُ ، وهى :

من الخيل : مائة وخمسون فرسا مسرجة ملجمة ، منها مذهب ، ومنها مرصع ، ومنها بعنبر[2] .

وإحدى[3] وثلاثون قبة على بخاتى بالديباج والمناطق والفرش ، منها تسعة بديباج مثقل .

وتسع نوق مجنوبة مزينة بمثقل .

وثلاثة وثلاثون بغلا ، منها سبعة مسرجة ملجمة .

ومائة وثلاثون بغلا للنقل .

وتسعون نجيبا .

وأربعة صناديق مشبكة يُرى ما فيها ، وفيها أوانى الذهب والفضة .

ومائة سيف محلى بالذهب والفضة .

ودرجان[4] من فضة مخرَّقة فيها جوهر .

وشاشية مرصعة فى غلاف .

وتسعمائة ما بين سفط وتخت[5] فيها سائر ما أعدَّه له من ذخائر مصر .

(١) السرير هنا بمعنى العرش ، وقد سمى سريرا لأن من جلس عليه من أهل الرفعة والجاه يكون مسرورا ، والجمع أسرة وسرر (محيط المحيط) .
(٢) فى النسختين : « بذهب وبعنبر » والتصحيح عن (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٧)
(٣) النسختان : « وواحد » والصحيح ما أثبتناه .
(٤) فى النسختين : « ودرجات » ، والتصحيح عن الخطط .
(٥) التخت وعاء تصان فيه الثياب ، فارسى معرب (اللسان) .

وأَذِنَ المعزُّ لابنه عبد الله فى الجلوس فى مجلسه .

وحمل أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسينى هديته ، وهى :

أحد عشر سفطا من متاع تونة(١) وتنيس ودمياط .

وخيلا وبغالا .

وقال :

« كنت أشتهى أن يلبس منها المعز لدين الله ثوبا أو ينعم بالعمامة التى فيها ، فما عُمل لخليفة قطُّ مثلها » .

وأذن المعز لجماعة بالجلوس فى مجلسه ، وأطلق جماعةَ المعتقلين من الإخشيدية والكافورية الذين اعتقلهم جوهر ، وعدّتهم نحو الألف .

وقال للقاضى أبى طاهر : « كم رأيت من خليفة ؟ »

فقال : « ما رأيت خليفة غير مولانا المعز لدين الله ـ صلوات الله عليه ـ » .

فاستحسن ذلك منه على البديهة ، مع علم المعز أن أبا طاهر رأى المعتضد ، والمكتفى ، والمقتدر ، والقاهر ، والراضى ، والمتقى ، والمستكفى ، والمطيع ؛ فشكره وأعجب بقوله .

وركب المعزُّ يوم الفطر ـ لصلاة العيد ـ إلى مصلى(٢) القاهرة الذى بناه جوهر ، وكان محمد بن أحمد بن الأدرع الحسينى قد بكّر وجلس فى المصلى تحت القبة ، فجاء الخدم وأقاموه وأقعدوا موضعه أبا جعفر مسلم ، وأقعدوه دونه ، فكان أبو جعفر مسلم خلف المعز عن يمينه وهو يصلى .

وأقبل المعز فى زيه وبنوده وقبابه ، وصلى بالناس صلاة العيد صلاةً تامة طويلة ، قرأ فى الأولى بأم الكتاب ، و « هل أتاك حديث الغاشية » ؛ ثم كبر بعد القراءة ، وركع فأطال ، وسجد فأطال .

(١) قرية قديمة كانت قريبة من تنيس ودمياط ، وكانت مشهورة بثيابها وطرزها .
(٢) لاحظ أن المقريزى ينقل هنا عن ابن زولاق المؤرخ المعاصر للمعز ، وهو يسمى الجامع الذى بناه جوهر « مصلى القاهرة » ، ولا يسميه الجامع الأزهر .

قال ابن زولاق :

« أنا سبّحتُ خلفه فى كل ركعة وفى كل سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة ، وكان القاضى النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير ؛ وقرأ فى الثانية بأم الكتاب وسورة « والضحى » ، ثم كبّر أيضا بعد القراءة ؛ وهى صلاة جده على بن أبى طالب ، وأطال أيضا فى الثانية الركوع والسجود ، وأنا سبّحت خلفه نيفا وثلاثين تسبيحة فى كل ركعة وفى كل سجدة ؛ وجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة ، وأنكر جماعة يترسمون بالعلم قراءته قبل التكبير ، لقلة علمهم وتقصيرهم فى العلوم .

فلما فرغ من الصلاة صعد المنبر ، وسلّم على الناس يمينا وشمالا ، ثم نشر البندين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما ، وكان فى أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل ، فجلس عليها بين الخطبتين ، واستفتح الخطبة ببسم الله الرحمن الرحيم .

وكان معه على المنبر جوهر ، وعمار بن جعفر ، وشفيع – صاحب المظلة – ، ثم قال : « الله أكبر الله أكبر » ، استفتح بذلك « وخطب وأبلغ وأبكى الناس ، وكانت [١٢٢ أ] خطبته بخضوع وخشوع .

فلما فرغ من خطبته انصرف فى عساكره ، وخلفه أولاده الأربعة بالجواشن[١] والخوذ على الخيل بأحسن زى ، وساروا بين يديه بالفيلين . فلما حصل فى قصره أحضر الناس فأكلوا ونشطهم إلى الطعام ، وعتب على من تأخر ، وتهدّد من بلغه عنه صيام العيد » .

وردّ إلى أبى سعيد عبد الله بن أبى ثوبان أحكام المغاربة ومظالمهم .

وتحاكم إليه جماعة من المصريين فحكم بينهم وسجّل ، فكان شُهودُ مصر يشهدون عنده ويشهدون على أحكامه ، ولم يُرَ هذا بمصر قبل ذلك ؛ واستخلف [أبو سعيد] أحمد بن محمد الدوادى .

ومنع المعز من النداء بزيادة النيل ، وألا يكتب بذلك إلا إليه وإلى جوهر ، فلما تمّ أباح النداء [يعنى لما تم ست عشرة ذراعًا][٢] .

(١) الجواشن : جمع جوشن وهو الدرع (محيط المحيط) .

(٢) مابين الحاصرتين زيادات عن : المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٩٧) حيث نقل هذه الحقيقة أيضا عن سيرة المعز لدين الله لابن زولاق ، وعقب عليها بتفسير الحكمة فى هـــذا =

وخلع على جوهر خلعةً مذهبة ، وعمامة حمراء ، وقلّده سيفا ، وقاد بين يديه عشرين فرسا مسرجة ملجمة ، وحمل بين يديه خمسين ألف دينار ، ومائتي ألف درهم ، وثمانين تختا من ثياب .

وركب المعز إلى المقس ، وأشرف على أسطوله(١) ، وقرأ عليه وعوّذه ، وخلفه جوهر والقاضي النعمان ووجوه أهل البلد ، ثم عاد إلى قصره .

وضُربت أعناقُ جماعة عاثوا بنواحي القرافة .

وفى ذى القعدة احترق سوق القاهرة ، وأعيد .

وركب المعز لكسر خليج(٢) القاهرة ، فكُسر بين يديه ، وسار على شط النيل ، ومرَّ على سطح الجرف ، وعطف على بركة الحبش(٣) ، ثم على الصحراء إلى الخندق الذى حفره جوهر فى موكب عظيم ، وخلفه وجوهُ أهل البلد ، وأبو جعفر أحمد بن نصر يعرِّفه بالمواضع ، وبلغ المعز أن محمدًا أخا أبي إسماعيل الرَّسّي يريد الفرار إلى الشام ، فقُبض عليه وسُجن مقيَّدا .

= الاجراء ، فقال مامخلصه :« فتأمل ماأبدع هذه الساسة ، فان الناس دائما اذا توقف النيل فى ايام زيادته او زاد قليـــلا يقلقون ، ويحدثون انفسهم بعدم طلوع النيل ، فيقبضون ايديهم على الغلال ، ويمتنعون عن بيعها رجاء ارتفاع السعر ، ويجتهد من عنده مال فى خزن الغلة ، اما لطلب السعر ، او لطلب ادخار قوت عياله ، فيحدث بهذا الغلاء ، فأن زاد الماء انحل السعر ، والا كان الجـدب والقحط ففى كتمان الزيادة عن العامة أعظم فائدة وأجل عائدة » .

(١) ذكر المقريزى فى (الخطط ، ج ٣ ، ص ٣١٧) - نقلا عن ابن أبى طى - أن المعز هو الذى انشأ دار الصناعة التى بالمقس ، وانه انشأ بها ستمائة مركب " لم ير مثلها فى البحر على مينـــاء " .

(٢) مما يستحق الالتفات أن هذا اول ركوب للمعز لكسر الخليج ، وقد كان الفاطميون يحتفلون بهذا الركوب احتفالا خاصا رائعا بعد ذلك ، انظر فى وصفه : (صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٥١٢ - ٥١٧) .

(٣) كانت تقع هذه البركة جنوبى الفسطاط بين النيل والجبل ، وذكر المقريزى عنـــد كلامه عن البرك فى الجزء الثانى من الخطط انها كانت تعرف ببركة المغـــافر ، وبركة حمير ، واصطبل قرة ، واصطبل قامش ، وبركة الاشراف ، وبركة الحبش . وهو الاسم الذى اشتهرت به ، وقال محمد رمزى فى تحقيقاته (النجــوم ، ج ٦ ، ص ٣٨٢) : " وهذه البركة لم تكن عميقة فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة ، وانما كانت تطلق على حوض من الاراضى الزراعية التى يغمرها ماء النيل وقت فيضانه سنويا بواسطة خليج بنى وائل الذى كان يأخذ ماءه من النيــــل جنوبى مصر القـــديمة ، فكانت الارض وقت ان يغمرها الماء تشبه البرك ، ولهذا سميت بركة ، ويستفاد مما ذكره أبو صالح الارمنى فى كتاب الديارات أن هذه الجنان عرفت بالحبش لأنها كانت لطائفة من الرهبان الحبش » .

وفى يوم عرفة نصب المعزّ الشَّمْسَةَ[1] التى عملها للكعبة على إيوان قصره ، وسعتها اثنا عشر

(١) هذا نص هام وطريف، وقد ذكر طرفا منه المقريزى فى كتابه الآخر « الخطط » ، وقد أخطأ القائمون على نشر جميع طبعات الخطط ، فقرأوا هذا اللفظ على أنه « الشمسية » لا « الشمسة » ، وطبع فى جميع النشرات على أنه « الشمسية » كذلك ، وهذه القراءة الخاطئة أوقعت كثيرين من الباحثين فى تاريخ الدولة الفاطمية منغربيين وشرقيين فى أخطاء متلاحقة، ففهموا الشمسية على أنها مظلة ، وعلى أنها أصل لفكرة المحمل ، وعلى أنها نوع من الكسوةللكعبة، وعلى أنها نوع منالمنسوجات الرائعة الممتازةالتى كانت تصنع فى مصر الفاطمية . انظر عن هذه المحاولات والتفسيرات :(حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٨٣) و (محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية ، ص ٥٢ ــ ٥٣) و
(Quatremère, J.A. 3e. série, III, 1837).
(M. Inostranzeff : La sortie solennelle des Khalifes Fatimides.
P. XXIII, S17, P. XXVIII, S20).
(J. Jomier : Le Mahmal et la Caravane Egyptienne des Pèlerins de la Mecque,
Le Caire, 1953. p. 24-26).
وكنت قد وقعت فى نفس الخطأ فى نشرتى الأولى لهذا الكتاب ، ولكننى لحسن الحظ وجدت هذه الكلمة مكتوبة فى المخطوطة الحالية لكتاب « اتعاظ الحنفا » على أنها « الشمسة » لا « الشمسية » ، فوقفت عندها طويلا ، وأعدت قراءة وصفها مرارا فاذا بى أجد أنها شىء مختلف كل الاختلاف عن الشمسية ، وأنه لا صلة بينها وبين المنسوجات الا الأرضية المنسوجة من الديباج ، وتبين لى أن « الشمسية » حلية ضخمة كانت ترسل الى الكعبة فى موسم الحج فى صحبة قائد خاص لتعلق فى وجه الكعبة ، وانها تشبه الشمس، ولها اثنا عشر ذراع تشبه أشعة الشمس ، وأرجح أنعدد الأشعة لم يجعل اثنى عشر عفوا بل قصدا ليمثل عدد شهور السنة ، فموسم الحج يحل بعد مضى اثنى عشر شهرا أى سنة كاملة ، والأهلة الموجودة فى نهاية الأشعة تمثل الشهور القمرية الهجرية .
وتبين لى من النص كذلك أن الخليفة المأمون العباسي أرسل فى عهده ياقوتة متصلة بسلسلة ذهبية لتعلق فىالكعبة، وان العباسيين سبقوا الفاطميين بارسال الشمسة ، وأول من أرسلها منهم هو الخليفة المتوكل ، وكان المعز أول من أعد شمسة للكعبة ، وقد أراد أن يتفوق على منافسيه العباسيين فصنعها أكبر وأضخم حجما وأثمن وأغلى قيمة بدليل ماقاله (ابن ميسر: تاريخ مصر، ص ٤٤) بعد وصفه لحفلة عرض الشمسة :« ولم يبق أحد حتى دخلمن أهل مصر والشاموالعراق فذكروا أنهم لميروا قط مثل الشمسية (الشمسة)، وذكر اصحاب الجوهر انه لا قيمة لها ، وان شمسية (شمسة) بنى العباس مساحتها مثل ربع هذه ، وكذلك كانت شمسية (شمسة) كافور التى عملها لمولاه أنوجور ، وكان يسير بها الى الحرم » .
ويؤكد صحة النص وصحة تفسيراتنا كذلك حقيقتان لست أدرى كيف غفل عنهما من تناولوا هذا الموضوع من قبل ، أولاهما أن المراجع العربية القديمة كلها لم تعرف لفظ « الشمسية » بمعنى المظلة أبدا ، وفى رأيى أن لفظ الشمسية بهذا المعنى عرفه العرب والمصريون بصفة خاصة لاول مرة في القرن التاسع عشر ابانحركة الترجمة عن اللغات الاوربية ، وأن هذا=

شبرًا فى مثلها ، وأرضها ديباج أحمر ، ودَوْرُها اثنا عشر هلال ذهب ، وفى كلِّ هلال أُتْرُجة ذَهب مُشَبَّك ، جَوْفُ كل أُتْرُجَّة خمسون دُرَّة كبيض الحمام ، وفيها الياقوت(١) الأحمر والأصفر والأزرق ، وفى دَوْرها مكتوب آيات الحج بزمرد أخضر(٢) ، وحَشْوُ الكتابة دُرٌّ كبار لم يُرَ مثله ، وحَشْوُ الشَّمْسَة المِسْكُ المسحوق ؛ فرآها الناس فى القصر ومن خارجه لِعُلُوِّ موضعها ؛ ونصبها عِدَّةُ فراشين ، وجَرُّوها لثِقَلِ وزنها .

[وأول من عمل الشَّمْسَة للكعبة أميرُ المؤمنين جعفر المتوكل على الله ، فبعث سلسلة من ذهب كانت تُعَلَّق مع الياقوتة التى بعثها المأمون ، وصارت تُعَلَّقُ كلَّ سنة فى وجه الكعبة ، وكان يؤتى بهذه السلسلة فى كل موسم وفيها شمسة مكللة بالدُّرِّ والياقوت والجوهر قيمتها شئٌ كثير ، فيقدم بها قائد يبعث من العراق ، فتُدفع إلى حَجَبَة الكعبة ، ويُشهد عليهم بقبضها ، فيعلقونها يوم سادس الثمان ، فتكون على الكعبة ، ثم تُنزع يوم التروية](٣) .

وغدا المعز لصلاة عيد النحر فى عساكره ، وصلى كما ذُكر فى صلاة الفطر من القراءة والتكبير وطول الركوع والسجود ، وخَطَبَ وانصرف فى زيِّه ، فلما وصل إلى القصر أذن للناس عامة فدخلوا والشمسةُ منصوبة على حالها ، فلم يبقَ أحد حتى دخل - من أهل مصر والشام والعراق - فذكر أهلُ العراق وأهلُ خراسان ، ومن يواصل الحج أنهم لم يروْا قط مثل هذه

= اللفظ الشـــمسية هو ترجمـة للـكلمة الفرنسية Parasol ، وثانيهما أن المعاجم العربية ذكرت هذا اللفظ ولكن بصفة المذكر « الشمس »، وقالت ان من معانيه أنه ضرب من القلائد أو الحلى ، جاء فى (اللسان) : « والشمس ضرب من القلائد ، والشمس معـــلاق القـلادة فى العنق ، والجمع شموس ، قال الشاعر :

والدر واللؤلؤ فى شمسه مقلـــلد ظبى التصـــاوير .

قال اللحيانى : الشمس ضرب من الحـــلى ، مـذكر ومؤنث ، والشمس قلادة الكلب » .

(١) ذكر ابن الأكفانى (نخب الذخائر ، ص ص ٢ - ١٣) أن الياقوت أربعة أصناف: الأحمر: وهو اعلاها رتبة واغلاها قيمة . والاصـفر . والازرق . والابيض . ثم قسـم كل صنف من هذه الى انواع . هذا وقد ذكر صاحب اللسان ان لفظ « ياقوت » فارسى معرب ، بينما ذكـر الاب أنستاس الكرملى (المرجع السابق ، ص ٢، هامش ١) أنه معرب عن اللاتينية .

(٢) انظر الكلام عن الزمن بتفصيل فى : نخب الذخائر ، ص ٤٨ - ٥٢) .

(٣) هذه الفقرة وردت فى الهامش فى نسخة الأصل ، ولكنها وردت فى المتن فى نسخة (ج) ، وقد آثرنا ضمها للمتن هنا لأنها تزيده ايضاحا .

الشمسة ؛ وذكر أصحاب الجوهر ووجوه التجار أنه لاقيمة لما فيها ، وأن شمسة بنى العباس كان أكثرها مصنوعا ومن شبه(١) ، وأن مساحتها مثل ربع هذه .

وكذلك كانت شمسة كافور التى عملها لمولاه أونوجور بن الإخشيد ، وكان يسير بها إلى الحرم جعفر بن محمد الموسوى ، ثم ابنه أبو الحسين ، ثم بعده ابنه مسلم ، ثم أبو تراب بعد أخيه ، إلى أن أخذها القائد جوهر من أبى تراب .

وأمر المعز للناس بالطعام فأكلوا .

وورد الخبر بوصول أسطول القرامطة إلى تِنِّيس فى البحر ، فكانت بينهم وبين أهل تِنِّيس حرب انهزم فيها أصحاب القرامطة ، وأخذ منهم عدة مراكب ، وأسر طائفة منهم ، وأن أسكر (؟) نهبت ، فعظم ذلك [على](٢) المعز ، واشتد خوف الناس فى المقابر حتى كانوا يصلون على الجنائز ولا يتبعونها ، ويمضى بها الحفارون ؛ فأنكر المعز ذلك ، وأمَّن الناس .

ولثمانى عشرة من ذى الحجة ، وهو يوم غدير خُمٍّ(٣) ، تجمَّع خلقٌ من أهل مصر والمغاربة للدعاء ، فأعجب المعز ذلك ، وكان هذا أول ما عمل عيدُ الغدير بمصر .

وقدم من تِنِّيس مائةٌ وثلاثة وسبعون رجلا أسارى ، وعدةُ رءوس ، ومعهم أعلام القرامطة

---

(١) الأصل : « مصبوغا وشبه » ، والتصحيح عن (ج) .

(٢) مابين الحاصرتين عن (ج) .

(٣) نقل (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣) نبأ الاحتفال بعيد الغدير فى عهد المعز عن ابن زولاق ، هـذا وخم موضع بين مكة والمدينة به غدير أو بطيحة ، وحوله شجر كثير ، ويقال ان الرسول عليه السلام لما عاد من مكة بعد حجة الوداع سنة ١٠ هـ نزل بغديرخم وآخى عليا بن أبى طالب ، ثم قال « على منى كهارون من موسى ، اللهم وال من والاه وعادى من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله » ، ويعلق الشيعة على هذا الحديث أهمية كبرى اذ يعتبرونه بمثابة مبايعة علنية من الرسول قبيل وفاته لعلى بن أبى طالب .

انظر (دونلدسن : عقيدة الشيعة ، الترجمةالعربية ، ص ٢٣ — ٢٦) ، ويذكر المقريزى فى الصفحات المذكورة سابقا أن هذا العيد لم يكن « مشروعا ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم ، وأول ما عرف فى الاسلام بالعراق أيام معز الدولة بن بويه ، فانه أحدثه فى سنة ٣٥٢ ، فاتخذه الشيعة من حينئذ عيدا ، وهو أبدا يوم الثامن عشر من ذى الحجة » . وفى الصفحات السالف ذكرها من الخطط تفاصيل ممتعة عن مراسم الاحتفال بهذا العيد فى العصر الفاطمى، أنظر كذلك : (معجم البلدان لياقوت) .

منكوسة ، وسلاح لهم ، فشُهِّر ذلك فى البلد ، وجلس المعز حتى مروا بين يديه وهو فى علو باب قصره .

وكانت فتنة فى البلد نهبت المغاربة فيها جماعة من الرعية ، فركب جوهر فى طلب النَّهابة ، وأخذهم وجلدهم .

وفى سلخ ذى الحجة سُلخ (؟) إمام جامع القرافة محمد بن عبد السميع فى طريق القرافة ، وانصرف الناس من جامع القرافة من غير [٢٢ب] جمعة .

وأحضر جوهر جماعةً من أهل تنيس ، وطالبهم بديات المغاربة الذين قتلوا عندهم ، وأُلزموا بمائتى ألف دينار ، ثم استقر أمرهم على ألف ألف درهم[١] .

وانتهى النيل فى نقصانه إلى ست أذرع وإصبعين ، وبلغ زيادة الماء الجديد سبع عشرة ذراعا وإصبعين ، وأطلق المعزُّ لمتولى المقياس الجائزة والخلع والحملان ، فزاده على رسمه .

وفيها مات أبو عمرو محمد بن عبد الله السهمى – قاضى مكة – ، ومات الإشبيلى – قاضى المغاربة[٢] بمصر – .

(١) كذا فى الأصل ، وفى (ج) : « الف الف دينار » .
(٢) لاحظ هذا ، فكأنه كان للمغاربة قاض خاص بهم فى مصر بعد الفتح الفاطمى .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة :

وأمير المؤمنين المعز لدين الله .

وخليفته القائد جوهر .

والقاضى أبو طاهر محمد بن أحمد .

والخراج نصفين : إلى على بن محمد بن طباطبا ، وعبد الله بن عطاء الله ؛ والنصف الاخر إلى الحسن بن عبد الله ، والحسين بن أحمد الروذبارى .

وصاحب بيت المال محمد بن الحسين بن مهذب .

وصاحب المظلة شفيع الصقلى(١) .

وطبيبه موسى بن العازار .

والشرطة السفلى إلى عروبة بن إبراهيم ، وشبل المعرضى .

والشرطة العليا إلى خير [بن القاسم](٢) .

وإمام الجامع العتيق والخطبة إلى عبد السميع بن عمر العباسى .

وإمام الصلوات الخمس الحسن بن موسى الخياط .

ولست (*) عشرة بقيت من المحرم قلّد المعزُّ الخراجَ ، ووجوه الأموال جميعها ، والحسبة ، والسواحل ، والجوالى ، والأحباس ، والمواريث ، والشرطتيْن ، وجميع ما ينضاف إلى ذلك ، وما يطوى فى مصر وسائر الأعمال أبا الفرج يعقوب بن يوسف الوزير ، وعسلوج بن الحسن ؛

(١) ج : « الصقلبى » .

(٢) أكملنا الاسم بعد مراجعة ما يلى من النص هنا ، انظر ص ١٤٤ و١٤٧ .

(*) أورد المقريزى هـذا الخبر وبنصه كذلك فى : (الخطط ، ج ١ ، ص ١٣٢) . وذكر هناك أنه ينقله عن سيرة المعز لدين الله لابن زولاق .

وكتب لهما بذلك سجلا . قرئ يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون ، وقبضت أيدى سائر العمال والمتضمنين .

وجلسا غد هذا اليوم فى دار الإمارة(1) فى جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الأموال ، وحضر الناس للقبالات ، وطالبوا بالبقايا من الأموال مما على المالكين والمتقبلين والعمال ، واستقصيا فى الطلب ، ونظرا فى المظالم .

وفيه تبسطت المغاربة فى نواحى القرافة والمعافر ، فنزلوا فى الدور ، وأخرجوا الناس من دورهم ، ونقلوا السكان وشرعوا فى السكنى فى المدينة ، وكان المعز أمرهم أن يسكنوا فى أطراف المدينة ، فخرج الناس واستغاثوا إلى المعز ، فأمر أن يسكنوا نواحى عين شمس ، وركب المعز بنفسه حتى شاهد المواضع التى ينزلون فيها ، وأمر لهم بمال يبنون به ، وهو الموضع الذى يُعرف اليوم بالخندق ، وخندق العبيد ؛ وجعل [لهم] واليا وقاضيا ؛ وأسكن أكثرهم فى المدينة مخالطين لأهل مصر ، ولم يكن جوهر يبيحهم سكنى المدينة ولا المبيت فيها ، وحظر ذلك عليهم ، وكان مناديه ينادى كل عشية : « لايبيتن فى المدينة أحدٌ من المغاربة » .

وفى يوم عاشوراء انصرف خلق من الشيعة وأتباعهم من المشاهد من قبر كلثم بنت محمد بن جعفر بن محمد الصادق ، ونفيسة(2) ، ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين ، وكسروا أوانى السقائين فى الأسواق ، وشققوا الروايا ، وسبُّوا من ينفق فى هذا

---

(1) يذكر المقريزى هنا ان هذه الدار كانت فى جامع ابن طولون ، غير أنه عقد لها فصلا خاصا فى (الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٢) ذكر فيه ان هذه الدار كانت بجوار الجامع الطولونى « انشأها احمد بن طولون عندما بنى الجامع ، وجعلها فى الجهة القبلية ، ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة بجوار المحراب والمنبر .. ولم تزل هذه الدار باقية الى ان قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب ، فكان يستخرج فيها أموال الخراج .. » ثم ذكر هذا الخبر الوارد هنا نقلا عن ابن زولاق .

(2) هى السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، ولى أبوها امرة المدينة لأبى جعفر المنصور مدة ، ثم قبض عليه وحبسه الى أن أطلقه المهدى ورد عليه جميع ما كان أخذه المنصور منه ، ورحلت السيدة نفيسة مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق من المدينة الى مصر ، فأقامت بها الى ان ماتت فى شهر رمضان سنة ٢٠٨ ، وقبرها معروف بالقاهرة يزار حتى اليوم . انظر : (النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ــ ١٨٦) .

اليوم ، وثارت إليهم جماعة ، فخرج إليهم أبو محمد الحسن بن عمّار ، ومنع الفريقين ، ولولا ذلك لعظمت الفتنة ، لأن الناس كانوا غلقوا الدكاكين وعطلوا الأسواق ، وقويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر .

وكانت مصر لاتخلو من الفتن فى يوم عاشوراء عند قبر كلثم وقبر نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب فى الأيام الإخشيدية والكافورية ، وكان سودان كافور يتعصبون على الشيعة ، ويتعلق السودان فى الطرق بالناس ويقولون للرجل : « من خالك ؟ » فإن قال : « معاوية » أكرموه ، وإن سكت لقى المكروه ، وأخذت ثيابه وما معه ، حتى كان كافور يوكل بأبواب الصحراء ، ويمنع الناس من الخروج .

ولما جلس يعقوب بن كِلِّس وعسلوج بن الحسن الونهاجى لعقد الضياع توفرت الأموال ، وزيد فى الضياع ، وتكاشف الناس .

وفى صفر طيف بنحو مائتى رأس قُدم بها من المغرب .

ومات ابن عم للمعز ، فصلى عليه المعز ، وكبّر سبعا ، وكبّر على غيره خمسا ، وهذا مذهب على بن أبى طالب : أنه يكبر على الميت على قدر منزلته .

ومات إسحاق بن موسى طبيب المعز ، فجعل موضعه أخاه إسماعيل [٢٣ ا] بن موسى .

وامتنع يعقوب وعسلوج أن يأخذ فى الاستخراج إلا دينارا معزيا ، فاتضع الدينار الراضى وانحط ، ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار ، فخسر الناس من أموالهم ، وكان صرف المعزى خمسة عشر درهما ونصف .

واشتد الاستخراج ، وأكّد المعز فيه ليرد ما أنفقه من أمواله على مصر ، لأنه قدم مصر يظن أن الأموال مجتمعة ، فوجدها قد فرقتها مؤن مصر وكثرة عساكرها ، وكان الذى أنفقه المعز على مصر ما لا يضبط أو يعرفه إلا هو أو خزانه .

وحدثنى بعض كتاب بيت[1] ماله قال :

---

(١) هذا اللفظ غير موجود فى (ج) .

« حملنا إلى مصر أكياساً فارغة - أنفق ما كان فيها - فى أربعة أعدال على جملين » .

وكدَّ يعقوب وعسلوج أنفسهما فى الاستخراج ، فاستخرج فى يوم نيف وخمسون ألف دينار معزية ، وكان استخراجا بغير براءة ولا خرج ولا حوالة ؛ واستخرج فى يوم مائة وعشرون ألف دينار معزية ، وفى يوم آخر من مال تِنِّيس ودمياط والأشمونين أكثر من مائتى ألف وعشرين ألف دينار ، وهذا لم يسمع بمثله قط فى بلد ، إلا أن فى أيام العزيز استخرج خير بن القاسم ، وعلى بن عمر العدَّاس ، وعبد الله بن خلف المرصدى فى ثلاثة أيام مائتى ألف دينار وعشرين ألف دينار عزيزية ، منها فى أول يوم أربعة وسبعين ألف دينار والباقى [فى] يومين ، وذلك فى سنة أربع وسبعين وثلاثمائة .

وفى شهر ربيع الآخر كثر الإرجاف بالقرامطة وانتشارهم فى أعمال الشام ، وكان معهم عبد الله بن عبيد الله أخو أبى جعفر مسلم ، فكتب إليه المعز بعد ما شكاه إلى أخيه مسلم .

وفيه دخل الناس إلى قصر المعز وفيهم : الأشراف ، والعمال ، والقواد ، وسائر الأولياء من كتامة وغيرهم ، فقال إنسان لبعض الأشراف : « اجلس ياشريف » ، فقال بعض الكتاميين : « وفى الدنيا شريف غير مولانا ؟ ! لو ادعى هذا غيره قتلناه » .

خرج الإذن للناس ، وبلغ المعز هذا ، فلما جلس على سريره وأذن للناس بالجلوس قال : « يا معشر الأهل وبنى العم من ولد فاطمة : أنتم الأهل ، وأنتم العدة ، وما نرضى بما بلغنا من القول ، وقد أخطأ من تكلم بما قيل لنا ، لكم بحمد الله الشرف العالى ، والرحم القريبة ، ولئن عاود أحد لمثل ما بلغنا لننكلن به نكالا مشهورا » .

فقبَّلت الجماعة الأرض ، ودعوا وشكروا ، وكان المتكلم حاضرا فانقمع وندم .

وحدَّث المعز أنه رأى فى منامه رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - كان جالساً وبين يديه سيوف منها ذو الفقار ، فأخذ على بن أبى طالب ذا الفقار فضرب به عنق القرمطى الأعسم ، وضرب حمزةُ عنق أخى الأعسم ، وضرب جعفر عنق آخر ؛ وانكبَّ المعز يقبِّل رجل النبى - صلى الله عليه وسلم - ، فنسخ الناس هذه الرؤيا .

وحُمل مال الأحباس من المودع[1] إلى بيت المال الذى لوجوه البِرّ ، وطولب أصحاب الأحباس بالشرائط ليُحملوا عليها .

ولما وقف المعز على حبس عمرو بن العاص ، وأن محمد بن أبي بكر كان قبضه وضرب عليه صافية لأمير المؤمنين على بن أبي طالب – أهل الحق – ، وأن عمرو بن العاص إنما حبسه لما عاد إلى مصر فى أيام معاوية ، أخرج ذلك – من كتاب أبي عمر الكندى[2] – القاضى النعمانُ بن محمد ، فحمله إلى المعز فقال : « هذا مال لنا ، فليحمل إلينا مفردا من مال الأحباس » ، ففُعل ذلك .

وفى ربيع الآخر ثارت المغاربة فى صحراء المقابر ، ونهبوا الناس ، فأنكر المعز ذلك ، وقبض على جماعة .

وفيه اعتلّ المعز واحتجب ، فاضطربت الرعية ، ولم يره أحد .

وفى جمادى الأولى أُرجف بالقرامطة ، وقوى الاستخراج ، ومنع الناس من الحضور فى الديوان لئلا يقفوا على مبلغه ؛ وجلس المعز للناس ، فسُرّوا بسلامته .

وحمل أبو جعفر مسلم إلى المعز المصحفَ الكبير الذى كان يُذكر أنه كان ليحيى بن خالد ابن برمك ، وكان شراؤه أربعمائة دينار على مسلم ، فلما رآه المعز قال :

« أراك معجبا به ، وهو يستحق الإعجاب ، ولكن نفاخرك نحن أيضاً » .

---

(١) المودع : صندوق كان يعد لحفظ مال مخصص لجهة معينة أو لغرض معين ، ويعهد بحفظه الى القاضى ، وأول ما استعمل فى مصر الاسلامية لحفظ أموال اليتامى ، وأول من استحدثه القاضى عبد الرحمن بن عبد الله العمرى (١٨٥ – ١٩٤) ، وكان هذا المودع يسمى ايضا " تابوت القضاة » . انظر (الكندى :القضاة ، ص ٤٠٥) حيث يذكر أن العمرى : « أول من عمل تابوت القضاة الذى كان فى بيت المال ‥ أنفق عليه أربعة دنانير ، كانت تجمع فيه أموال اليتامى ومال من لا وارث له ، وكان مودع القضاة بمصر » وذكر المقريزى (الخطط ، ج ٣ ، ص ١٤٩) أن « مودع الحكم الذى فيه أموال اليتامى والغياب » كان فى عهده فى فندق مسرور . انظر أيضا : (المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٨٦٤) و (Dozy: Sup. Dict. Arab)

(٢) هو المؤرخ المصرى المعروف ، ولعله يقصد هنا كتابه « الولاة والقضاة » .

فدعا بمصحف نصفيْن ما رؤى أحسن منهما خطاً وإذهابا وتجليدًا ، فقال :

« هذا خط المنصور ، وإذهابه وتجليده بيده » .

فقال له مسلم :

« فَثَمَّ مصحف بخط مولانا المعز لدين الله - عليه السلام - ؟ » .

فقال : « نعم » .

وأخرج له نصفين .

فقال : « ما رأيتُ أصبح من هذا الخط » .

فقال المعز : « بعد مشاهدتك [٢٣ ب] لخط المنصور تقول : ما رأيت أصبح من هذا الخط ، ولكنه أصبح من خطك » .

ثم ضحك وقال : « أردت مداعبتك » .

وكان أبو جعفر مسلم إذا ذكر المعز يقول :

« وددت أن أبي وجدى شاهداه ليفتخرا به ، فما أقدر أن أقرن به أحدًا من خلفاء بنى أمية ولا بنى العباس » .

وتوفى محمد بن الحسن بن أبي الحسين - أحد خواص المعز - ، فخرج المعز وهو فى بقايا علته ، وتقدم إلى القاضى النعمان بن محمد بغسله وبكفنه ، وصلى عليه المغرب ، وفتح تابوته وأضجعه .

وبعد تسعة عشر يومًا توفى القاضى النعمان بن محمد أول رجب ، فخرج المعز يبين الحزن عليه ، وصلى عليه ، وأضجعه فى التابوت ، ودفن فى داره بالقاهرة .

وفى شعبان دخل أبو جعفر مسلم على المعز ، فلما توسط صحن الإيوان قال له أخوه عيسى :

« إن الأمير عبد الله فى المجلس فسلم عليه » .

وكان فى المجلس جماعة ، فدخل أبو جعفر على المعز وقبل الأرض ، وقام قائماً ، وقال :

« يا أمير المؤمنين : حدثنى أبي عن أبيه عن جده عن إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد قال : « دخلت أنا وأخى عبد الله على يعقوب بن صالح بن المنصور - وهو يومئذ

أمير المدينة ـ فقال : من أين أقبل الشيخان ؟ فقالا : من عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، سلمنا عليه وأتيناك ، فقال : سلمتما على صاحبيه ؟ فقلنا : لا ، فقال سبحان الله ، كيف لم تسلما على صاحبيه ؛ فقال له أخى عبد الله : سألتك بالله أيها الأمير أيهما أقرب ؟ ابنك هذا منك أو صاحبي رسول الله من رسول الله ؟ فقال : ابنى هذا ، فقال : ما سلمنا على ابنك فى مجلسك إجلالا لك ، فنسلم على صاحبي رسول الله بحضرة رسول الله ؟ فقال : والله ما قصرتما » ، ثم قال مسلم : « تأذن يا أمير المؤمنين فى السلام على الأمير عبد الله ؟ » فأذن له ، قال عيسى : « وكان المعزّ لمسلم مُكْرِمًا » .

وفيه كثر الإرجافُ بالقرامطة ودخول مقدمتهم أرياف مصر وأطراف المحلة ، [وأنهم] ونهبوا واستخرجوا الخراج ثم رجعوا إلى أعمال الشام .

وأمر المعزّ المغاربة بالخروج من مصر والسكنى بالقاهرة ففعلوا .

وردّ المعز الشرطة العليا إلى خير بن القاسم فاستقصى على المغاربة فى الخروج إلى القاهرة .

وعاودت المعز العلة فاحتجب أيامًا لا يراه أحد ، ثم جلس للناس فهنوه ، وعرضوا أنفسهم للقتال ، فشكرهم على ذلك .

ووصلت سَرِيَّة القرامطة إلى أطراف الحوف ، وأنفذ القرمطيُّ عبدَ الله بنَ عبيْد الله ـ أخا مسلم ـ إلى الصعيد ، فنزل فى نواحى أسيوط وإخميم ، وحارب العمال ، واستخرج الأموال ، فثقل ذلك على المعز ، وعاتب أبا جعفر مسلم ، فاعتذر إليه ، وتبرّأ من أفعاله ، ونزل الأعْصَم القرمطى بعسكره ببابيس ، وتأهّب المعزُّ لمنعه وردِّه .

وقد أحببتُ أن أورد هنا جملةً من أخبار القرامطة لتكرر دخولهم إلى مصر :

ذكر

طرف من أخبار القرامطة

وذلك أن الحسين الأهوازى لما خرج داعيةً إلى العراق لقى حمدان بن الأشعث قَرْمَط بسواد الكوفة ، ومعه ثور ينقل عليه ، فتماشيا ساعةً ، فقال حمدان للحسين :

« إنى أراك جئتَ من سفرٍ بعيد ، وأنت مُعْيٍ فاركب ثورى هذا » .

فقال الحسين : « لم أومر بذلك » .

فقال له حمدان : « كأنك تعمل بأمر أمر لك ؟ » .

قال : « نعم » .

قال : « ومن يأمرك وينهاك ؟ » .

قال : « مالكى ومالكك ، ومن له الدنيا والآخرة » .

فبُهت حمدانُ قَرْمَط يفكر ، ثم قال له :

« يا هذا : ما يملك ما ذكرتَه إلا الله » .

قال : « صدقتَ ، واللهُ يهبُ ملكه لمن يشاء » .

قال حمدان : « فما تريد فى القرية التى سألتنى عنها ؟ » .

وكان الحسين لما رأى قَرْمَط فى الطريق سأله :

« وكيف الطريق إلى قَسّ بَهرام[1] » .

فعرَّفه قَرْمَط أنه سائر إليه ، فسأله عن قرية تعرف «بباتنورا[1]» فى السواد ، فذكر أنها

---

(1) لم اعثر فى المراجع الجغرافية التى بين يدى على تعريف لهذه المواقع .

قريبة من قريته ، [1]وكان قرمط من قرية تعرف[1] «بالدور[2]» على نهر « هد[2] » من رُسْتاق[3] « مهروسا » من طَسُّوج[4] « فرات بادفلى[2] » .

وإنما قيل له قَرْمَط لأنه كان قصيرا ورجلاه قصيرتيْن ، وخطوه متقاربا ، فسمى لذلك قَرْمَطا .

فلما قال للحسين : « ما تريد فى القرية التى سألتنى عنها ؟ » قال له : « رُفع إلى جرابٌ فيه عِلْمٌ وسِرٌّ من أسرار الله ، وأُمرتُ أن أشفى هذه القرية ، وأغنى أهلها وأستنقذهم ، وأملكهم أملاك أصحابهم » .

[٢٤ ا] وابتدأ يدعوه ، فقال له حمدان قَرْمَط :

« يا هذا : نشدتُك الله ، ألا رفعت إلىَّ من هذا العلم الذى معك ، وأنقذتنى ينقذك الله ؟ » .

قال له : « لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهدا وميثاقا أخذه الله على النبيين والمرسلين ، وألقى إليك ما ينفعك » .

فما زال يضرع إليه حتى جلسا فى بعض الطريق ، وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : « ما اسمك ؟ » .

قال له قرمط : « قم معى إلى منزلى حتى تجلس فيه ، فإن لى إخوانا أصير بهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهدى » .

فصار معه إلى منزله ، وأخذ على الناس العهد ، وأقام بمنزل حمدان قرمط ، فأعجبه أمره ، وعظَّمه ؛ وكان الحسين على غاية ما يكون من الخشُوع صائماً نهاره ، قائماً ليله ، فكان المغبوط مَنْ أخذه إلى منزله ليلةً ؛ وكان يخيط لهم الثياب ويكتسب بذلك ، فكانوا يتبركون به وبخياطته .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من الأصل ، وقد زيدت عن «ج» .

(٢) لم أعثر فى المراجع الجغرافية التى بين يدى على تعريف لهذه المواقع .

(٣) الرستاق ــ والرسداق ــ ، والجمع : رساتيق ، عرفها (الجواليقى :المعرب ، ص١٥٨) بأنها أرض السواد والقرى ، واللفظ معرب عن الفارسية . أنظر أيضا :(شفاء الغليل ، ص١٠٧)

(٤) جاء فى (اللسان) أن الطسوج معرب ، وهو الناحية ، ثم قال : والطسوج واحد من من طساسيج السواد ، والطسوج أيضا وزن من الاوزان .

وأدرك الثمر ، فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوى ـ وكان أحد وجوه الكوفة ومن أهل العلم والفضل ـ إلى عمل ثمره ، فوُصف له الحسين الأهوازى ، فنصّبه لحفظ ثمره ، والقيام فى حظيرته ، فأحسن حفظها ، واحتاط فى أداء الأمانة ، وظهر منه من التشدد فى ذلك ما خرج به عن أحوال الناس فى تساهلهم فى كثير من الأمور ، وذلك فى سنة أربع وستين ومائتين .

واستحكمت ثقةُ الناس به ، وثقته هو بحمدان قرمط ، وسكونه إليه ، فأظهر له أمره ، وكان مما دعا إليه أنه جاء بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : يقول الفرج بن عثمان إنه داعية المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدى ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ؛ وأن المسيح تصوّر فى جسم إنسان ، وقال إنك الداعية ، وإنك الحجة ، وإنك الناقة ، وإنك الدابة ، وإنك يحيى بن زكريا ، وإنك روح القدس ؛ وعرّفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ؛ وأن الأذان فى كل صلاة أن يقول المؤذن :

الله أكبر ثلاث مرات .

أشهد ألا إله إلا الله مرتين .

أشهد أن آدم رسول الله .

أشهد أن نوحا رسول الله .

أشهد أن إبراهيم رسول الله .

[أشهد أن موسى رسول الله(١)] .

أشهد أن عيسى رسول الله .

أشهد أن محمدا رسول الله .

أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية [رسول الله](٢) .

(١) أضيف مابين الحاصرتين عن : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٧٩)

(٢) مكان هذين اللفظين بياض فى الأصل، وقد ذكرا فى نسخة (ج) .

والقراءة فى الصلاة :

« الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المنجد لأوليائه بأوليائه ، « قل إن الأهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلموا عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها لأوليائى الذين عرّفوا عبادى وسيلتى ، فاتقونى يا أولى الألباب ، وأنا الذى لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذى أبلو عبادى وأمتحن خلقى ، فمن صبر على بلائى ومحنتى واختبارى أدخلته فى جنتى ، وأخلدته فى نعيمى ؛ ومن زال عن أمرى ، وكذّب رسلى أخلدتُه مُهاناً فى عذابى ، وأتممت أجلى ، وأظهرت أمرى على ألسنة رسلى ، وأنا الذى لم يعلُ جبارٌ إلا وضعتُه ، ولا عزيز إلا أذللته ، وليس الذى أصرَّ على أمره ، وداوم على جهالته ، وقال إن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين ، أولئك هم الكافرون » .

ثم يركع[1] .

ومن شرائعه :

صيام يومين فى السنة هما : المهرجان[2] ، والنوْروز[3] .

وأن الخمر حلال .

ولا غُسْلَ من جَنَابة ، ولكن الوضوء كوضوء الصلاة .

---

(١) فى (ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٧٩) بعد هذا اللفظ جملة تكميلية هذا نصها : «ويقول فى ركوعه : سبحان ربى رب العزة وتعالى عمـّـا يصــف الظالمون ، بقـولها مرتين ، فاذا سجد قال : « الله أعلى ، الله أعلى ، الله أعظم ، الله اعظم » .

(٢) كان المهرجان من أعياد الفرس القديمة ، وقد عرفه (الخفـــاجى : شفاء الغليل ، ص ٢٠٦) فقال : « هو أول نزول الشمس فى برج الميزان ، وقع فى شــعر السرى والبحترى ، ولم يرد فى الكلام القديم » .

(٣) النوروز ـ ويقال النيروز ـ لفظ فارسى معرب ، ومعناه اليــوم الجديد ؛ وكان الفــرس يتخذونه عيدا أيضا ، وكان يوافق عندهم يوم الاعتدال الربيعى ـ ٢١مارس ـ وذكر المقريزى فى (الخـــــطط ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ ـ ٣٩١) أن القبـــط كانوا يحتفلــون به ، وانمــا كان يوافق عندهم أول توت ، أى أول السنة القبطية ، كما ذكر أن الفــاطميين كانوا يحتفلون به عيدا من أعيــادهم ، وأن أول من فعل ذلك المعز فى ســـنة ٣٦٣ ، أى بعــد مجيئه الى مصر بسنة واحدة ، ثم دأبوا على الاحتفال به الى آخر الدولة وانظر مراسم الاحتفــال به فى نفس المرجع ، ولتفسير اللفظ انظر أيضا المعرب للجواليقى).

وأن لا يؤكل ماله ناب ولا مخلب .

ولا يُشْرب النبيذ .

وأن القِبْلَة إلى بيت المقدس ، والحجّ إليه .

وأن الجمعةَ يوم الاثنين لا يُعمل فيه شغل .

ولما حضرته الوفاة جعل مكانه حَمْدان بن الأشْعَث قَرْمَط ، وأخذ على أكثر أهل السواد ، وكان ذكيا داهية .

فكان ممن أجابه : مِهْرَوَيْه بن زَكْرَوَيْه السَّلْمانى ، وجَلَنْدى الرّازى ، وعِكْرِمَة البابلى ، وإسحاق السورانى[1] ، وعُطَيْف النِيلى ، وغيرهم ، وبثّ دعاتِه فى السواد يأخذون على الناس .

وكان أكبر دعاته عَبْدان ، وكان فطنًا خبيثًا ، خارجا عن طبقة نظرائه من أهل السواد ، ذا فَهْمٍ وحِذْق ، وكان يعمل عند نفسه على نصب له من غير أن يتجاوز به إلى غيره ، ولا يظهر غير التشيع والعلم ، ويدعو إلى الإمام من آل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ محمد ابن إسماعيل بن جعفر .

فكان أحد من تبع عَبْدان زَكْرَوَيه بن مِهْرَوَيْه ، وكان شابًّا ذكيًّا فطنًا من قرية بسواد الكوفة على نهر هد ، فنصّبه عَبْدان على إقليم نهر هد وما والاه ، وَمِنْ قِبَلِهِ جماعةٌ دعاة[2] متفرقون[3] فى عَمَلِهِ .

وكان [٢٤ب] داعيةُ عَبْدان على فرات بادفلى : الحسنَ[4] بن أَيْمَن ؛ وداعيتُه على طَسُّوج تُسْتَر : المعروف بالبورانى ـ وإليه نُسب البورانية ـ ؛ وداعيته على جهة أخرى : المعروف بوليد ؛ وفى أخرى : أبو الفوارس . وهؤلاء رؤساء دعاة عَبْدان ، ولهم دعاة تحت أيديهم ؛ فكان كلّ داعٍ يدور فى عمله ويتعاهده فى كلّ شهرٍ مرة ، وكل ذلك بسواد الكوفة .

---

(١) ج : السودانى

(٢) الأصل : « دعاة جماعة » وماهنا صيغة (ج) .

(٣) فى النسختين : « متفرقين » .

(٤) الأصل : « بادفلى بن يمن » والتصحيح عن (ج) .

ودخل فى دعوته من العرب طائفة، فنصب فيهم دعاة، فلم يتخلف عنه رفاعى ولا ضبعى، ولم يبقَ من البطون المتصلة بسواد الكوفة بَطْن إلا دخل فى الدعوة منه ناس كثير أو قليل: من بنى عابس، وذهل، وعنزة، وتيم الله، وبنى ثعل، وغيرهم من بنى شيبان؛ فقوى قَرْمَط، وزاد طمعه، فأخذ فى جمع الأموال من قومه:

فابتدأ يفرض عليهم أن يؤدوا درهما عن كل واحد، وسمى ذلك: «الفُطْرَة»، على كل أحد من الرجال والنساء، فسارعوا إلى ذلك.

فتركهم مُدَيْدَة، ثم فَرَضَ «الهِجْرَة»، وهو دينار على كلِّ رأسٍ أدْرَكَ، وتلا قوله تعالى:

«خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بها، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ، إنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»(١).

وقال: «هذا تأويل هذا».

فدفعوا ذلك إليه، وتعاونوا عليه، فمن كان فقيرا أسعفوه.

فتركهم مُدَيْدَة، ثم فرض عليهم «البُلْغَة» وهى سبعة دنانير، وزعم أن ذلك هو البرهان الذى أراد الله بقوله:

«قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»(٢).

وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الإيمان، والدخول فى السابقين المذكورين فى قوله تعالى:

«وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ»(٣).

وصنع طعاما طيبا حلواً لذيذا، وجعله على قدر البنادق، يُطعم كل من أدَّى إليه سبعة دنانير منها واحدة، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل إلى الإمام، فكان يُنفذ إلى كلِّ داعٍ منها مائة بُلْغَة، ويطالبه بسبعمائة دينار، لكل واحدة منها سبعة دنانير.

---

(١) الآية رقم ١١٣ م، السورة ٩ (التوبة)
(٢) الآية ١١١ م، السورة ٢ (البقرة)
(٣) الآية ١٠ ك، السورة ٥٦ (الواقعة)

فلما توطّأ له الأمر فرض عليهم أخماس ما يملكون وما يتكسبون ، وتلا عليهم : « واعْلَموا أنّما غَنِمْتُم من شيء فأنَّ لِلهِ خُمُسَهُ[1] ـ الآية » ـ ، فقوّموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره وأدّوْا ذلك إليه ، فكانت المرأة تُخرج خمْس ما تغزل ، والرجل يُخرج خُمْس ما يكسبه .

فلما تمّ ذلك فرض عليهم الأُلْفَة ، وهو أن يجمعوا أموالهم فى موضع واحد ، وأن يكونوا فيه أسوة واحدة لا يفضل أحدٌ منهم صاحبَه وأخاه في مِلْكٍ يملكه ، وتلا عليهم : « واذكروا نِعْمَةَ اللهِ عليكم إذْ كُنْتُمْ أعداءً فَألَّفَ بين قُلُوبِكم فَأَصْبَحْتُم بنعمته إخْوانا[2] » ـ الآية ـ ، وقوله تعالى : « لو أنْفَقْتَ ما فى الأَرضِ جميعًا ما أَلَّفْتَ بَين قُلُوبِهم ولكنَّ اللهَ أَلَّفَ بينهم إنَّهُ عزيز حكيم[3] » .

وعرّفهم أنه لا حاجة بهم إلى أموال تكون معهم ، لأن الأرض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم ، وقال : « هذه محنتكم التى امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون » .

وطالبهم بشراء السلاح وإعداده .

وذلك كله فى سنة ست وسبعين ومائتين .

وأقام الدعاةَ فى كل قرية : رجلا مختارا من ثقاتها يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم وحلى ومتاع وغيره ، وكان يكسو عاريهم ، وينفق على سائرهم ما يكفيهم ، ولا يدع فقيرا بينهم ولا محتاجا ولا ضعيفا ؛ وأخذ كل رجل منهم بالانكماش فى صناعته والكسب بجهده[4] ، ليكون له الفضل فى رتبته ؛ وجمعت المرأة كسبها من مغزلها ، والصبى أجرة نظارته للطير ؛ وأتوه به ، فلم يتملك أحد منهم إلا سيفه وسلاحه .

فلما استقام له ذلك أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلةً معروفة ، ويختلطن بالرجال ، ويتراكبن ولا يتنافرن ، فإن ذلك من صحة الود والألفة بينهم .

---

(١) الآية ٤١ م ، السورة ٨ (الأنفال)
(٢) الآية ١٠٣ م ، السورة ٣ (آل عمران)
(٣) الآية ٦٣ م ، السورة ٨ (الأنفال)
(٤) (ج) « والمكسب جهده » .

فلما تمكن من أمورهم ، ووثق بطاعتهم ، وتبيّن مقدار عقولهم ، أخذ فى تدريجهم ، وأتاهم بحجج من مذهب الثنوية ، فسلكوا معه فى ذلك حتى يقضى ما كان يأمرهم به فى مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقوى ، وظهر منهم بعد تدين كثير إباحة الأموال والفروج ، والغناء عن الصوم والصلاة والفرائض ، وأخبرهم أن ذلك كله موضوع عنهم – وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم ، وأن معرفة صاحب الحق تغنى [عن] كل شىء ، ولا يخاف معه إثم ولا عذاب – يعنى إمامه الذى يدعو إليه ، وهو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق – وأنه الإمام المهدى الذى [١٢٥ أ] يظهر فى آخر الزمان ويقيم الحق ، وأن البيعة له ، وأن الداعى إنما يأخذها على الناس له ، وأن ما يجمع من الأموال مخزون له إلى أن يظهر ، وأنه حى لم يمت ، وأنه يظهر فى آخر الزمان ، وأنه مهدى الأمة .

فلما أظهر هذه الأمور كلها بعد تعلقه بذكر الأئمة والرسل والحُجّة والإمام ، وأنه المعول والمقصد والمراد ، وبه اتسقت هذه الأمور ، ولولا هذه لهلك الخلق وعدم الهدى والعلم ، ظهر فى كثير منهم الفجور ، وبسط بعضُهم أيديهم بسفك الدماء ، وقتلوا جماعةً ممن خالفهم ، فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم ، فأظهر موافقتَهم كثيرٌ من مجاوريهم – جزعًا منهم – .

ثم إن الدعاة اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعًا يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون إليها ، ويجتمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة – فى طَسُّوج الفرات من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات – قريةً تُعرف « بمَهَتْماباد[1] » ، فحاذوا[2] إليها صخرا عظيما ، ثم بنوا[3] حولها سورا منيعا عرضه ثمانى أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من ذلك فى أسرع وقت ، وبنوا فيها البناء العظيم ، وانتقل إليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسُميت « دار الهجرة » ، وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين ؛ فلم يبقَ حينئذ أحدٌ إلا خافهم ، ولا بقى أحد يخافونه لقوتهم وتمكنهم فى البلاد .

(١) (ج) : « بمهتماباز » ، وما فى الاصل هو الصواب .
(٢) الأصل : « فجاروا » ، وماهنا صيغة (ج) .
(٣) (ج) : « وبنوا » .

وكان الذى أعانهم على ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج ، وصاحب الزّنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان ، وخراب العراق ، وتركه لتدبيره ، وركوب الأعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالقفْر ، وتلاف الرجال ، وفساد البلدان ، فتمكّن هؤلاء ، وبسطوا أيديهم فى البلاد ، وعلت كلمتهم .

وكان منهم مِهْرَوَيْه أحد الدعاة فى مبدأ أمره يَنْطُرُ(١) النخل ويأخذ أجرته تمرا فيفرغ منه النوا ويتصدق به ، ويبيع النوا ويتقوت به ، فعظم فى أعين الناس قدرُه ، وصارت له مرتبة فى الثقة والدين ، فصار إلى صاحب الزّنج لما ظهر على السلطان وقال له .

« ورائى مائةُ ألف ضارب سيف أعينك بهم » .

فلم يلتفت إلى قوله ، ولم يجد فيه مطمعا ، فرجع وعظم بعد ذلك فى السواد ، وانقاد إليه خلق كثير ، فادعى أنه من ولد عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ، فقيل له :

« لم يكن لمحمد بن إسماعيل ابن يقال له عبد الله » .

فكفَّ عن هذه الدعوى ، وصار بعد ذلك في قبة على جمل ، ودُعى بالسيد ، وظهر بسواد الكوفة ؛ وسيأتى ذكر ابنه زَكْرَويه ، وابن ابنه الحسين بن زَكْرَويه إن شاء الله .

وكان رجلٌ من أهل قرية جَنَّابَة(٢) يعمل الفراء ، يقال له أبو سعيد الحسن بن بَهْرام الجَنَّابى(٣) ، أصله من الفرس ، سافر إلى سواد الكوفة ، وتزوج من قوم يقال لهم : « بنو

(١) ينطر بمعنى ينظر أو يحرس ، ومنهـا الناطور ـ أو الناطوُر ـ وهو مايقام من أشباه الناس وسط الزرع لحراسته منالطير . انظر: (المعرب للجواليقى ، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥)

(٢) فى الاصل : " جنابا " دون ضبط ، وماهنا عن (ياقوت : معجم البلدان) حيث عرفها بقوله أنها بلدة صغيرة من سواحل فارس ، ثم ذكر أنه رآها غير مرة ، وانها ليست على ساحل البحر الأعظم ، انما يدخل عليها فىالمراكب فى خليج من البحر الملح يكون بين المدينة والبحر نحو ثلاثة أميال أو أقل ، وقبالتها فىوسط البحر جزيرة خارك ، وفى شمالها من جهة البصرة مهروبان .. الخ » .

(٣) يوجد بالهامش فى النسختين تعريف بهذا الرجل ، نصه :

« اختلف فى أبى سعيد الجنابى ، فقال قوم : اسمه الحسن بن على بن محمد بن عيسى ابن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وانه صاحب الزنج القائم بالبصرة بعد سنة خمسين ومائتين ، وأن على بن محمد كان مقيما بهجر ، ويعرف أنه شريف ويكرم ويعطى ، ثم انه خرج وجمع ، فقاتله العريان بن ابراهيم بأرض البحرين ، فانصرف الى القطيف ، وبنى بأم أبى سعيد على سبيل الاستحلال ، وخرج من القطيف الى الاحساء ، وظهر الحمل بأم أبى سعيد ، فلما ولدته سمته الحسن ، وكنته بأبى سعيد ، وكتمته سنة خوفا عليه ، وتزوجت برجل من أهل جنابة ، فنسب أبوسعيد اليه ، ونشأ على أنه رجل من أهل جنابة ، ينتسب الى من هو ربيب له ، وقيل ماذكر فى الأصل » .

القصّار » كانوا من أصول هذه الدعوة ، فأخذ عن عَبْدان ، وقيل بل أخذ عن حَمْدان قَرْمَط. ، وسار داعيةً ، فنزل القَطِيف - وهى حينئذ مدينة عظيمة - فجلس بها يبيع الرقيق ، فلزم الوفاء والصدق ، وكان أول من أجابه الحسين بن سُنْبُر ، وعلى بن سُنْبُر ، وحَمْدان بن سُنْبُر ، فى قوم ضعفاء ، ما بين قصّاب وحمّال وأمثال ذلك ، فبلغه أن بناحيته داعيا يقال له أبو زكريا ، أنفذه عَبْدان قبل أبى سعيد وكان قد أخذ على بنى سنبر من قبل ، فعظم أمره على أبى سعيد [١]وقبض عليه[١] وقتله ، فحقد عليه بنو سنبر قَتْلَه .

واتفق أن البلد كان واسعًا ، ولأهله عادة بالحروب ، وهم رجال شِدَادٌ جُهَّال ، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته فى تلك الديار ، فقاتل بمن أطاعه مَنْ عصاه ، حتى اشتدَّتْ شوكتُه .

وكان لا يظفر بقريةٍ إلا قتل أهلها ونهبها ، فهابه الناس ، وأجابه كثير منهم ، وفرّ منه خلق كثير إلى بلدان شتى خوفًا من شرّه ، ولم يمتنع عليه إلا هَجَر[٢] - وهى مدينة البحرَيْن[٣] ومنزل سلطانها ، وبها التجار والوجوه - فنازلها شهورا يقاتل أهلها ، ثم وكل بها رجلا .

وارتفع فنزل الأَحْسَاء[٤] - وبينها وبين هَجَر ميلان - فابتنى بها دارا ، وجعلها منزلا ، وتقدم فى زراعة الأرض وعمارتها [٢٥ ب] ، وكان يركب إلى هَجَر ، ويحارب أهلها ، ويعقب قومه على حصارها .

ودعا العرب فأجابه بنو الأضبط. من كلاب ، وساروا إليه بحرمهم وأموالهم ، فأنزلهم[٥] الأحساء ، وأطمعوه فى بنى كلاب ، وسائر من يقرب منه من العرب فضم إليهم رجالا ، وساروا فأكثروا من القتل ، وأقبلوا بالحريم والأموال والأمتعة إلى الأحساء ، فدخل الناس فى طاعته ، فوجّه جيشاً إلى بنى عقيل فظفر بهم ، ودخلوا فى طاعته .

---

(١) هذان اللفظان ساقطان من (ج) .

(٢) لم يزد ياقوت فى تعريفه هجر عما جاء فى المتن هنا ، فقد قال :«وهى قاعدة البحرين»، وانما ذكر أن هناك عدة مدن - غير هجرالبحرين - تحمل نفس الاسم .

(٣) قال ياقوت : « البحرين اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان » .

(٤) ذكر فى هامش ج أمام هـذا اللفظ : « الأحسا مدينة علىالبحر الفارسى تقابل جزيرة أوال ، والأحسا مدينة صغيرة بها أسواق »

(٥) الأصل : « فأنزلوه والتصحيح عن (ج) » .

فلما اجتمع إليه العرب منّاهم مُلْكَ الأرض كلها ، وردَّ إلى من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم من أهل وولد ، ولم يرد عبدًا ولا أمَة ولا إبلا ولا صبيا إلا أن يكون دون الأربع سنين .

وجمع الصبيان فى دور وأقام عليهم قومًا ، وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه ، ووَسَمَهم لئلا يختلطون بغيرهم ، ونصب لهم عرفاء ، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان ، فنشأوا لا يعرفون غير الحرب ، وقد صارت دعوتُه طبعًا لهم .

وقبض كلَّ مال فى البلد ، والثمار ، والحنطة ، والشعير .

وأقام رعاةً للإبل والغنم ، ومعهم قوم لحفظها ، والتنقل معها على نوب معروفة .

وأجرى على أصحابه جرايات فلم يكن يصل لأحد غير ما يطعمه .

هذا وهو لا يغفل عن هَجَر ، وطال حصاره لهم على نيف وعشرين شهرًا حتى أكلوا الكلاب ، فجمع أصحابه ، وعمل دبابات ، ومشى بها الرجال إلى السور ، فاقتتلوا يومهم ، وكثر بينهم القتلى ، ثم انصرف عنهم إلى الأحساء ، وباكرهم فناوشوه ، فانصرف إلى قرب الأحساء ، ثم عاد فى خيل ، فدار حول هجر يفكر فيما يكيدهم به ، فإذا لهجر عين عظيمة كثيرة الماء ، تخرج من نشز من الأرض غير بعيد منها ، فيجتمع ماؤها فى نهر يستقيم حتى يمر بجانب هجر ، ثم ينزل إلى النخل فيسقيه ، فكانوا لا يفقدون الماء فى حصارهم .

فلما تبيَّن له أمر العين انصرف إلى الأحساء ، ثم غدا فأوقف على باب المدينة رجالا كثيرا ، ورجع إلى الأحساء ، وجمع الناس كلهم ، وسار فى آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان وَوَبَر وصوف ، وأمر بجمع الحجارة ونقلها إلى العين ، وأعدَّ الرمل والحصى والتراب ، ثم أمر بطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب فى العين ، وطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة ، فقذفته العين ، ولم يُغْنِ(1) ما فعله شيئًا ، فانصرف إلى الأحساء بمن معه .

---

(1) (ج) : « فلم يغير » .

وغدا فى خيل فضرب البر حتى عرف أن منتهى العين بساحل البحر ، وأنها تنخفض كلما نزلت ، فردّ جميع من كان معه ، وانحدر على النهر نحوا من ميلين ، ثم أمر بحفر نهر هناك ، وأقبل يَركب هو وجمعه فى كل يوم والعمال يعملون حتى[١] حفره إلى السباخ ، ومضى الماء كله فصبّ فى البحر ثم سار فنزل على هجر - وقد انقطع الماء عنهم - ففر بعضهم فركب البحر ، ودخل بعضهم فى دعوته ، وخرجوا إليه فنقلهم إلى الأحساء ، وبقيت طائفة لم يفرُّوا لعجزهم ، ولم يدخلوا فى دعوته فقتلهم ، وأخذ ما فى المدينة ، وأخربها فبقيت خرابًا ، وصارت مدينة البحريْن هى الأحساء .

ثم أنفذ سَرِيّةً إلى عُمان فى ستمائة ، وأردفهم بستمائة أخرى ، فقاتلهم أهلُ عُمان حتى تفانوا ، وبقى من أهل عُمان خمسة نفر ، ومن القرامطة ستة نفر ، فلحقوا بأبى سعيد ، فأمر بهم فقتلوا ، وقال :

« هؤلاء خاسوا بعهدى ولم يواسوا أصحابهم الذين قُتلوا » .

وتطيّر بهلاك السريّة ، وكفّ عن أهل عُمان .

واتصل بالمعتضد بالله خبرُه ، فخاف منه على البصرة ، فأنفذ العباسَ بن عمرو الغَنَوى[٢] فى ألفى رجل ، وولّاه البحريْن ، فخرج فى سنة تسع وثمانين ومائتين والتقى مع أبى سعيد ، فانهزم أصحابه ، وأسر العباس فى نحو من سبعمائة رجل من أصحابه ، واحتووا على عسكره ، وقتل من غده[٣] جميع الأسرى ، ثم أحرقهم وترك العباس ؛ ومضى المنهزمون فتاه أكثرهم فى البر ، وتلف كثير منهم عطشاً ، وورد بعضهم إلى البصرة ، فارتاع الناس وأخذوا فى الرحيل عن البصرة .

ثم لما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد العباسَ بن عمرو وقال له :

---

(١) (ج) : « فى حفره » .

(٢) الغنوى ، هكذا ضبطها (ابن الأثير : اللباب فى تهذيب الأنساب) ، وقال : « هذه النسبة الى غنى بن اعصر - وقيل يعصر - واسمه منبه بن سعد بن قيس عيلان، ينسب اليه كثير .. الخ »

(٣) (ج) : « من غد يومه » .

« أتحب أن أطلقك » ؟

قال : « نعم » .

قال : « على أن تُبَلِّغَ عنى ما أقول صاحبَك » .

[٢٦ ا] قال : « أفعل » .

قال : « تقول له : الذى أنزل بجيشك ما أنزل بَغْيُك ، هذا بلدٌ خارج عن يدك ، غلبت عليه ، وقمت به ، وكان بى من الفضل ما آخذ به غيره ، فما عرضت لما كان فى يدك ، ولا هممت به ، ولا أخفت لك سبيلا ، ولا نلتُ أحدًا من رعيتك بسوء ؛ فتوجيهك إلىَّ الجيوش لأى سبب ؟ اعلم أنى لا أخرج عن هذا البلد ، ولا توصل إليه وفى هذه العصابة التى معى روح ، فاكفنى نفسك ، ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة ، ولا تصل إلى مرادك [منه](١) إلا ببلوغ القلوب الحناجر » .

وأطلقه ، وبعث معه من يرده إلى مأمنه ، فوصل إلى بغداد فى شهر رمضان ، وقد كان الناس يعظمون أمره ويكثرون ذكره ، ويسمونه « قائد الشهداء » ، فلما وصل إلى المعتضد عاتبه على تركه التحرز فاعتذر ، ولم يبرح حتى رضى عنه .

وسأله عن خبره ، فعرَّفه جميعه ، وبلَّغه ما قال القَرْمَطى ، فقال :

« صدق ، ما أخذ شيئًا كان فى أيدينا » .

وأطرق مفكرا ، ثم رفع رأسه وقال :

« كذب عدوّ الله الكافر ، المسلمون رعيتى حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال بى عمرى لأشخصن بنفسى إلى البصرة وجميع غلمانى ، ولأوجهن إليه جيشًا كثيفا ، فإن هزمه وجهت جيشا ، فإن هزمه خرجت فى جميع قوادى وجيشى إليه حتى يحكم الله بينى وبينه » .

فشغل المعتضد عن القَرْمَطِى بأمر وصيف غلام أبى الساج .

ثم توفى فى ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، وما يزال يذكر أبا سعيد الجنّابى فى مرضه ، ويتلهف ويقول :

---

(١) مابين الحاصرتين عن (ج) .

«حسرة فى نفسى كنت أحب أن أبلغها قبل موتى ، والله لقد كنت وضعت عند نفسى أن أركب ثم أخرج نحو البحريْن ، ثم لا ألقى أحدا أطول من سيفى إلا ضربتُ عنقَه ، وإنى أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة » .

وأقبل أبو سعيد - بعد إطلاق العباس - على جمع الخيل ، وإعداد السلاح ، ونسج الدروع والمغافر ، واتخاذ الإبل ، وإصلاح الرجال ، وضرب السيوف والأسنة ، واتخاذ الروايا والمزاد والقرب[١] ، وتعليم الصبيان الفروسية ، وطرد الأعراب من قريته ، وسدّ الوجوه التى يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال ، وإصلاح أراضى المزارع وأصول النخل ، وإصلاح مثل هذه الأمور وتفقدها ، ونصب الأمناء على ذلك ، وأقام العرفاء على الرجال ، واحتاط على ذلك كله ، حتى بلغ من تفقده أن الشاة إذا ذبحت يتسلم العرفاء اللحم ليفرقوه على من ترسم لهم ، ويدفع الرأس والأكارع والبطن إلى العبيد والإماء ، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله ، ثم يدفعه إلى من ينسجه عبيا وأكسية وغرائر وجوالقات ، ويفتل منه حبال ، ويسلم الجلد إلى الدباغ ، ثم إلى خَرّازى القرب والروايا ، والمزاد ؛ وما كان من الجلود يصلح نعالا وخفا فأُعمل[٢] منه ، ثم يجمع ذلك كله إلى خزائن .

فكان ذلك دأبه لا يغفله ، ويوجه كلَّ قليل خيلا إلى ناحية البصرة ، فتأْخذ من وجدت ، وتصير بهم إليه ويستعبدهم ، فزادت بلاده ، وعظمت هيبته فى صدور الناس .

وواقع بنى ضبة وقائع مشهورة فظفر بهم ، وأخذ منهم خلقا ، وبنى لهم حبسا عظيما جمعهم فيه ، وسدّه عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب ، فصاحوا فلم يغثهم ، فمكثوا على ذلك شهرا ، ثم فتح عليهم فوجد أكثرهم موتى ، ويسيرا بحال الموتى وقد تغذوا بلحوم الموتى ، فحصاهم وخلاهم فمات أكثرهم .

وكان قد أخذ من عسكر العباس خادما له جعله على طعامه وشرابه ، فمكث مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليا صلاةً واحدة ، ولا يصوم فى شهر رمضان ولا فى غيره ، فأضمر الخادمُ قتله ، حتى إذا دخل الحمام معه - وكانت الحمام فى داره - فأعدَّ الخادمُ خنجرا ماضيا

---

(١) (ج) : « والقوت » .

(٢) (ج) : « عمل منه » .

ـ والحمام خالٍ ـ فلما تمكن منه ذبحه ، ثم خرج فقال : « يدعى فلان » ، لبعض بنى سُنبُر فأُحضر ، فلما دخل قبضه وذبحه ، فلم يزل ذلك دأبُه حتّى قتل جماعةً من الرؤساء والوجوه ، فدخل آخرهم فإذا فى البيت الأول دمٌ جار ، فارتاب وخرج مبادرا ، وأعلم الناس ، فحصروا الخادم حتّى دخلوه ، فوجدوا الجماعة صرعى ، [٢٦ ب] وذلك فى سنة إحدى وثلاثمائة ، وقيل اثنتين وثلاثمائة ، وكان قتله بأحساء من البحرين .

وكانت سِنُّه يوم قتله نيفا وستين سنة .

وترك أبو سعيد من الأولاد :

أبا القاسم سعيدا .

وأبا طاهر سليمان .

وأبا منصور أحمد .

وأبا إسحاق إبراهيم .

وأبا العباس محمدا .

وأبا يعقوب يوسف .

وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته ، وأوصى إن حدث به موت يكون القيم بأمرهم سعيد ابنه إلى أن يكبر أبو طاهر ، وكان أبو طاهر أصغر سنا من سعيد ، فإذا كبر أبو طاهر كان المدبر ؛ فلما قُتل جرى الأمر على ذلك .

وكان قد قال لهم سيكون الفتوح له ، فجلس سعيد يدبر الأمر بعد قتل [أبيه] ، وأمر فشُدَّ الخادم بحبال ، وقرض لحمه بالمقاريض حتّى مات ؛ فلما كان فى سنة خمس وثلاثمائة سلَّم سعيد إلى أخيه أبى طاهر سليمان الأمر ، فعظموا أمره .

وكان ابتداء أمر أبى سعيد الحسن(١) بن بهرام الجنابى بالقطيف وما والاها فى سنة ست وثمانين ومائتين ، فكانت مدته نحو خمس عشرة سنة .

---

(١) الأصل : « أبى سعيد بن بهرام » ، وما هنا صيغة (ج) .

الصناديقى

وفيها استولى النجار أبو القاسم الحسن بن فرج الصناديقى على اليمن ، وكانت جيوشه بالمُذَيْخِرَة(١) وسَهْفَنَة(٢) ، وكان ابن أبى الفوارس - أحد دعاة عَبْدان - أنفذه داعيا إلى اليمن ، وكان من أهل النَرْس(٣) - موضع يعمل فيه الثياب النرسى ، وكان يعمل من الكتان - فصار إلى اليمن ، ودخل فى دعوته خلق كثير ، فأظهر العظائم وقتل الأطفال ، وسبا النساء ، وتسمَّى برب العِزَّة ، وكان يُكاتَب بذلك ، وأعلن سبَّ النبى - صلى الله عليه وسلم - وسائر الأنبياء ، واتخذ دارا خاصة(٤) سماها « دار الصَفْوَة » يجتمع فيها النساء ويأمر الرجال بمخالطتهن ووطئهن ، ويحفظ من تحبل منهن فى تلك الليلة ومن تلد من ذلك ، ويتخذ تلك الأولاد لنفسه خَوَلاً ، ويسميهم « أولاد الصَّفْوَة » .

قال بعضهم :

« دخلت إليها لأنظر فسمعتُ امرأةً تقول : « يا بنى » ، فقال : يا أمَّة نريد أن نُمضى أَمْرَ وَلِى الله فينا » .

وكان يقول : « إذا فعلتم هذا لم يتميز مالٌ من مال ، ولا ولدٌ من ولد ، فتكونوا كنَفْسٍ واحدة » .

فعظمت فتنتُه باليمن ، وأَجْلَى أكثرَ أهله عنه ، وأجلى السلطان ، وقاتل أبا القاسم محمدا

---

(١) عرفها ياقوت بانها قلعة حصينة فى رأس جبل صبر من أعمال صنعاء باليمن .

(٢) (ج) : « سهغنة » وما بالاصل هو الصواب ، وسهفنة قرية قبلى الجند على ثلاث مراحل منها لدى سفال ، وتسمى الآن سفنة ، بحذف الهاء على التخفيف . انظر : (عمر بن على ابن سمرة الجعدى : طبقات فقهاء اليمن ، نشر فؤاد السيد ، ص ٣١٨) .

(٣) ذكر ياقوت أن نرس نهر يأخذ من الفرات ، عليه عدة قرى ، واليه تنسب الثياب النرسية ، وقال صاحب تاج العروس : نرس - بالفتح ثم السكون - بلدة بالعراق .. منهاالثياب النرسية .

(٤) (ج) : « دار افاضة » وهو خطا واضح.

ابن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسنى الهادى(١) ، وأزاله عن عَمَلِهِ من صعْدة ففرّ منه بعياله إلى الرسّ ، ثم أظفره الله به فهزمه بأمر إلهى ، وهو أن الله جلّت قدرته ألقى على عسكره وقد بايته بَرَدًا وثلجا قُتل به أكثرُ أصحابه فى ليلة واحدة ، وقلّما عُرف مثل ذلك فى تلك الناحية .

وسلّط الله عليه الأَكِلَة ، وذلك أن القاسم أنفذ إليه طبيبا بمبضع مسموم فصده به فقتله ؛ وأنزل الله بالبلدان التى غلب عليها بَثْرًا يخرج فى كتف الرجل منهم بَثْرَةٌ فيموت سريعا ، فسمى ذلك البَثْرُ - بتلك البلاد - « حَبَّةَ القَرْمَطى » مدةً من الزمان .

وأخرب الله أكثر تلك البلاد التى ملكها ، وأفنى أهلها بموت ذريع ، فاعتصم ابنُه بجبال وأقام بها ، وكاتب أهلَ دعوتهم ، وعَنْوَن كُتُبَهُ :

« من ابن ربٍّ العِزّة » .

فأهلكه الله ، وبقى منهم بقية ، فاستأمنوا إلى القاسم بن أحمد الهادى ، ولم يبق للنجار - لعنه الله - ولا لمن كان على دعوته بقية .

وكان قَرْمَط يكاتب مَنْ بسَلَمِيَة ، فلما مات من كان فى وقته ، وخلفه ابنُه من بعده كتب إلى قَرْمَط فأنكر منه أشياء ، فاستراب وبعث ابن مليح - أحد دعاته - ليعرف الخبر فامتنع ، فأنفذ عبدان ، وعرف موت الذى كانوا يكاتبونه ، فسأل ابنه عن الحُجَّة ، ومَن الإمامُ الذى يدعو إليه ، فقال الابن :

« ومن الإمام ؟ »

فقال عبدان : « محمد بن إسماعيل بن جعفر صاحب الزمان » .

فأنكر ذلك وقال : « لم يكن إمام غير أبى ، وأنا أقوم مقامه » .

---

(١) فى الأصل : « القاسم بن أحمد بن يحيى . . الخ » والصواب ماذكرناه ، وقد تولى أبو القاسم محمد بن يحيى الامامة الزيدية من ٢٩٩ الى ٣٠١ وخلفه أخوه الامام الناصر أحمد ابن يحيى بن الحسين واستمر على مقاتلة الداعيتين على بن الفضل الذى توفى سنة ٣٠٢ ومنصور اليمن الذي توفي سنة ٣٠٣ هـ .

فرجع عبدان إلى قَرْمَط ، وعرّفه الخبر ، فجمع الدعاة وأمرهم بقطع الدعوة حنقا من قول صاحب سَلَمِيَة : « لا حق لمحمد بن إسماعيل فى هذا الأمر ولا إمامة » .

وكان قَرْمَط إنما يدعو إلى إمامة محمد بن إسماعيل ، فلما قطعوها من ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم ، لأنها امتدت فى سائر الأقطار ، ومن حينئذ قطع الدعاةُ مكاتبةَ الذين كانوا بسَلَمِيَة(1) .

وكان رجل منهم قد نفذ إلى الطَّالِقان يبثُّ الدعوة ، فلما انقطعت المكاتبة طال [٢٧ أ] انتظاره ، فشخص يسأل عن قَرْمَط ، فنزل على عَبْدان بسواد الكوفة ، فعتبه وعتب الدعاة فى انقطاع كتبهم ، فعرّفه عبدان قطعهم الدعوة ، وأنهم لا يعودون فيها ، وأنه تاب من هذه الدعوة حقيقة ، فانصرف عنه إلى زِكْرَوَيْه بن مِهْرَوَيْه ليدعو كما كان أبوه ، ويجمع الرجال ، فقال زِكْرَوَيْه :

« إن هذا لا يتم مع عَبْدان لأنه داعى البلد كله والدعاة من قبله ، والوجه أن نحتال على عَبْدان حتى نقتله » .

وباطن(2) على ذلك جماعة من قرابته وثقاته ، وقال لهم :

« إن عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة » .

فبيتوه ليلا وقتلوه ، فشاع ذلك ، وطلب الدعاةُ وأصحابُ قَرْمَط زِكْرَوَيْه بن مِهْرَوَيْه ليقتلوه فاستتر ، وخالفه القوم كلهم إلا أصل دعوته ، وتنقل فى القرى – وذلك فى سنة ست وثمانين – والقرامطة تطلبه إلى سنة ثمان وثمانين ، فأنفذ ابنه الحسن إلى الشام ، ومعه من القرامطة رجل يقال له أبو الحسين القاسم بن أحمد ، وأمره أن يقصد بنى كلاب ، وينتسب إلى محمد بن إسماعيل ، ويدعوهم إلى الإمام من ولده ، فاستجاب له فخذ من بنى العليص ومواليهم وبايعوه ، فبعث إلى زكرويه يخبر بمن استجاب له بالشام ، فضم إليه

---

(1) المقصود بالذين بسلمية دعاة الفاطميين قبل انتقالهم الى المغرب وظهورهم ، وهذه اشارة هامة الى بدء قطع العلاقات بين دعاة الفاطميين فى الشام والقرامطة بعد ان كانت الدعوتان متفقتين .

(2) (ج) : « وماظن » ، ولا معنى لها .

ابن أخيه - فتسمى بالمدثر لقبا ، وبعبد الله اسما ، وتأول أنه المذكور فى القرآن بالمدثر ويقال(١ إن المدثر هذا اسمه عيسى بن مهدى ، وأنه تسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق ، وعهد إليه صاحب الخال من بعده١) ، وغلاما من بنى مهرويه يتلقب بالمطوق(٢) - وكان سيافا(٣) -

وكتب إلى ابنه الحسن يعرفه أنه ابن الحجة ، ويأمره بالسمع والطاعة له ، وابن الحجة هذا ادعى أنه محمد بن عبد الله ، وقيل(٤ على بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأنكر قوم هذا النسب ، وقالوا إنما اسمه يحيى بن زكرويه بن مهرويه ، وكنيته أبو القاسم ، ويلقب بالشيخ ويعرف بصاحب الناقة ، وبصاحب الجمل ، وهو أخو صاحب الخال ، القائم من بعده٤) ، فسار حتى نزل فى بنى كليب(٥) ، فلقيه الحسن بن زكرويه ، وسُر به ، وجمع له الجمع ، وقال : «هذا صاحب الامام» ، فامتثلوا أمره ، وسروا به ، فأمرهم بالاستعداد للحرب ، وقال : «قد أظلكم النصر» ، ففعلوا ذلك .

واتصلت أخبارهم بشبل الدَيْلَمى - مولى المعتضد - فى سنة تسع وثمانين ، فقصدهم ، فحاربوه وقتلوه فى عدة من أصحابه بالرُصافة من غربى الفرات ، ودخلوها فأحرقوا مسجدها ونهبوا .

وساروا نحو الشام يقتلون ويحرقون القرى وينهبونها إلى أن وردوا أطراف دمشق ، وكان عليها طُغج بن جُفّ من قِبَل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون - فبرز إليهم فهزموه وقتل كثير من أصحابه ، والتجأ إلى دمشق فحصروه وقاتلوه .

وكان القرمطى يحضر الحرب على ناقة ، ويقول لأصحابه :

«لا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فإذا سارت فاحملوا ، فإنه لا تُرَدُّ لكم راية ، إذ(٦) كانت مأمورة» .

---

(١) هذه الجملة وردت فى الهامش فى نسخة (ج) ، أما فى الأصل فقد وضعت فى المتن كما اثبتناها هنا

(٢) (ج) : «المطوف» .

(٣) (ج) : «شيافا» .

(٤) هذه الفقرة وردت فى الهامش فى نسخة (ج) ، ولكنها أدخلت فى المتن فى نسخة الأصل .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى (ج) : «بنى كلب» .

(٦) كذا بالأصل ، وفى (ج) : «اذا» .

فسمى بذلك : « صاحب الناقة .

فأقام طُغْج سبعة أشهر محصورا بدمشق ، فكتب إلى مصر بأنه محصور وقد قُتل أكثر أصحابه وضرب البلد ، فأُنفذ إليه بدر الكبير - غلام ابن طولون المعروف بالحمّامى - فسار حتى قرب من دمشق ، فاجتمع هو وطُغْج على محاربة القَرْمَطى بقرب دمشق ، فقتل القرمطى واحتمى أصحابه وانحازوا ، فمضوا ، وكان [القرمطى] قد ضرب دراهم ودنانير وكتب عليها :

« قل جاء الحق وزهق الباطل » .

وفى الوجه الآخر : « (١لا إله إلا الله١) ، قل لا أسألكم عليه أجرا(٢) إلا المودة فى القربى » .

فلما انصرف القرامطة عن دمشق وقد قُتل محمد بن عبد الله « صاحب الناقة » بايعوا الحسن بن زكرويه - وهو الذى يقال له أحمد بن عبد الله ، ويقال عبد الله بن أحمد بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ويعرف « بصاحب الخال » - ، فسارهم ، وافتتح عدة مدن من الشام ، وظهر على حمص ، وقتل خلقا ، وتسمى بأمير المؤمنين المهدى على المنابر وفى كتبه ، وذلك فى سنة تسع وثمانين وبعض سنة تسعين .

ثم صاروا إلى الرقّة ، فخرج إليهم مولى المكتفى وواقعهم فهزموه وقتلوه ، واستباحوا عسكره ، ورجعوا إلى [٢٧ ب] دمشق وهم ينهبون جميع ما يمرون به من القرى ، ويقتلون ويسبون ، فخرج إليهم جيش كثيف عليه بشير - غلام طُغْج - وقاتلهم حتى قُتل فى خلق من أصحابه .

واتصل ذلك بالمكتفى بالله فندب أبا الأغرّ السلمى - فى عشرة آلاف - وخلع عليه لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة تسعين ، فسار حتى نزل حلب ، ثم خرج فوافاه جيش القرامطة غفلة يقدمهم المطوّق ، فانهزم أبو الأغرّ ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون ويأسرون حتى حجز بينهم الليل وقد أتوا على عامة العسكر ، ولحق أبو الأغر بطائفة من

(١) هذه الجملة ساقطة من (ج) .
(٢) هذا اللفظ ساقط من (ج) .

أصحابه ، فالتجأوا بحلب ، وصار فى نحو الألف ، فنازله القرامطة ، فلم يقدروا منه على شىء فانصرفوا .

وجمع الحسن بن زكرويه بن مهرويه أصحابه ، وسار بهم إلى حمص ، فخُطب له على منابرها .

ثم سار إلى حماة والمعرة ، فقتل الرجال والنساء والأطفال ، ورجع إلى بعلبك فقتل عامة أهلها .

ثم سار إلى سلمية فحارب أهلها وامتنعوا منه فأمّنهم ، ودخلها فبدأ بمن فيها من بنى هاشم - وكانوا جماعة - فقتلهم .

ثم كرّ على أهلها فقتلهم أجمعين ، وخرّبها ، وخرج عنها وما بها عينٌ تطرف ، فلم يمر بقرية إلا أخربها ، ولم يدع فيها أحدا ، فخرّب البلاد وقتل الناس ، ولم يقاومه أحد ، وفنيت رجال طُغج(١) ، وبقى فى عدة يسيرة ، فكانت القرامطة تقصد دمشق فلا يقاتلهم إلا العامة وقد أشرفوا على الهلكة ، فكثر الضجيج ببغداد ، واجتمعت العامة إلى يوسف بن يعقوب القاضى ، وسألوه إنهاء الخبر إلى السلطان .

ووردت الكتب من مصر إلى المكتفى بخبر قتل عسكرهم الذى خرج إلى الشام بيد القرامطة ، وخراب الشام ، فأمر المكتفى الجيش بالاستعداد ، وخرج إلى مضربه فى القواد والجند لا ثنتى عشرة خلت من رمضان ، ومضى نحو الرقّة بالجيوش حتى نزلها ، وانبثت الجيوش بين حلب وحمص ، وقلّد محمد بن سليمان حرب الحسن بن زكرويه ، واختار له جيشا كثيفا - وكان صاحب ديوان العطاء - .

وعارض الجيش فسار إليهم والتقاهم لست خلون من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامة رجال القرامطة فولوا مدبرين .

---

(١) هذا اللفظ غير موجود فى (ج) .

وكان الحسن بن زكرويه(١ لما أحسّ بالجيوش١) اصطفى مقاتلة ممن معه ، ورتّب أحوالهم ، فلما (١ انهزم أصحابه١) رحل من وقته ، وتلاحق به مَنْ أفلت ، فقال لهم : « أتيتم من قبل أنفسكم وذنوبكم وأنكم لم تصدقوا الله » ؛ وحرّضهم على المعاودة إلى الحرب ، فاعتلوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم ، فقال لهم :

« قد كاتبنى خلق من أهل بغداد بالبيعة لى ودعاتى بها ينتظرون أمرى ، وقد خلت من السلطان الآن ، وأنا شاخصٌ نحوها لأظهر بها ، ومستخلف عليكم أبا الحسين القاسم بن أحمد - صاحبى - ، وكتبى ترد عليه بما يعمل ، فاسمعو وأطيعوا » .

فضمنوا ذلك له ، وشَخَصَ معه قريبه عيسى ابن أخت مهرويه المسمى « بالمدثّر » ، وصاحبه المعروف « بالمطوّق » ، وغلام له رومى ، وأخذ دليلا يرشدهم إلى الطريق ، فساروا يريدون سواد الكوفة ، وسلك البر ، وتجنّب القرى والمدن حتّى صار قريبا من الرحبة بموضع يقال له الدالية ، فأمر الدليل فمال بهم إليها ، ونزل بالقرب منها خلف رابية ، ووجّه بعضَ من معه لابتياع ما يصلحه ، فدخل القرية فأنكر بعضُ أهلها زيّه ، وسأله عن أمره ، فورّى وتلجلج(٢) ، فارتاب به وقبض عليه ، وأتى به واليها - ويقال له أبو خبزة يخلف أحمد بن كشمرد صاحب الحرب بطريق الفرات ، والدالية قرية من عمل(٣) الفرات - فسأله أبو خبزة ورهب عليه ، فعرّفه أن القرمطى الذى خرج الخليفة المكتفى فى طلبه خلف رابية أشار إليها ، فسار الوالى مع جماعة بالسلاح فأخذوهم وشدوهم وثاقا ، وتوجّه بهم إلى ابن كشمرد ، فصار بهم إلى المكتفى - وهو بالرقّة - ، فشهّرهم بالرقة ، وعلى الحسن بن زكرويه دُرّاعة ديباج وبُرْنُس حرير ، وعلى المدثّر دُرّاعة(٤) وبُرْنُس(٥) حرير ، وذلك لأربع بقين من المحرم .

(١) مكان هـــذه الألفاظ بياض فى نسخة (ج) .

(٢) (ج) : « وانخلج » .

(٣) هذا اللفظ ساقط من (ج) .

(٤) الدراعة ، والمدرع ، ضرب من الثياب التى تلبس ، وقيل جبة مشقوقة المقدم انظر : (اللسان) و (Dozy: Dict. Vêts; Supp. Dict. Arab.)

(٥) البرنس - ويقال برنوس بفتح البـــاء وضمها - قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها فى صدر الاسلام ، أو هى كل ثوب رأسه منه - دراعة كان أوجبة أو ممطرا - ، ومنه : برنســه فتبرنس اى البسه البرنس فلبسه . انظر : (محيط المحيط) و (Dozy Dict. Vêts; Supp. Dict. Arab).

وقدم محمد بن سليمان بجيوشه إلى الرقّة ـ ومعه الأسرى ـ فخلّف المكتفى عساكره مع محمد ابن سليمان بالرقّة ، وشَخَصَ فى خاصته وغلمانه ، وتبعه وزيره [٢٨ ا] القاسم بن عُبَيْد الله إلى بغداد ، ومعه القَرْمَطى وأصحابه .

فلما صار إلى بغداد عُمل له كرسى سُمْكُه ذراعان ونصف ، ورُكِّب على فيل وأُركب عليه ، ودخل المكتفى وهو بين يديه مع أصحابه الأسرى ، وذلك ثالث ربيع الأول ، ثم سجنوا .

فلما وصل محمد بن سليمان ببقية القرامطة لاثنتى عشرة خلت منه أمر المكتفى القواد بتلقيه والدخول معه ، فدخل فى زىٍّ حسن وبين يديه نيف وسبعون أسيرا ، فخُلع عليه ، وطُوِّق بطوق من ذهب ، وسوِّر سوارين من ذهب ، وخُلع على جميع من كان معه القواد وطوقوا وسُوِّروا .

وأمر [المكتفى] ببناء دِكَّة فى الجانب الشرقى مربعة ، ذَرْعُها عشرون ذراعا فى مثلها ، وارتفاعها عشرة أذرع ، يُصعد إليها بدَرَج ، فلما كان لأربعٍ بقين منه خرج القواد والعامة ، وحُمل القرامطة على الجمال إلى الدِكّة ، وقتلوا جميعا وعدتهم ثلاثمائة وستون ، وقيل دون ذلك .

وقدم الحَسن بن زكرويه ، وعيسى ابن أخت مهْرَوَيْه إلى أعلى الدكة ومعهما أربعة وثلاثون إنسانا من قبل(١) وجوه القرامطة ممن عرف بالنكاية(٢) ، وكان الواحد منهم يُبطح على وجهه ، وتقطع يده اليمنى ، فيُرمى بها إلى أسفل ليراها الناس ، ثم تُقطع رجله اليسرى ، ثم رجله اليمنى ويرمى بهما ، ثم يُضرب عنقُه ويرمى بها .

ثم قُدِّم المدثِّر ففُعل به كذلك بعد ما كُوى ليُعذب ، وضربت عنقُه .

ثم قُدِّم الحسن بنَ زَكْرَوَيْه فضُرب مائتى سَوْط ، ثم قطعت يداه ورجلاه ، وكوى ، وضربت عنقه ، ورفع رأسه على خشبة ، وكَبَّر مَنْ على الدكة ، فكبَّر الناس وانصرفوا .

وحُملت الرءوس فصلبت على الجسر وصلب بَدَنُ القرمطى فمكث نحو سنة .

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى (ج) : « من وجوه القرامطة » .
(٢) (ج) : « بانكائه » .

ومن كتب الحسن بن زكرويه إلى عماله ما هذه نسخته بعد البسملة :

« من عند المهدى(١) ، المنصور بالله ، الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله [الحاكم بحكم الله](٢) ، الداعى إلى كتاب الله ، الذاب عن حرم الله ، المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، ومذل المنافقين ، وخليفة الله على العالمين ، وحاصد الظالمين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المستبصرين [وضياء المستضيئين](٢) ، ومشتت المخالفين ، والقيم بسنة [سيد](٢) المرسلين ، وولد خير الوصيين - صلى [الله] عليه وعلى آله الطيبين وسلم [كثيرًا](٢) » - .

كتابٌ إلى فلان(٣) :

« سلامٌ عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلى على محمد جدى رسول الله .

أما بعد :

فقد أُنهى إلينا ما حدث قِبَلك من أخبار أعداء الله الكفرة ، وما فعلوه بناحيتك من الظلم والعبث والفساد فى الأرض ، فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن ننفذ إلى ما هنالك من جيوشنا من ينتقم اللهُ به من أعدائه الظالمين الذين يسعوْن فى الأرض فسادا ؛ فأنفذنا [عُطَيْرًا](٤) داعيتنا وجماعة من المؤمنين إلى مدينة حمص [وأمددناهم بالعساكر](٤) ، ونحن فى أثرهم ، وقد أوعزنا إليهم فى المصير إلى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا ، ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا فى أمثالهم .

فينبغى أن تشد قلبك وقلوب من اتبعك(٥) من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذى لم يزل

---

(١) (ج) : « من عبد الله المهدى » ، وفى (الطبرى ، ج ١١ ص ٣٨٤) : « من عبد الله احمد بن عبد الله المهدى » .

(٢) مابين الحاصرتين زيادات عن : (الطبرى ج ١١ ص ٣٧٤)

(٣) ذكر (الطبرى ، ج١١ ، ص ٣٨٤) اسم الرجل الذى ارسل اليه الكتاب ، وهو « جعفر بن حميد الكردى »

(٤) مابين الحاصرتين زيادات عن : (الطبرى ، ج ١١ ، ص ٣٨٤)

(٥) فى الطبرى : « من معك »

يعودنا لى كل مَنْ مَرَقَ عن الطاعة ، وانحرف عن الإيمان ، وتبادر إلينا بأخبار الناحية وما يحدث[1] فيها ، ولا تُخْفِ عنا شيئا من أمرها [إن شاء الله][2] .

سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على جدى [محمد][2] رسوله ، وعلى أهل بيته وسلم كثيرا » .

وكانت عماله تكاتبه بمثل هذا الصدد .

وسلم القاسم بن أحمد أبو الحسين – خليفة الحسن بن زكرويه – فقدم سواد الكوفة إلى زكرويه بن مهرويه ، فأخبره بخبر[3] القوم الذين استخلفهم ابنه عليهم ، وأنهم اضطربوا فخافهم وتركهم ، فلامه زكرويه على قدومه لوما شديدا ، وقال له :

« ألا كاتبتنى قبل انصرافك إلىّ ؟ » .

ووجده مع ذلك على خوف شديد من طلب السلطان ومن طلب أصحاب عبدان .

ثم إنه أعرض عن أبى الحسين ، وأنفذ إلى القوم – فى سنة ثلاث وتسعين – رجلا من أصحابه – كان معلما – يقال له محمد بن عبد الله بن سعيد ، ويكنى بأبى غانم ، فتسمى نصرا ليعمى أمره ، وأمره أن يدور أحياء كاب ويدعوهم ، فدار ودعاهم ، فاستجاب له طوائف من الأصبغيين ، ومن بنى [٢٨ ب] العليص ، فسار بهم نحو الشام ، وعامِلُ المكتفى بالله يومئذ على دمشق والأردن أحمد بن كَيْغَلَغ ، وهو بمصر فى حرب ابن الخليج[4] ، فاغتنم ذلك محمد[5] ابن عبد الله المعلم ، وسار إلى بصرى وأذرعات فحارب أهلها ، وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسار يريد دمشق ، فخرج إليه جيش مع صالح بن الفضل خليفة أحمد بن كَيْغَلَغ ، فظهروا عليه ، وقتلوا عسكره ، وأسروه فقتلوه ، وهموا بدخول دمشق فدافعهم أهلها ، فمضوا إلى طبرية ، فكانت لهم وقعة على الأردن غلبوا فيها ، ونهبوا طبرية ، وقتلوا وسبوا النساء .

---

(١) فى الطبرى : « ومايتجدد »
(٢) ما بين الحاصرتين زيادات عن (الطبرى ج ١١ ص ٣٨٤)
(٣) (ج) : « فاخبرهم خبر » .
(٤) انظر أخبار ثورة ابن الخليج فى : (الكندى : الولاة ، ص ٢٥٨ – ٢٦٣)
(٥) المقريزى يلخص هنا عن الطبرى ، وهو يسمى هذا الرجل هناك : " عبد الله بن سعيد "

فبعث المكتفى بالحسين بن حمدان فى طلبهم مع وجوه من القواد ، فدخل دمشق وهم بطبرية ، فساروا نحو السماوة ، وتبعهم ابن حمدان فى البرية ، فأخذوا يغوّرون ما يرتحلون عنه من الماء ، فانقطع [ابن حمدان] (١) عنهم لعدم الماء ، ومال نحو رحبة مالك بن طوق ، فأسرى القرامطة إلى هيت ، وأغاروا عليها لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ، ونهبوا الرَّبَض والسفن التى فى الفرات ، وقتلوا نحو مائتى إنسان .

ثم رحلوا بعد يومين بما غنموه ، فأنفذ المكتفى إلى هيت محمد بن إسحاق بن كُنْداج فى جماعة من القواد بجيش كثيف ، وأتبعه بمؤنس ، فإذا هم قد غَوَّروا المياه ، فأنفذ إليهم من بغداد بالروايا والزاد ، وكتب إلى ابن حمدان بالنفوذ إليهم من الرحبة .

فلما أحسوا بذلك ائتمروا بصاحبهم المعلم ، ووثب عليه رجل من أصحابه يقال له الذئب بن القائم فقتله ، وشخص إلى بغداد متقربا بذلك ، فأسنيت له الجائزة ، وكفّ عن طلب قومه ، وحُملت رأسُ القائم (٢) المسمى بنصر المعلم إلى بغداد .

ثم إن قوما من بنى كلب أنكروا فعل الذئب وقتله المعلم ، ورضيه آخرون ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وافترقوا فرقتين ، فصارت الفرقة التى رضيت قتل المعلم إلى عين التمر ، وتخلفت الأخرى ، وبلغ ذلك زكرويه ـ وأحمد بن القاسم عنده ـ فردّه إليهم ، فلما قدم عليهم جمعهم ووعظهم وقال :

« أنا رسول وليكم ، وهو عاتب عليكم فيما أقدم عليه الذئب بن القائم ، وأنكم قد ارتددتم عن الدين » .

فاعتذروا ، وحلفوا ما كان ذلك بمحبتهم ، وأعلموه بما كان بينهم من الخلف والحرب ، فقال لهم :

« قد جئتكم الآن بما لم يأتكم به أحد تقدمنى ، يقول لكم وليكم : قد حضر أمركم ، وقرب ظهوركم ، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفا ، ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم

---

(١) اضيف ما بين الحاصرتين عن : (الطبرى ، ج١١ ، ص ٣٩٤) وبه يستقيم المعنى

(٢) (ج) : « القاسم »

[الذى](١) ذكره الله [فى شأن موسى صلى الله عليه وسلم وعدوه فرعون إذ يقول : موعدكم](١) يوم الزينة ، وأن يحشر الناس ضحى » فأجمعوا أمركم ، وسيروا إلى الكوفة ، فإنه لا دافع لكم عنها ، ومنجز وعدى الذى جاءتكم به رسلى » .

فسروا بذلك ، وارتحلوا نحو الكوفة ، فنزلوا دونها بستة وثلاثين ميلا قبل يوم عرفة بيوم من سنة ثلاث وتسعين ، فخلّفوا هناك الخدم والأموال ، وأمرهم أن يلحقوا به على ستة أميال من القادسية .

ثم شاور الوجوه من أصحابه فى طروق الكوفة أى وقت ، فاتفقوا على أن يكمنوا فى النجف ، فيريحوا الخيل والدواب ، ثم يركبوا عمود الصبح فيشنوها غارةً والناس فى صلاة العيد .

فركبوا وساروا ، ثم نزلوا فناموا ، فلم يوقظهم إلا الشمس يوم العيد لطفاً من الله بالناس ، فلم يصلوا إلى الكوفة إلا وقد انقضت الصلاة ، وانصرف الناس وهم متبددون فى ظاهر الكوفة ، ولأمير البلد طلائع تتفقد ، وكان قد أرجف فى البلد بحدوث فتن فأقبلوا ودخلت خيل منهم الكوفة ، فوضعوا السيف وقتلوا كثيرا من الناس وأحرقوا ، فارتجت الكوفة ، وخرج الناس بالسلاح ، وتكاثروا عليهم يقذفونهم بالحجارة ، فقتلوا منهم عدةً ، وأقبل بقيتهم فخرج إليهم إسحق بن عمران فى يسير من الجند ، وتلاحق به الناس ، فاقتتلوا قتالا شديدا فى يوم صائف شديد الحر ، فانصرف القرامطة مكدودين ، فنزلوا على ميلين من الكوفة ، ثم ارتحلوا عشاء نحو سوادهم ، واجتازوا بالقادسية وقد تأهبوا لحربهم ، فانصرفوا عنها ، وبعث أمير الكوفة بخبر ذلك إلى بغداد .

وسار القرامطة إلى سواد الكوفة ، فاجتمع [١٢٩ ا] أحمد بن القاسم بزكرويه بن مهرويه – وكان مستترا – فقال للعسكر :

« هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذى تنتظرونه » .

فترجّل الجميع وألصقوا خدودهم بالأرض ، وضربوا لزكرويه مضربا عظيما ، وطافوا به ، وسروا سروراً عظيما ، واجتمع إليهم أهل دعوته من السواد ، فعظم الجيش جدا .

---

(١) اضيف ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير : الكامل ، ج٧ ، ص ٢١٥) وبه يستقيم المعنى

وسيَّر المكتفى جيشا عظيما ، فساروا بالأَثقال والبنود والبزاة على غير تعبئة مستخفين بالقوم ، فوصلوا وقد تعب ظهرهم وقل نشاطهم ، فلقيهم القرامطة وقاتلوهم وهزموهم ، ووضعوا فيهم السيوف ، فقُتل الأَكثر ، ونجا الأَقل إلى القادسية ، فأَقاموا فى جمع الغنائم ثلاثًا ، فكان مَنْ قُتل من الجيش نحو الأَلف وخمسمائة ، فقويت القرامطة بما غنموا ، وبلغ المكتفى فخاف على الحاج ، وبعث محمد ابن إسحاق بن كُنْداج لحفظ الحاج ، وطلب القرامطة ، وضم إليه خلقا عظيما .

فسار القرامطة وأَدركوا الحاج ، فأَخذوا الخراسانية لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة أَربع وتسعين ، ووضعوا فيهم السيف وقتلوا خلقا عظيما ، واستولى زكرويه على الأَموال .

وقدم ابن كُنْداج فأَقام بالقادسية ـ وقد أدركه مَنْ هرب من حاج خراسان ـ وقال : « لا أَغدر بجيش السلطان » .

وقدمت قافلة الحاج الثانية والثالثة ، فقاتلوا القرامطة قتالا شديدا حتى غلبوا ، وقتل كثير من الحاج ، واستولوا على جميع ما فى القافلة ، وأَخذوا النساء ولم يطلقوا منهم إلا من لا حاجة لهم فيها ، ومات كثير من الحاج عطشا ، ويقال إنه هلك نحو من عشرين أَلفا ، فارتجت بغداد لذلك .

وأَخرج المكتفى الأَموال لإنفاذ الجيوش من الكوفة ـ لإحدى عشرة بقيت من المحرم ـ . وخزائن السلاح .

ورحل زكرويه فلم يدع ماء إلا طرح فيه جِيَفَ القتلى ، وبثَّ الطلائع فوافته القافلة التى فيها القواد والشَّمْسَة ـ وكان المعتضد جعل فيها جوهرا نفيسا ـ ، ومعهم الخزانة ووجوه الناس والرؤساء ومياسير التجار ، وفيها من أنواع المال ما يخرج عن الوصف ، فناهضهم زكرويه بالهَبير[1] ، وقاتلهم يومه ، فأدركتهم قافلة العُمْرَة ، وكان المعتمرون يتخلفون للعُمْرَة

---

(١) قال (ياقوت فى معجم البلدان : «الهبير من الأرض أن يكون مطمئنا وما حوله أرفع منه·· والهبير رمل زرود فى طريق مكة كانت عنده وقعة ابن أبى سعيد الجنابى القرمطى بالحاج يوم الاحد لاثنى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢ ، قتلهم وسباهم وأخذ أموالهم » .

بعد خروج الحاج ، ويخرجون إذا دخل المحرم ، ويتفردون قافلة ، وانقطع ذلك من تلك السنة ، فاجتمع الناس وقاتلوا يومهم وقد نفد الماء ، فملك القافلة ، وقتل الناس ، وأخذ ما فيها من حريم ومال وغيره ، وأفلت ناس فمات أكثرهم عطشا ، وسار فأخذ أهل فَيْد[1] .

وأما بغداد فإنه حصل بها وبالكوفة وجميع العراق مصاب بحيث لم يبقَ دارٌ إلا وفيها مصيبة ، وعَبْرَةٌ سائلة ، وضجيجٌ وعويل ، واعتزل المكتفى النساء هما وغما ، وتقدم بالمسير خلف زكرويه ، وأنفذ الجيوش فالتقوا مع زكرويه لسبع بقين من ربيع الأول ، فاقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان حتى انهزم زكرويه وقتل أكثر من معه ، وأسر منهم خلق كثير ، وطرحت النار فى قبته ، فخرج من ظهرها ، وأدركه رجل فضربه حتى سقط إلى الأرض ، فأدركه رجل يعرفه . فأركبه نجيبا فارها ، وسار به إلى نحو بغداد ، فمات من جراحات كانت به ، وصُبِّر وأدخل به إلى بغداد ميتا فشُهِّر كذلك ، ومعه حرمه وحرم أصحابه وأولادهم أسرى[2] ورءوس من قتل بين يديه فى الجوالقات ، ومات خبر[3] القرامطة بموت زكرويه .

ودعوتهم ذكرها شائع .

فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين خرج رجل من السواد من الظُّطِّ يعرف بأبي حاتم الظُّطِّى ، فقصد أصحاب البورانى داعيا – وهم يعرفون بالبورانية – وحَرَّم عليهم الثوم والبصل والكرات والفجل ، وحرَّم عليهم إراقة الدم من جميع الحيوان ، وأمرهم أن يتمسكوا بمذهب البورانى ، وأمرهم بمالا[4] يقبله إلا أحمق ، وأقام فيهم نحو سنة ، ثم زال ، فاختلفوا بعده ، فقالت طائفة :

« زَكْرَوَيْه بن مِهْرَوَيْه حيٌّ ، وإنما شُبِّه على الناس به » .

وقالت فرقة :

« الحجة لله محمد بن إسماعيل » .

---

(١) عرفها ياقوت فى معجمه بأنها « بليدة فى نصف طريق مكة من الكوفة ، عامرة ، يودع الحجاج فيها أزوادهم وما يثقل من أمتعتهم عنداهلها ، فاذا رجعوا اخذوا ازوادهم ووهبوا لمن اودعوها شيئا من ذلك »

(٢) (ج) : « وأولادهم والأسرى »

(٣) (ج) : « خير »

(٤) الأصل : « بأن لا » والتصحيح عن (ج) .

ثم خرج رجل من بنى عجل قَرْمَطِىٌّ يقال له محمد بن قطبة ، فاجتمع عليه نحو مائة رجل ، فمضى بهم نحو واسط ، فنهب وأفسد فخرج إليه آمر الناحية ، فقتلهم وأسرهم .

ثم خمدت أحوال القرامطة إلى أن تحرك أبو طاهر بن أبى سعيد الجنَّابى ، وعمل على أخذ البصرة سنة عشر [٢٩ ب] وثلاثمائة ، فعمل سلالم عراضا يصعد على كل مرقاة اثنان سورافيت[١] ، إذا احتيج إليها نُصبت ، وتُخلع إذا حملت ، فرحل يريد البصرة ، فلما قاربها فرّق السلاح ، وحشى الغرائر بالرمل ، وحملها على الجمال ، فسار إلى السور قبل الفجر ، فوضع السلالم ، وصعد عليها قوم ، ونزلوا فوضعوا السيف وكسروا الأقفال ، فدخل الجيش ، فأول ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول فى الأبواب ليمنع من غلقها ، وبدر لهم الناس ومعهم الأمير ، فقاتلوا وقتل الأمير ، فأقاموا النهار يقتتلون حتى حجز بينهم الظلام ، فخرجوا وقد قتل من الناس مقتلة عظيمة ، فباتوا ثم باكروا البلد فقتلوا ونهبوا .

ثم رحلوا إلى الأحساء ، فأنفذ السلطان عسكرا ـ وكان أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان قد قُلِّد أعمال الكوفة والسواد وطريق مكة ـ فدخل[٢] فى أثرهم وأسر منهم وعاد .

فلما قدمت قوافل الحاج اعترضها أبو طاهر القرمطى فقتل منهم ؛ وأدركهم أبو الهيجاء ابن حمدان بجيوش كثيرة ، فحملت القرامطة عليهم فهزموهم ، وأخذ أبو الهيجاء أسيرا ، فلما رآه أبو طاهر تضاحك وقال له :

« جئناك عبد الله ، ولم نكلفك قصدنا » .

فتلطف له أبو الهيجاء حتى استأمنه ، وأمر بتمييز الحاج ، وعزل الجمالين والصناع ناحية ، فأخذوا ما مع الحاج وخاوهم ، فردوا بشَرٍّ حال فى صورة الموتى ، ورحل من الغد من بعد أن أخذ من أبى الهيجاء وحده نحو عشرين ألف دينار مع أموال لا تحصى كثرة ، ثم أطلق أبا الهيجاء بعد أشهر ، فورد بغداد .

فلما كان فى سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة خرج من بغداد جيش كثيف لحفظ الحاج ، فلقى أبو طاهر القَرْمَطى الحاج بالعقبة ، فرجع الحاج إلى الكوفة ، فتبعهم القَرْمَطى حتى نزل بظاهرها

(١) كذا فى الأصل ، وفى (ج) : « بزرا فبن » .
(٢) (ج) : « فزحل » .

لثلاث عشرة[1] خلت من ذى القعدة ، فناوشه الناس وانكفأ راجعًا ، ثم باكرهم بالقتال وخرجت إليه جيوش السلطان ، فقاتلهم وهزمهم ، وقتل قوادهم وكثيرا من العامة ، ونهب البلد إلى العشرين منه ، فرحل عن البلد .

فلما كان فى سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرج القرمطى من بلده لقتال ابن أبى الساج ، وقد كان السلطان أنزله فى جيش كثير بواسط ليسير إلى بلد القرمطى ، فاستصعب مسيره لكثرة من معه ، وثقل عليه سيره فى أرض قَفْر ، فاحتال على القرمطى ، وكاتبه بإظهار المواطأة ، وأطمعه فى أخذ بغداد ومعاضدته ، فاغتر بذلك ، ورحل بعيال وحشم وأتباع ، وجيشه على أقوى ما يمكنه ، وأقبل يريد الكوفة .

ورحل ابن أبى الساج بجيشه عن واسط إلى الكوفة ، وقد سبقه القَرْمَطى ، ودخلها لسبع خلون من شوال ، فاستولى عليها ، وأخذ منها الميرة ، وأعد ما يحتاج إليه ؛ وأقبل ابن أبى الساج على غير تعبئة ، وعبر مستهينا بأمر القَرْمَطى مستحقرا له ، ثم واقعه وهو فى جيش يضيق عنه موضعه ، ولا يملك تدبيره ، وقد تفرق عنه عسكره ، وركبوا — من نهب القرى وأذى الناس وإظهار الفجور — شيئا كثيرا ، فأقبل إليه القرمطى وقاتله ، فانهزمت عساكر ابن أبى الساج بعد ما كثرت بينهما القتلى والجراح ، فقتلوا الناس قتلا ذريعًا حتى صاروا فى بساط واحد نحو فرسخين أو أربع ، واحتوى على عسكره ، ونهب الأَكَرَةُ من أهل السواد ما قدروا عليه ، وأقام أربعين يومًا ؛ وخرج بعد أن يئس من مجئ عسكر إليه ، فقصد بغداد ، ونزل بسواد الأنبار ، وعبر الفرات إلى الجانب الغربى ، وتوجه بين الفرات ودجلة يريد بغداد ، فجيّش الجيش إليه ؛ وسار مؤنس حتى نازله على نحو ثلاثة فراسخ من بغداد ، وقاتل القرامطة قتالا شديدًا ، وورد كتاب المقتدر بأمر مؤنسا بمعاجلته القتال ، ويذكر ما لزم من صرف الأموال إلى وقت وصوله .

فكتب إليه : « إن فى مقامنا — أطال الله بقاء مولانا — نفقة المال ، وفى لقائنا نفقة الرجال ؛ ونحن أحرياء باختيار نفقة المال على نفقة الرجال » .

---

(1) (ج) : « لثلاث خلت » .

ثم أنفذ إلى القَرْمَطى يقول له :

« ويلك ، ظننتنى كمن لقيك أبرز لك رجالى ، والله ما يسرنى أن أظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابى ، ولكنى أطاولك وأمنعك مأكولا ومشروبا حتى آخذك أخذًا بيدى إن شاء الله » .

وأنفذ يلبق فى جيش الإيقاع بمن فى قصر ابن هُبَيْرة ، فعظم ذلك على القرمطى فاضطرب ، [١٣٠ ا] وأخذ أصحابه يحتالون فى الهرب ، وتركوا مضاربهم ، فنهب مؤنس ما خلَّفوه ، وسار جيش القرمطى من غربى الفرات ، وسار مؤنس من شرقيه ، إلى أن وافى القرمطى الرَّحْبَة ، ومؤنس يحتال فى إرسال زواريق فيها فاكهة مسمومة[١] ، فكان القرامطة يأخذونها ، فكثرت الميتة فيهم ، وكثر بهم الذَّرْب ، وظهر جهدهم ، فكروا راجعين وقد قل[٢] الظهر معهم ، فقاتلوا أهل هَيْت وانصرفوا مفلولين ، فدخل الكوفة على حال ضعف وجراحات وعال ـ لثلاث خلون من رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة ـ فأقام بها إلى مستهل ذى الحجة ، ولم يقتل ولا نهب ، ثم رحل .

فلما كان فى سنة سبع عشرة رحل بجيشه ، فوافى مكة لثمانٍ خلوْن من ذى الحجة ، فقتل الناس فى المسجد قتلا ذريعا ، ونهب الكعبة ، وأخذ كسوتها [وحليها][٣] ، ونزع الباب وستائره ، وأظهر الاستخفاف به ، وقلع الحجر الأسود وأخذه معه ـ وظن أنه مغناطيس القلوب ـ ، وأخذ الميزاب أيضا .

وعاد إلى بلده فى المحرم سنة ثمانى عشرة وقد أصابه كدٌّ شديد ، وقد أخذ ستة وعشرين ألف حمل خفا ، وضرب آلاتهم وأثقالهم بالنار ، واستملك من النساء والغلمان والصبيان ما ضاق بهم الفضاء كثرةً[٤] ، وحاصرته هذيل فأشرف على الهلكة حتى عدل به دليلٌ إلى غير الطريق المعروف إلى بلده .

فلما كان فى شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة سار إلى الكوفة ، فعاث عسكره فى

---

(١) الأصل : « مشمومة » ، والتصحيح عن (ج) .
(٢) كذا فى الأصل ، وفى (ج) : « فل » .
(٣) مابين الحاصرتين زيادة عن (ج) .
(٤) ج : « ماضاق بهم النعت » .

السواد ، وأسروا خلقا ، واشتروا أمتعة ، ورجعوا – بعد خمسين ليلة أقاموا بها – إلى بلدهم .

وبعث أبو طاهر سريّة فى البحر نحو أربعين مركبا فوضعوا السيف فى أهل الساحل ، ولم يلقوا أحدا إلا قتلوه – من رجل وامرأة وصبى – فما نجا منهم إلا من لحق بالجبال ، وسبوا النساء ، واجتمع الناس ، فقتلوا منهم – فى الحرب معهم – خلقا كثيرا ، وأسروا جماعة ، ثم تحاملوا عليهم ، وتبادوا بالشهادة ، وجدوا فقتلوا أكثرهم ، وأخذوا جميع من بقى أسرا بحيث لم يفلت منهم أحد ، وحملت الأسرى إلى بغداد مع الرءوس – وهم نحو المائة رجل ومائة رأس – فحبسوا ببغداد .

ثم خلصوا وصاروا إلى أبى طاهر فكانوا يتحدثون بعد خلاصهم إلى أبى طاهر أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون إليهم بما يتقربون به إليهم ، وكان سبب خلاصهم مكاتبة جرت بينهم بالمهادنة على أن يردوا الحجر الأسود ، ويطلق الأسرى ، ولا يعترضوا الحاج ، فجرى الأمر على ذلك .

ودخل القرمطى – فى سنة ثلاث وعشرين – إلى الكوفة والحاج قد خرج فى ذى القعدة ، وعاد الحاج إلى الكوفة ، ولم يقدر على مقاومتهم ، فظفر بمن ظفر منهم ، فلم يكثر القتل ، وأخذ ما وجد .

وبلغ القرمطى أن رجلا من أصحابه قال :

« والله ما ندرى ما عند سيدنا أبى طاهر من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الأرض وغربها ، واتخاذهم ومَنْ وراءهم أعداء ، وما يفوز بأكثر أموالهم إلا الأعراب والشُّذاذ من الناس ، فلو أنه حين ظفر بهم دعاهم إلى أن يؤدى كل رجل منهم دينارا ويطلقهم ويؤمنهم لم يكره ذلك منهم أحد ، وخفّ عليهم وسهل ، وحجَّ الناسُ من كل بلد ، لأنهم ظمأى إلى ذلك جدا ، ولم يبقَ ملكٌ إلا كاتبه وهاداه واحتاج إليه فى حفظ أهل بلده وخاصته ، وجاء فى كل سنة من المال مالا يصير لسلطان مثله من الخراج ، واستولى على الأرض وانقاد له الناس ؛ وإن منع من ذلك سلطان اكتسب المذمة ، وصار عند الناس هو المانع من الحج » .

فاستصوب القرمطى هذا الرأى ، ونادى من وقته فى الناس بالأمان ، وأحضر الخراسانية ،

فوطَّأ أمرهم على أنهم يحجوا ويؤدوا إليه المال فى كل سنة ، ويكونوا آمنين على أنفسهم وأموالهم ، وأخرج أهلُ مصر أيضا عن الحاج ضرائب من مال السلطان ؛ ثم ولى تدبير العراق من لم ير ذلك دناءة ولا منقصة ، فصار لهم على الحاج رسما بالكوفة .

فلما كان سنة خمس وعشرين كبس أبو طاهر الكوفة ، وقبض على شفيع اللؤلؤى - أميرها - بأمانٍ ، فبعثه إلى السلطان [٣٠ ب] يعرفه أنهم صعاليك لا بد لهم من أموال ، فإن أعطاهم مالا لم يفسدوا عليه ، وخدموه فيما يلتمسه ، وإلا فلا يجدوا بدا من أن يأكلوا بأسيافهم ، وبرّ [أبو طاهر] شفيعًا ووصله ، فوصل شفيع إلى السلطان وعرَّفه ، فبعث إليهم رجلا فناظر القرمطى ، وملأ صدره من السلطان وأتباعه ، فزاده انكسارا ، وسار عن البلد ، فابتلاه الله بالجدرى وقتله ؛ فملك التدبير بعده أخوته وابن سنبر .

فلما كان فى سنة تسع وثلاثين أرادوا أن يستميلوا الناس فحملوا الحجر الأسود إلى الكوفة ، ونصبوه فيها على الاسطوانة بالجامع .

وكان قد جاء عن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب - الملقب زين العابدين(١) - : « أن الحجر الأسود يعلق فى مسجد الجامع بالكوفة فى آخر الزمان » .

ثم قدم به سنبر بن الحسن بن سنبر إلى مكة - وأمير مكة معه - فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سفط. كان به(٢) مصونا ، وعلى الحجر ضِبَابُ فِضَّة قد عُملت(٣) عليه ، تأخذه طولا وعرضا ، تضبط. شقوقًا حدثت فيه بعد انقلاعه ؛ وكان قد أحضر له صانع معه جِصّ يشدّ به الحجر ، وحضر جماعة من حَجَبَة البيت ، فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجرَ بيده فى موضعه - ومعه الحَجَبَة - وشدّه الصانع بالجِصّ - بعد وضعه - وقال لما ردّه :

« أخذناه بقدرة الله ، ورددناه بمشيئته » .

---

(١) الملقب بزين العابدين هو علـى بن الحسين ، لامحمد ابنه .
(٢) (ج) : « معه » .
(٣) (ج) : حملت » .

ونظر الناس إليه وقبّلوه والتمسوه[١] ، وطاف سنبر بالبيت .

وكان قلع الحجر من ركن البيت يوم الإثنين لأربع عشرة خلت من ذى القعدة سنة سبع عشرة وثلاثمائة .

وكان ردّه يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذى الحجة – يوم النحر – سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة .

فكانت مدة كينونته عند الجنابى وأصحابه اثنين وعشرين سنة إلا أربعة أيام .

وكان فى سنة (٢ست عشرة وثلاثمائة ٢) قد تحركت القرامطة بسواد الكوفة عند انصراف أبى طاهر القرمطى عن بغداد إلى نحو[٣] الشام ، وتداعوا إلى الاجتماع[٤] فى دار هجرتهم فكثروا ، وكبسوا نواحى الوسط[٥] ، وقتلوا خلقا كثيرا ، وملكوا ما حواه العسكر هناك من سلاح وغيره ، فقوى أمرهم ، وسار بهم عيسى بن موسى والحجازى[٦] – وهما داعيان – وكان الحجازى بالكوفة يبيع[٧] الخبز ، فصحب يزيد النقاش ، واجتمع عليهما غلمان ، وساروا فنهبوا وأخافوا ، والبلد ضعيف لاتصال الفتن وتخريب البورانى لسواده وضعف يد السلطان ، وطالبوا جميع أهل السواد بالرحيل إليهم ، فاجتمعوا نحو العشرة آلاف ، وفرقوا العمال ، ورحلوا إلى الكوفة فدخلوها عنوة ، وهرب واليها ، وولوا على خراجها وعلى حربها ، وأحدثوا فى الأذان ما لم يكن فيه ، فأنفذ السلطان إليهم جيشا فواقعهم فانهزموا ، وقتل منهم مالا يحصى ، وغرق منهم وهرب الباقون ، وحملت الأسرى إلى بغداد فقتلوا وصلبوا ، وحبس عيسى بن موسى مدة ، ثم تخلّص بغفلة السلطان وحدوث الفتن آخر أيام المقتدر ، فأقام ببغداد يدعو الناس ، ووضع كتبا نسبها إلى عبدان الداعى ، نسبه فيها إلى الفلسفة ، وأنه يعلم ما يكون قبل كونه ، فصار له أتباع ، وأفسد فسادا عظيما ، وصار له خلفاء من بعده مدة .

---

(١) (ج) « واقتمسوه » ولا معنى لها .
(٢) هذه الكلمات ساقطة من (ج) .
(٣) هذا اللفظ غير موجود فى (ج) .
(٤) النص فى (ج) : « ووافوا الى دار هجرتهم » .
(٥) كذا فى الأصل ، وفى (ج) : « نواحى واسط »
(٦) (ج) : « الحجارى » .
(٧) الأصل : « يبتاع » والتصحيح عن (ج) .

وأما خراسان فقدم إليها بالدعوة أبو عبد الله الخادم فأول ما ظهرت بنيسابور ، فاستخلف عند موته أبا سعيد الشعرانى[1] ، وصار منهم خلق كثير هناك من الرؤساء وأصحاب السلاح .

[2]وانتشرت فى الرى[2] من رجل يعرف بخلف[3] الحلاج ، وكان يحلج القطن ، فصُرف بها طائفة « الخلفية[4] » ، وهم خلق كثير ، ومال إليهم قوم من الديلم وغيرهم ، وكان منهم أسفار[5] فلما قتل مرداويج أسفار عظمت شوكة القرامطة فى [6]أيامه بالرى وأخذوا[6] يقتلون الناس غيلةً حتى أفنوا خلقا كثيرا .

ثم خرج مرداويج إلى جُرْجان لقتال نصر بن أحمد السامانى ، فنفر[7] عليهم وقتلهم مع صبيانهم ونسائهم حتى لم يبقَ منهم أحد ، وصار بعضهم إلى مُفْلِح – غلام ابن أبي الساج – فاستجاب له ، ودخل فى دعوته[8] .

فلما كان فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وقد استعد الحسن بن عبيد الله بن طُغْج بالرملة لقتال مَنْ يرد عليه من قِبَل جوهر القائد ، فورد [9]عليه الخبر بأن [١٣١ ا] القرامطة تقصده ، ووافت[9] الرملة فهزموا الحسن بن عبيد الله ، ثم جرى بينهم صلح ، وصاهر إليهم فى ذى الحجة منها ، فأقام القرمطى بظاهر الرملة ثلاثين يوما ورحل .

وسار جعفر بن فَلَاح من مصر فهزم الحسن بن عبيد الله بن طُغْج ، وقتل رجاله ، وأخذه أسيرا ، فسار إلى دمشق فنزل بظاهرها ، فمنعه أهلُ البلد وقاتلوه قتالا شديدا ؛ ثم إنه دخلها بعد حروب ، وفرَّ منه جماعة – منهم ظالم بن موهوب العُقَيْلى ، ومحمد بن عصودا – فلحقا بالأحساء إلى القرامطة ، وحثوهم على المسير إلى الشام ، فوقع ذلك منهم بالموافقة ، لأن الإخشيدية

(١و٢) مكان هذا اللفظ فى (ج) بياض .

(٣) (ج) : « بخلق » .

(٤) (ج) : « فعرف بها طاعته بالخلفية » .

(٥) مكان هذا الاسم فى (ج) بياض

(٦) هذه الجملة غير موجودة فى (ج) .

(٧) الأصل : « فيغر » و (ج) «فيعز » ، وما اثبتناه قراءة ترجيحية .

(٨) (ج) : « ودخل القرامطة الشام » .

(٩) هذه الجملة لا وجود لها فى(ج) ، وانما مكانها بياض .

كانت تحمل إليهم[1] فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، فلما صارت عساكر المعز إلى مصر مع جوهر ، وزالت الدولة الاخشيدية انقطع المال عن القرامطة ، فسارت . . . .[2] بعد أن بعثوا عرفاءهم لجمع العرب ، فنزلوا الكوفة وراسلوا السلطان ببغداد ، فأنفذ إليهم خزانة سلاح ، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبى تَغْلِب بن ناصر الدولة بن حمدان ، ورحلوا إلى الرحبة ـ وعليها أبو تَغْلِب ـ فحمل إليهم العلوفة والمال الذى كتبا به لهم .

وجمع جعفر بن فلاح أصحابه واستعدَّ لحربهم ، فتفرَّق الناس عنه إلى مواضعهم ، ولم يفكروا بالموكلين على الطرق ، وكان رئيس القرامطة الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الجَنَّابى ، فبعث إليه أبو تغلب يقول :

« هذا شىء أردتُ أن أسير أنا فيه بنفسى وأنا مقيم فى هذا الموضع إلى أن يرد علىَّ خبرُك ، فإن احتجتَ إلى مسيرى سرتُ إليك » .

ونادى فى عسكره :

« من أراد المسير من الجند الإخشيدية وغيرهم إلى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه ؛ فقد أذنا له فى المسير ، والعسكران واحد » .

فخرج إلى عسكر القرمطى جماعة من عسكر أبى تغلب ، وفيهم كثير من الإخشيدية الذين كانوا بمصر ، صاروا إليه ـ لما دخل جوهر ـ من مصر وفلسطين ؛ وكان سبب هذا الفعل من أبى تغلب أن جعفر بن فلاح كان قد أنفذ إليه من طبرية داعيا يقال له أبو طالب التنوخى ـ من أهل الرملة ـ يقول له : « إنى سائر إليك فنقيم الدعوة » ، فقال له أبو تغلب ـ وكان بالموصل ـ : « هذا ما لا يتم لأنا فى دهليز بغداد ، والعساكر قريبة منا ، ولكن إذا قربت عساكركم من هذه الديار أمكن ما ذكرتم » .

فانصرف من عنده على غير شىء .

وبلغ ذلك القرمطى فسرَّه وزاده قوة ، وسار عن الرَّحْبَة ، فأشار أصحاب جعفر ـ لما قارب

---

(١) الأصل : « عليهم » ، والتصحيح عن (ج) .
(٢) مكان هذه النقط بياض بالنسختين

القرامطة دمشق ـ أن يقاتلهم بطرف البرية ، فخرج إليهم وواقعهم ، فانهزم ، وقُتل لست خلون من ذى القعدة سنة ستين وثلاثمائة .

ونزل القرمطى ظاهر المزّة فجبى مالا ، وسار يريد الرملة ـ وعليها سعادة ابن حيان ـ فالتجأ إلى يافا ، ونزل عليه القرمطى ، وقد اجتمعت إليه عرب الشام وأتباع من الجند ، فناصبها القتال حتى أكل أهلها الميتة ، وهلك أكثرهم جوعا [ثم سار عنها ، وترك على حصارها ظالم العقيلى وأبا الهيجا(١) بن منجا] (٢) ، وأقام القرامطة الدعوة للمطيع لله العباسى فى كل بلد فتحوه ، وسوّدوا أعلامهم ، ورجعوا عما كانوا يمخرقون به ، وأظهروا أنهم كأمراء النواحى الذين من قِبَل الخليفة العباسى .

ونزل على مصر أول ربيع الأول سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، فقاتله جوهر على الخندق وهزمه ، فرحل إلى الأحساء .

وأنفذ جوهر جيشا نحو يافا فملكوها ، ورحل المحاصرون لها إلى دمشق ، ونزلوا بظاهرها ، فاختلف ظالم العقيلى وأبو الهيجا بسبب الخراج ، فكان كل منهما يريد أخذه للنفقة فى رجاله ، وكان أبو الهيجا أثيرا عند القرمطى يولج إليه أموره ، ويستخلفه على تدبيره .

ورجع الحسن بن أحمد القرمطى من الأحساء فنزل الرملة ولقيه أبو الهيجا وظالم ، وبلغه ما جرى بينهما من الاختلاف ، فقبض على ظالم واعتقله مدة ثم خلّى عنه .

وطرح القرمطى مراكب فى البحر ، وشحنها بالمقاتلة ، وسيّرها إلى تِنّيس وغيرها من سواحل

---

(١) ورد أمام هـذا الاسـم فى الهـامش بالنسختين تعريف به ، نصه : « أبو الهيجا » هو عبد الله بن على بن المنجا ، أحد أصحاب أبى على الحسين بن أحمد بن الحسين بن بهرام القرمطى المنعوت بالأعصم، وكان يرجع اليه لرأيه وسياسته ، واستخلفه على دمشق حين رحل الى الأحسـاء بعد انهزامه من أبى محمود ابراهيم بن جعفر الكتامى ، فقصده ظالم بن موهوب العقيـلى من بعلبك بمراسلة ، فاستأمن الى ظالم عـدة من أصحاب أبى الهيجا لمنعه عنهم العطاء وقلة ماله ، فاسره ظالم يوم السبت لعشر خلون من رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وجهـزه أبو محمود هو وابنه فى قفصين الى مصر فحبسا بها » .

(٢) هذه الجملة وردت فى نسخة الأصل بعد لفظى « الخليفة العباسى » أى بعد السـطرين التاليين وهذا مكانها فى نسخة (ج) وهو أنسب للمعنى والسياق .

مصر ، وجمع مَنْ قدر عليه من العرب وغيرهم ، وتأهّب للمسير إلى مصر ، هذا بعد أن كان القوامطة أولا يمخرقون بالمهدى ، ويوهمون أنه صاحب المغرب ، وأن دعوتهم إليه ، ويراسلون الإمام المنصور [٣١ ب] إسماعيل بن محمد القائم بن عبيد الله المهدى ، ويخرجون إلى أكابر أصحابهم أنهم من أصحابه إلى أن افتضح كذبهم بمحاربة القائد جوهر لهم ، وقتله كثيرا منهم ، وكسره القبة التى كانت لهم .

فلما نزل المعز لدين الله القاهرة عند ما قدم من المغرب وقد تيقن أخبار القرامطة كتب إلى الحسن بن أحمد القرمطى كتابا عنوانه :

« من عبد الله ووليّه ، وخيرته وصفيه ، معد أبى تميم المعز لدين الله ، أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجل على أفضل الوصيين إلى الحسن بن أحمد » :

بسم الله الرحمن الرحيم

رسوم النطقاء ، ومذاهب الأئمة والأنبياء ، ومسالك الرسل والأوصياء ، السالف والآنف منا ، صلوات الله علينا وعلى آبائنا ، أولى الأيدى والأبصار ، فى متقدم الدهور والأكوار ، وسالف الأزمان والأعصار ، عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله ، الابتداء بالإعذار ، والانتهاء بالإنذار ، قبل إنفاذ الأقدار ، فى أهل الشقاق والأصار لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسب ما قال الله جلّ وعزّ :

« وما كُنَّا مُعَذِّبينَ حتَّى نَبْعَثَ رَسُولا »(١) .

و « وإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلَا فيها نَذيرٌ »(٢) .

وقوله سبحانه : « قُلْ هَذِه سَبِيلِى أَدْعُو إلى اللهِ عَلَى بَصِيرةٍ أنا وَمَنْ اتَّبَعَنى ، وسُبْحانَ اللهِ وَمَا أنَا مِنَ المُشْرِكين »(٣) .

---

(١) الآية ١٥ ، السورة ١٧ (الاسراء)
(٢) الآية ٢٤ ، السورة ٣٥ (فاطر)
(٣) الآية ١٠٨ ، السورة ١٢ (يوسف) .

« فَإِنْ آمَنوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ به فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فى شِقَاق »(١) .

أما بعد ، أيها الناس فإنا نحمد الله بجميع محامده ، ونمجده بأحسن مماجده ، حمدا دائما أبدا ، ومجدا عاليا سرمدا ، على سبوغ نعمائه ، وحسن بلائه ، ونبتغى إليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة على طاعته ، والتسديد فى نصرته ، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى ، ونستزيد منه إتمام الصلوات ، وإفاضات البركات ، وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين ، وخلفائه التالين ، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتخبين ، الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون .

أيها الناس : « قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا »(٢) ليذكر من يذكر ، وينذر من أبصر واعتبر .

أيها الناس : إن الله جلَّ وعزَّ إذا أراد أمراً قضاه ، وإذا قضاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحا ، وأبرزنا أرواحا ، بالقدرة مالكين ، وبالقدوة قادرين ، حين لاسماء مبنية ، ولا أرض مدحية ، ولا شمس تضىء ، ولا قمر يسرى ، ولا كوكب يجرى ، ولا ليل يجن ، ولا أُفق يكن ، ولا لسان ينطق ، ولا جناح يخفق ، ولا ايل ولا نهار ، ولا فلك دوَّار ، ولا كوكب سيَّار .

فنحن أول الفكرة وآخر العمل ، بقدر مقدور ، وأمر فى القدم مبرور ، فعند تكامل الأمر وصحة العزم ، وإنشاء الله – جلَّ وعزَّ – المنشآت ، وإبداء الأمهات من الهَيُولات ، طبعنا أنوارا وظلما ، وحركة وسكونا .

وكان من حكمه السابق فى علمه ما ترون من فلك دوَّار ، وكوكب سيَّار ، وليل ونهار ، وما فى الآفاق من آثار معجزات ، وأقدار باهرات ، وما فى الأقطار من الآثار ، وما فى النفوس من الأجناس والصور والأنواع ، من كثيف ولطيف ، وموجود ومعدوم ، وظاهر وباطن ، ومحسوس وملموس ، ودانٍ وشاسع ، وهابط وطالع .

---

(١) الآية ١٣٧ ، السورة ٢ (البقرة) .
(٢) الآية ١٠٤ ، السورة ٦ (الانعام) .

كلٌّ ذلك لنا ومن أجلنا ، دلالةً علينا ، وإشارةً إلينا ، يهدى به اللهُ مَنْ كان [له][1] لب سجيح ، ورأى صحيح ، قد سبقت له منا[2] الحسنى ، فدان بالمعنى .

ثم إنه – جلَّ وعلا – أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم ، آدم وحوا أبويْن ذكرا وأُنثى ، سببا لإنشاء البشريَّة ، ودلالة لإظهار القدرة القويَّة ؛ وزاوج بينهما فتوالدا الأَولاد ، وتكاثرت الأَعداد ، ونحن ننتقل فى الأَصلاب الزكيَّة ، والأَرحام الطاهرة المرضية ، كلما ضمنا صُلْبٌ ورَحِمٍ أُظهر منا قدرة وعلم ، وهلم جرًّا إلى آخر الجدِّ الأول ، والأَب الأفضل ، سيد المرسلين ، وإمام النبيين ، أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله فى كل نادٍ ومشهد ، فحسن آلاؤه ، وبان غناؤه ، وأباد المشركين ، وقصم الظالمين ، وأظهر الحق ، واستعمل الصدق ، وظهر بالأَحديَّة ، ودان بالصمدية ؛ فعندها سقطت الأَصنام ، وانعقد الإسلام ، وانتشر الإيمان ، وبطل السحر والقربان ، وهربت الأَوثان ، وأتى [٣٢ ا] بالقرآن ، شاهدا بالحق والبرهان ، فيه خبر ما كانَ وما يكون إلى يوم الوقت المعلوم ، منبئا عن كتبٍ تقدمت ، فى صحف قد تنزلت ، تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة ونورا وسراجا منيرا .

وكل ذلك دلالاتٌ لنا ، ومقدماتٌ بين أيدينا ، وأسبابٌ لإظهار أمرنا ، هدايات وآيات وشهادات ، وسعادات قدسيات ، إلاهيات أزليات ، كائنات منشآت ، مبدئات معيدات ،

فما من ناطق نطق ، ولا نبي بُعث ، ولا وصيٌّ ظهر ، إلا وقد أشار إلينا ، ولوَّح بنا ، ودلَّ علينا فى كتابه وخطابه ، ومنار أعلامه ، ومرموز كلامه ، فيما هو موجود غير معدوم ، وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع الندا ، وشاهد ورأى ، من الملأْ الأَعلى ؛ فمن أغفل منكم أو نسى ، أو ضلَّ أو غوى ، فلينظر فى الكتب الأولى ، والصحف المنزلة ، وليتأمل آى[3] القرآن ، وما فيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم ، فقد أمر الله عز وجلَّ بالسؤال ، فقال :

« فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ »[4] .

---

(١) أضيف مابين الحاصرتين عن (ج) ، وبه يستقيم المعنى .
(٢) هذا اللفظ غير موجود فى (ج) .
(٣) (ج) : « الى »
(٤) الآية ٤٣ ، السورة ١٦ (النحل)

وقال سبحانه وتعالى : « فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُم يَحْذَرُونَ(١) » .

ألا تسمعون قول الله حيث يقول : « وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٢) »

وقوله تقدست أسماؤه : « ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ »(٣) .

وقوله له العزة : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فيه كَبُرَ على المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ »(٤) .

ومثل ذلك فى كتاب الله تعالى جده كثير ، ولولا الإطالة لأتينا على كثير منه

ومما دل به علينا ، وأنبأ به عنا ، ، قوله عز وجل :

« كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فى زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ، يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُها يُضِىءُ وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ على نُورٍ يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ »(٥) .

وقوله فى تفضيل الجد الفاضل والأب الكامل محمد – صلى الله عليه ، وعليه السلام – إعلاما بجليل قدرنا ، وعلو أمرنا :

« وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِى وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ »(٦) .

هذا مع ما أشار ولوّح ، وأبان وأوضح ، فى السرِّ والإعلان ، من كل مَثَلٍ مضروب ، وآية وخبر وإشارة ودلالة ، حيث يقول :

« وتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاس ومَا يَعْقِلُهَا إلاَّ الْعَالِمُونَ »(٧) .

---

(١) الآية ١٢٢ ، السورة ٩ (التوبة)
(٢) الآية ٢٨ ، السورة ٤٣ (الزخرف) .
(٣) الآيه ٣٤ ، السورة ٣ (آل عمران) .
(٤) الآية ١٣ ، السورة ٤٢ (الشورى) .
(٥) الآية ٣٥ ، السورة ٢٤ (النور) .
(٦) الآيه ٨٧ ، السورة ١٥ (الحجر) .
(٧) الآية ٤٣ ، السورة ٢٩ (العنكبوت) .

وقال سبحانه وتعالى :

« إِنَّ فى خَلْقِ السَّموَاتِ والْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْل والنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الْأَلْبَابِ[1] » .

وقوله جل وعز :

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فى الآفَاقِ وفى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ[2] » .

فإن اعتبر معتبر ، وقام وتدبر ما فى الأرض وما فى الأقطار والآثار ، وما فى النفس من الصور المختلفات ، والأعضاء المؤتلفات ، والآيات والعلامات ، والاتفاقات والاختراعات ، والأجناس والأنواع ، وما فى كون الإبداع من الصور البشرية ، والآثار العلوية ، وما يشهد به حروف المعجم ، والحساب المقوّم ، وما جمعته الفرائض والسنن ، وما جمعته السنون من فصل وشهر ويوم ، وتصنيف القرآن من تحزيبه وأسباعه ، ومعانيه وأرباعه ، وموضع الشرائع المتقدمة ، والسنن المحكمة ، وما جمعته كلمة الإخلاص فى تقاطيعها وحروفها وفصولها ، وما فى الأرض من إقليم وجزيرة ، وبَرٍّ وبحر ، وسهل وجبل ، وطول وعرض ، وفوق وتحت ، إلى ما اتفق عليه فى جميع الحروف من أسماء المدبرات السبعة النطقا ، والأوصيا والخلفا ، وما صدرت به الشرائع من فرض وسنة وحدوثة[3] ، وما فى الحساب من أحاد وأفراد ، وأزواج وأعداد ، تثاليثه وترابيعه واثنى عشريته وتسابيعه ، وأبواب العشرات والمئين والألوف ، وكيف تجتمع وتشتمل على ماتجتمع عليه ماتقدم من شاهد عدل وقول صدق ، وحكمة حكيم وترتيب عليم .

فلا إله إلا هو له الأسماءُ الحسنى والأمثال العلى .

« وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوها »[4] .

« وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ »[5] .

---

(١) الآية ١٩٠ ، السورة ٣ (آلعمران) .

(٢) الآية ٥٣ ، السورة ٤١ (فصلت) .

(٣) (ج) : « وحدوسة » .

(٤) الآية ٣٤ ، السورة ١٤ (ابراهيم) .

(٥) الآية ٧٦ ، السورة ١٢ (يوسف) .

« وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ [٣ ب] يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ »[1] .

وليعلم من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، أنا كلمات الله الأزليات ، وأسماؤه التامات ، وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه النيِّرات ، ومصابيحه البينات ، وبدائعه المنشآت ، وآياته الباهرات ، وأقداره النافذات ، لا يخرج منا أمر ، ولا يخلو منا عصر .

وإنا لكما قال الله سبحانه وتعالى : « مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَينَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ »[2] .

فاستشعروا النظر فقد نقر فى الناقور ، وفار التنور ، وأتى النذير بين يدى عذاب شديد ، فمن شاء فلينظر ، ومن شاء فليتدبر ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ، ووقت مذكور ، فلا نرفع قدمًا ولا نضع قدمًا إلا بعلم موضوع ، وحكم مجموع ، وأجل معلوم ، وأمر قد سبق ، وقضاء قد تحقق .

فلما دخلنا وقد قدَّر المرجفون من أهلها أن الرجفة تنالهم ، والصعقة تحلُّ بهم ، تبادروا وتعادوا شاردين ، وجلوا عن الأهل والحريم والأولاد والرسوم ، وإنا لنار الله الموقدة ، التى تطَّلع على الأفئدة ، فلم أكشف لهم خبرا ، ولا قصصت لهم أثرا ، ولكنى أمرتُ بالنداء ، وأذنت بالأمان ، لكل بادٍ وحاضر ، ومنافق ومشاقق ، وعاصٍ ومارق ، ومعاند ومسابق ، ومن أظهر صفحته وأبدى لى سوءته ، فاجتمع الموافق والمخالف ، والباين والمنافق ، فقابلت الولىَّ بالإحسان ، والمسىء بالغفران ، حتى رجع النادُّ والشارد ، وتساوى الفريقان ، واتفق الجمعان ، وانبسط القطوب ، وزال الشحوب ، جريا على العادة بالإحسان ، والصفح والامتنان ، والرأفة والغفران ، فتكاثرت الخيرات ، وانتشرت البركات .

---

(١) الآية ٢٧ ، السورة ٣١ (لقمان) .
(٢) الآية ٧ ، السورة ٥٨ (المجادلة) .

كلُّ ذلك بقدرة ربانية ، وأمرة برهانية ، فأُقمت الحدود ، بالبينة والشهود ، فى العرب والعبيد ، والخاص والعام ، والبادى والحاضر ، بأحكام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وآدابه ، وحقه وصوابه ، فالولى آمن جذل ، والعدو خائف وَجِل .

فأما أنت الغادر الخائن ، الناكث البائن ، عن هدى آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، والموقد لنار الفتنة ، والخارج عن الجماعة والسنة ، فلم أغفل أمرَك ، ولا خفى عنى خبرُك ، ولا استتر دونى أثرك ، وإنك منى لبمنظر ومسمع ، كما قال الله جلَّ وعزَّ :

« إنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى(1) » ، « مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا(2) » .

فعرفنا على أى رأى أصلت ، وأى طريق سلكت : أما كان لك بجدك أبى سعيد أسوة ، وبعمل أبى طاهر قدوة ؟

أما نظرت فى كتبهم وأخبارهم ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم ؟

أكنتَ غائبا عن ديارهم وما كان من آثارهم ؟

ألم تعلم أنهم كانوا عبادا لنا أولى بأس شديد ، وعزم سديد ، وأمر رشيد وفعل حميد ، يفيض إليهم موادنا ، وينشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهروا على الأعمال ، ودان لهم كلُّ أمير ووال ، ولُقبو بالسادة فسادوا ، منحةً منا واسما من أسمائنا ، فَعَلَتْ أسماؤهم ، واستعلت هممهم ، واشتد عزمهم ، فسارت إليهم وفود الآفاق ، وامتدت نحوهم الأحداق ، وخضعت لهيبتهم الأعناق ، وخِيفَ منهم الفساد والعناد ، وأن يكونوا لبنى العباس أضداد ، فعبئت الجيوش ، وسار إليهم كل خميس بالرجال المنتجبة ، والعدد المهذبة ، والعساكر الموكبة ، فلم يلقهم جيش إلا كسروه(3) ، ولا رئيس إلا أسروه ، ولا عسكر إلا كسروه ، وألحاظنا ترمقهم ، ونصرنا يلحقهم ، كما قال الله جلَّ وعزَّ :

« إنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا والَّذِينَ آمَنُوا فى الحَياةِ الدُّنْيا(4) » ، « وإنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ(5) » ، وإن حزبنا لهم المنصورون .

---

(1) الآية ٤٦ ، السورة ٢٠ (طه) .
(2) الآية ٢٨ ، السورة ١٩ (مريم)
(3) في النسختين : « كروه » .
(4) الآية ٥١ ، السورة ٤٠ (غافر)
(5) الآية ١٧٣ ، السورة ٣٧ ، (الصافات)

فلم يزل ذلك دأبهم ، وعين الله ترمقهم ، إلى أن اختار لهم ما اختاره(1) من نقلهم من [٣٣ ا] دار الفناء ، إلى دار البقاء ، ومن نعيم يزول إلى نعيم لايزول ، فعاشوا محمودين ، وانتقلوا مفقودين ، إلى روح وريْحان وجنّاتِ النعيم ، فطوبى لهم وحسن مآب .

ومع هذا فما من جزيرة فى الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حُجَجٌ ودعاة يدعون إلينا ، ويدلون علينا ، ويأخذون بيعتنا ، ويذكرون رجعتنا ، وينشرون عِلْمَنا ، وينذرون بأسنا ، ويبشرون بأيامنا ، بتصاريف اللغاتِ واختلاف الألسن ، وفى كل جزيرة وإقليم رجال منهم يفقهون ، وعنهم يأخذون ، وهو قول الله عزَّ وجلَّ .

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلَّا بلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ(2) » .

وأنت عارف بذلك .

فيأيها الناكث الحانث ما الذى أرداك وصدَّك ؟

أشىء شككتَ فيه ؛ أم أمر استربتَ به ، أم كنت خليا من الحكمة ، وخارجاً عن الكلمة ، فأزالك وصدَّك ، وعن السبيل ردَّك ؟ إن هى إلا فتنة لكم ومتاع إلى حين .

وأيمُ لله لقد كان الأعلى لجدك ، والأرفع لقدرك ، والأفضل لمجدك ، والأوسع لوفدك ، والأنضر لعودك ، والأحسن لعذرك ، الكشف عن أحوال سلفك وإن خفيت عليك ، والقفو لآثارهم وإن عميت لديك ، لتجرى على سننهم ، وتدخل فى زمرهم ، وتبسلك فى مذهبهم ، أخذًا بأمورهم فى وقتهم ، وزيهم(3) فى عصرهم ، فتكون خلفاً قَفَا سَلَفاً بجد وعزم مؤتلف ، وأمر غير مختلف .

لكن غلب الران على قلبك ، والصدى على لبك ، فأزالك عن الهدى ، وأزاغك عن البصيرة والضيا ، وأمالك عن مناهج الأوليا ، وكنت من بعدهم كما قال الله عزَّ وجلَّ :

« فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا »(4) .

---

(1) ج : « اختاره لهم ما اختاروه » .

(2) الآية ٤ ، السورة ١٤ (ابراهيم) .

(3) (ج) « وزمرهم » .

(4) الآية ٥٩ ، السورة ١٩ (مريم) .

ثم لم تقنع فى انتكاسك ، وترديتك فى ارتكاسك ، وارتباكك وانعكاسك ، من خلافك الآباء ومشيك القهقرى ، والنكوص على الأعقاب ، والتسمى بالألقاب ، بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ، وعصيانك مولاك ، وجحدك ولاك ، حتى انقلبت على الأدبار ، وتحملت عظيم الأوزار ، لتقيم[1] دعوةً قد درست ، ودولة قد طُمست ، إنك لمن الغاوين ، وإنك لفى ضلال مبين .

أم تريد أن ترد القرون السالفة ، والأشخاص الغابرة ؟

أما قرأت كتاب السفر ، وما فيه من نص وخبر ؟

فأين يذهبون إن هى إلا حياتكم الدنيا ، تموتون وتظنون أنكم لستم بمبعوثين ، « قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ »[2] .

أما علمتِ أن المطيع آخر ولد العباس ، وآخر المترايس فى الناس ؟

أما تراهم « كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَة ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَة »[3] ؟

خُتم والله الحساب ، وطُوى الكتاب ، وعاد الأمر إلى أهله ، والزمان إلى أوله ، وأزفت الآزفة ، ووقعت الواقعة ، وقُرعت القارعة ، وطلعت الشمس من مغربها ، والآية من وطنها ، وجىء بالملائكة والنبيين وخسر هنالك المبطلون ، هنالك الولاية لله الحق والمُلْك لله الواحد القهار ، فله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر الله من يشاء ، « يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ »[4] .

فقد ضلَّ عملُك ، وخاب سعيُك ، وطلع نَحْسُك ، وغاب سعدُك[5] ، حين آثرت الحياة

---

(١) أمام هذا اللفظ بالهامش فى النسختين: « يعنى أنه يريد اقامة دولة بنى العباس بكونه أخذ منهم السلاح والمال من أبى تغلب بن حمدان، وقدم يقاتل المعز نصرة لهم » .

(٢) الآية ٧ ، السورة ٦٤ (التغابن) .

(٣) الآيتان ٧و ٨ ، السورة ٦٩ (الحاقة)

(٤) الآية ٢ ، السورة ٢٢ (الحج) .

(٥) ج : « سعيك » .

الدنيا على الآخرة ، ومال بك الهوى ، فأزالك عن الهدى ، فإن تكفر أنت ومَنْ فى الأرض جميعا فإن الله هو الغنى الحميد .

ثم لم يكفك ذلك - مع بلائك وطول شقائك - حتى جمعت أرجاسك وأنجاسك ، وحشدت أوباشك وأقلاسك ، وسرت قاصدا إلى دمشق وبها جعفر بن فلاح فى فئة قليلة من كتامة وزويلة ، فقتلته وقتلتهم ، - جرأة على الله وردًا لأمره - ، واستبحتَ أموالهم ، وسبيت نساءهم ، وليس بينك وبينهم تِرَة ولا ثأر ، ولا حقد ولا أضرار ، فِعْل بنى الأصفر والترك والخزر ؛ ثم سرتَ أمامك ولم ترجع ، وأقمت على كفرك ولم تقلع ، حتى أتيتَ الرملة وفيها سعادة بن حيان فى زمرة قليلة وفرقة [٣٣ب] يسيرة ، فاعتزل عنك إلى يافا ، مستكفيا شرك ، وتاركا حربك ، فلم تزل ماكثا على نكثك باكرا وصابحا ، وغاديا ورائحا ، تقعد لهم بكل مقعد ، وتأخذ عليهم بكل مرصد ، وتقعدهم بكل مقصد ، كأنهم تُرْكٌ وروم وخَزَر ، لا يَنْهَاكَ عَن سفك الدماء دينٌ ، ولا يردعك عهد ولا يقين ، قد استوعب من الردى حيزومك ، وانقسم على الشقاء خرطومك .

أما كان لك مذكر ، وفى بعض أفعالك مزدجر ؛ أو ما كان لك فى كتاب الله عز وجل معتبر حيث يقول :

« وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا »(١) ؟

فحسبك بها فعلة تلقاك يوم ورودك وحشرك حين لا مناص ، ولا لك من الله خلاص ، ولم تستقبلها ، وكيف تستقبلها وأنى لك مقيلها ؟

هيهات ، هيهات ، هلك الضالون ، وخسر هنالك المبطلون ، وقلَّ النصير ، وزال العشير ؛ ومن بعد ذلك تماديك فى غيِّك ، ومقامك فى بغيك ، عداوة لله ولأوليائه ، وكفرا لهم وطغيانا ، وعمى وبهتانا .

أتُراك تحسب أنك مخلَّد أم لأمر الله راد ؟

---

(١) الآية ٩٣ ، السورة ٤ (النساء) .

أم « يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ [يَأْبَى] اللهُ [إلَّا أنْ] يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ »(١) .

هيهات لا خلود لمذكور ، ولا مردَّ لمقدور ، ولا طافىء لنور ، ولا مقر لمولود ، ولا قرار لموعود ، لقد خاب منك الأمل ، وحان لك الأجل ، فإن شئتَ فاستعد للتوبة بابا ، وللنُقْلة جلبابا ، فقد بلغ الكتابُ أجله ، والوالى أمله ، وقد رفع الله قبضته عن أفواه حكمته ، ونطق من كان بالأمس صامتا ، ونهض من كان هناك خائفا ، ونحن أشباح فوق الأمر والنفس ، دون العقل وأرواح فى القدس ، نسبة ذاتية ، وآيات لدنية ، نسمع ونرى ، « مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا »(٢) ، « وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ »(٣) .

ونحن معرضون ثلاث خصال – والرابعة أردى لك ، وأشق لبالك ، وما أحسبك تحصل إلا عليها – فاختر :

إما قدْتَ نفسك لجعفر بن فلاح ، وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن حيَّان ، ورد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع إلى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير – وهى أسهل ما يرد عليك – .

وإما أن تردهم أحياء فى صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم – ولا سبيل لك إلى ذلك ولا اقتدار – .

وإما سرتَ ومَنْ معك بغير زمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت ، وأجريك على إحدى ثلاث : إما قصاص ، وإما منا بعد ؟ وإما فدى ، فعسى أن يكون تمحيصا لذنوبك ، وإقالة لعثرتك .

---

(١) الآية ٣٢ ، السورة ٩ (التوبة)
(٢) الآية ٥٢ ، السورة ٤٢ (الشورى)
(٣) الآية ١٩٨ ، السورة ٧ (الأعراف) .

وإن أبيت إلا فعل اللعين : « فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ، وإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إلى يَوْمِ الدِّينِ[1] » .

أخرج منها فما يكون لك أن تتكبر[2] فيها ، وقيل اخسئوا فيها ولا تكلمون ، فما أنت إلا كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، فلا سماء تظللك ولا أرض تقلك ، ولا ليل يجنك ، ولا نهار يكنك ، ولا [علم يسترك][3] ، ولا فئة تنصرك ؛ قد تقطعت بكم الأسباب ، وأعجزكم الذهاب ، فأنتم كما قال الله عز وجل : « مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ[4] » .

فلا ملجأ لكم من الله يومئذ ولا منجى منه ؛ وجنود الله فى طلبك قافية ، لا تزال ذو أحقاد ، وثوار أهجاد ، ورجال أنجاد ، فلا تجد فى السماء مصعدا ، ولا فى الأرض مقعدا ، ولا فى البر ولا فى البحر منهجا ، ولا فى الجبال مسلكاً ، ولا إلى الهواء سلما ، ولا إلى مخلوق ملتجا .

حينئذ يفارقك أصحابك ، ويتخلى عنك أحبابك ، ويخذلك أترابك ، فتبقى وحيدًا فريدًا ، وخائفًا طريدًا ، وهائماً شريداً ، قد ألجمك العرق ، وكظك القلق ، وأسلمتك ذنوبك ، وازدراك خزيك ، « كَلَّا لَا وَزَرَ ، إِلَى رَبِّكَ[5] يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ[6] » ، « هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ »[7] ، « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ »[8] .

واعلم أنا لسنا بمهليك ولا مهمليك إلا ريثما يرد [١٣٤] كتابك ، ونقف على فحوى

---

(١) الآيتان ٣٤و ٣٥ ، السورة ١٥ (الحجر) .
(٢) ج : « تنكب »
(٣) أضيف مابين الحاصرتين عن (ج)
(٤) الآية ١٤٣ ، السورة ٤ (النساء)
(٥) بهذا اللفظ تنتهى نسخة (ج) ، وكل ماأتى بعد ذلك تنفرد به نسخة الأصل وهى نسخة وحيدة لا ثانى لها فى العالم - فيما نعلم حتى الآن .
(٦) الآيتان ١٠ و ١١ ، السورة ٧٥ (القيامة) .
(٧) الآيتـان ٣٤ و ٣٥ ، السورة ٧٧ (المرسلات)
(٨) الآيتـان ٤٠ ـ ٤٢ ، السورة ٨٠ (عبس) .

خطابك ، فانظر لنفسك يا شقى ليومك ومعادك قبل انغلاق باب التوبة ، وحلول وقت النوبة ، حينئذ لا ينفع نفساً إيمانُها ، لم تكن آمنتْ من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً .

وإن كنتَ على ثقة من أمرك ، ومَهَلٍ فى أمر عصرك وعمرك ، فاستقر بمركزك ، واربع على ضلعك ، فلينالُنَّك ما نال مَنْ كان قبلك من عادٍ وثمود ، « وأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ، كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ »[1] ، فلنأتينكم بجنودٍ لا قبل لكم بها ولنخرجنكم منها أذلةً وأنتم صاغرون بأولى بأس شديد ، وعزم سديد ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، بقلوب نقية ، وأرواح تقية ، ونفوس أبية ، يقدمهم النصر ، ويشملهم الظفر ، تمدهم ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ،ويفعلون ما يؤمرون .

فما أنت وقومك إلا كمَنَاخِ نَعَم ، أو كمراح غَنَم ؛ فإما نُرينك الذى وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون ، وأنت فى القفص مصفودا ، ونتوفنيك فإلينا مرجعهم فعندها تخسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ، « فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ، لاَ يَصْلاَهَا إِلَّا الأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى[2] » ، « كأنهم يوم يَرَوْنَ ما يُوعدُونَ لم يَلبثوا إلاساعةً من نهارٍ ، بلاغٌ فهل يُهْلَكُ إلا القومُ الفاسقون » .

فليتدبر من كان ذا تدبر ، وليتفكر من كان ذا تفكر ، وليحذر يوم القيامة من الحسرة والندامة ، « أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يٰحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فى جَنبِ اللهِ[3] » ، ويا حسرتنا على ما فرطنا ، ويا ليتنا نُرَدُّ فنعمل غير الذى كنا نعمل ، هيهات غلبت عليكم شقاوتكم وكنتم قوماً بوراً .

والسلام على من اتبع الهدى ، وسلم من عواقب الردى ، وانتمى إلى الملأ الأعلى ، وحسبنا الله وكفى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير .

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا النبى [الأمى] والطيبين من عترته ، وسلم تسليماً .

فأجاب [الحسن بن الأعصم] بما نصه :

« من الحسن بن أحمد القرمطى الأعصم :

---

(1) الآية ١٤ ، السورة ٥٠ (ق) .

(2) الآيات ١٤ ـ ١٦ ، السورة ٩٢ (الليل)

(3) الآية ٥٦ ، السورة ٣٩ (الزمر) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل إلينا كتابك الذى كثر تفصيله ، وقلّ تحصيله ، ونحن سائرون على إثره ، والسلام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل »[1] .

وسار الحسن بن أحمد القرمطى بعد ذلك إلى مصر ، فنزل بعسكره بلبيس ، وبعث إلى الصعيد بعبد الله بن عبيد الله أخى الشريف مسلم ، وانبثت سراياه فى أرض مصر ، فتأهب المعزّ وعرض عساكره فى ثالث رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وأمر بتفرقة السلاح على الرجال ، ووسّع عليهم فى الأرزاق ، وسيّر معهم الأشراف والعرب .

وسيّر معهم المعزّ ابنَه الأمير عبد الله ، فسار بمظلته وبين يديه الرجال والسلاح والكراع والبنود وصناديق الأموال والخلع ، وسيّر معه أولادَه وجميعَ أهله وجمعًا من جند المصريين خلا الشريف مسلم ، فإنه أعفاه من ذلك .

وانبسطت سريةُ القرمطى فى نواحى أسفل الأرض[2] ، فأنفذ المعز عبده ريّان الصقلبى فى أربعة آلاف ، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها وقتل وأسر .

ولثمانٍ خلوْن منه قدمت سَريةُ القرامطة إلى الخَنْدَق ، فبرز إليهم المغاربة فهزموهم ، ثم كرّوا على المغاربة فقتلوا منهم جماعةً وأسروا ؛ وفر إليهم علىّ بن محمد الخازن فالتحق بالقرامطة .

وورد الخبر بأن عبد الله بن عبيد الله أخا مسلم أوغل فى الصعيد ، وقتل ، واستخرج الأموال ، وأسرف فى قتل المغاربة وأسرهم ، ثم كر راجعًا إلى خميم .

ولست عشرة خلت منه جمع المعزّ أولاد الإخشيدية وغيرهم من الجند واعتقلهم .

وفى سلخه طيف بتسعة من القرامطة على الإبل بالبرانس ومعهم ثلاث رؤوس ؟

---

(1) انظر كذلك نص هذا الرد فى : (على بن ظافر الازدى : الدول المنقطعة ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، ص ٤٩ أ) .

(2) أى الوجه البحرى .

وفيه سار عسكر المعز مع ابنه عبد الله فنزل جُبَّ عُمَيْرة ، ونزلت عسكر القرمطى نصفين : نصف مع النعمان أخى الحسن بن أحمد الأعصم مواجهة لعبد الله بن المعز ، ونصف مع الحسن بسطح الجب .

فبعث عبدالله العساكر ، فأحاطت بالحسن بن أحمد ، وعسكر وزحف إلى النعمان فقاتله فانهزم ، وقتل من أصحابه ، وواقع [٣٤ ب] الآخرون الحسن حتى كاد أن يؤخذ ، فإنهم أحاطوا به ، وصار فى وسطهم ؛ فاغتنم فرجة مضى منها على وجهه ؛ ونُهب سوادُه وأُخذت قبتُه[1] ، وأسر رجاله ، وأُخذ من عسكره وعسكر أخيه خلق كثير ، وأُخذ جماعة ممن كان مع المصريين .

ووصل الكتاب مع الطائر إلى عبدالله بن عبيد الله أخى مسلم بهزيمة القرامطة - وهو بالصعيد - ، فعدّى إلى الجانب الشرقى لينقلب إلى الشام ، فبلغه مسير عساكر المعز فعاد إلى الجانب الغربى .

---

(١) ورد فى ورقة منفصلة بين الصفحتين شرح للقبة هذانصه : « فى ورقة ملصوقة بهذا المحل بخطة مامقاله » :

كان من محاريق القرامطة القبة ، وهى أن أبا طاهر بن أبى سعيد الجنابى كانت عادته فى الحرب أن يفرد طائفة من عسكره - فرسانا ورجالة - عن القتال ، يقفون معه ولا يقاتل .. ولا يقاتلون ، فاذا كل المقاتلة عن القتال حمل هو بنفسه فى الطائفة المستريحة التى لم تحضر القتال ، فقاتل وقد كلوا منهزمين عنه ، فلما مات ضعفت هيبة القرامطة بعده عن .. رجالهم ، وترتيب وقوفهم - كما ذكرنا - ، فرجعوا الى المحرقة ، واقاموا قبة كالعمارية على جمل وقالوا: « ان النصر ينزل من هذه القبة فى وقت معلوم » ، وأخذوا من حب الكحل ومن اللؤلؤ الكبار وجعلوه فى صرة مع فحمة ومدخنة بداخل القبة ، واذا أرادوا الحمل على عسكر من يحاربوه صعد رجل منهم الى القبة ، وقدح النار فى المجمرة ، وأخبر حب الكحل ، وأرى القواد والناس بياضه (كذا) من بعيد وهم لا يعرفونه ، ثم يطرحه على النور ، فيفرقع فرقعة شديدة ، ويبعد من غير دخان ، فيظن القوم ذلك شيئا ، ويحملون علىَ أعدائهم ومعهم القبة ، ولا .. منها شىء ، ولا يوقد ذلك الا عندما يقول صاحب العسكر : « قد نزل النصر » وذلك أنه يقف مع القبة قطعة من الجيش مستريحة لا تقاتل ، وهو مستخف معهم ، وأكثر القوم يقاتلون وهم بالقبة من وراء المقاتلة ، فمن انهزم من مقاتلتهم وحل دمه وقتل فاذا أحس بأنهم قد كلوا أمر بعمل ماقلنا فى القبة ، وحمل بها فى الطائفة المستريحة فهزم من عساه يكون ، وما زالت محرقتهم هذه يموهون بها الى ان كسرت هذه القبة فى الرملة ، ثم أخذها عبدالله بن المعز خارج القاهرة ، فقلت عند ذلك مهابة القرامطة بما ذهب من قيمتهم ، وبهذا قدروا على قتل جعفر بن فلاح ، وانهم كانوا لايسيرون بالقبة الا كمن يسير الى أمر ممهد ، فيقولون : نزل النصر ، وتشتد قلوبهم وتقوى ، فلما سارت القبة من غير معارضة حتى يكون الظفر لهم » .

وورد كتاب الطائر إلى المعز من الأمير عبد الله ابنه بأنَّ عبد الله أخا مسلم قد أُخذ ، فأرسل المعز إلى أخيه أبي جعفر مسلم يخبره ، فخلع على البشير .

وكانت فى البرية سرية للمعز قد أخذوا الطريق على عبد الله أخى مسلم ، فوقع فى أيديهم فى الليل رجلٌ بدوى ، فقال : « أنا عبد الله أخو مسلم » فجاء إلى الأمير عبد الله ، فكتب إلى الطائر يأخذ عبد الله ، فلما جئ بالبدوى من الغد إلى الأمير عبد الله وهو فى معسكره – وكان فى مجلسه عبد الله بن الشويخ – فقال للأمير عبد الله :

« ما هذا عمى عبد الله » .

فبطل القول .

وكان خبر هذا البدوى أنه كان مع عبد الله أخى مسلم بالصعيد ، وعبر معه يريد الشام ، فأراد أن يسقى دوابه ، فقال له البدوى :

« ما نأمن أن يكون على الماء طلب ، فدعنى أتقدمك ، فإن لم أجد أحداً جئتك ، وإن أبطأت عليك فاعلم أنى أخذت » .

فلما وافى البدوى البئر أُخذ فقال لهم : « أنا عبد الله أخو مسلم » ليشغلهم عن طلبه ، فلما أبطأ البدوى على عبد الله علم أن الطلب قد أخذوه ، فكرَّ راجعاً وعاد إلى الجانب الغربى ، وركب البحر إلى عينونا ، ومضى إلى الحجاز .

وكان هاروق على عسكر للمعز ، فرأى أصحابه عبد الله ، فأفلت منهم على فرس دهماء عربية بعد ما حط قبته وقطعها بسيفه ، فظفر هاروق بنوقه ، ووصل عبد الله إلى المدينة النبوية ، وجلس يتحدث فى المسجد ، فقيل له :

« إن الكتب قد سبقتك ، وبُذل فيك مال عظيم » .

فنهض لوقته ، وتوجه إلى الأحساء ، فاستنهض القرامطة ، فلم يكن فيهم نهضة ، فوبخهم لما رأى من عجزهم ، وقال :

« أرونى ما عندكم من القوة التى تقاومون بها صاحب مصر » .

فأوقفوه على ما عندهم من المال والسلاح والكراع ، فاستقلَّه وقال :

« بهذا تقاومون صاحب مصر والشامات والمغرب ؟ » .

وانصرف عنهم إلى العراق ، فأتبعوه برجل يقال إنه من بنى سنبر ، فسمَّه فى لبن بموضع يقال له النصيرية – على ميلين من البصرة – فقام مائتى مجلس فى ليلة ومات بموضعه ، فغُسِّل وكُفن وأدخل البصرة ، فصلى عليه ودفن بها إلى أن جاء حسن بن طاهر بن أحمد فحمله إلى المدينة .

وورد الخبر بذلك إلى المعز ، فأخبر الناس بموته وموت المطيع ، فإنَّ ابنه سمَّه أيضا ، كما سمت القرامطة عبد الله أخا مسلم .

وأما أخبار القرامطة فى كتب المؤرخين من المشارقة المتعصبين على الدولة الفاطمية أن سبب انهزام الحسن بن أحمد القرمطى من عساكر المعز أن العرب لما أنكت بمسير سراياها بأرض مصر رأى المعز أن يفل عساكر القرامطة وجموعهم بمخادعة حسّان[1] بن الجراح الطائى – أمير العرب ببلاد الشام – ، وكان قدم مع القرمطى فى جمع عظيم قوى به عسكر القرمطى ؛ فبعث المعز إلى ابن الجراح وبذل له مائة ألف دينار على أن يفل عسكر القرمطى ، فأجاب إلى ذلك ، وأن المعز استكثر المال ، فعمل دنانير من نحاس وطلاها بالذهب ، وجعلها فى أكياس ، ووضع على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب ليغطى ما تحتها ، وشُدت الأكياس وحملت إلى ثقة من ثقات ابن الجراح بعد ما كانوا استوثقوا منه وعاهدوه أنه لا يغدر بهم ، فلما وصل إليه المال تقدَّم إلى كبراء أصحابه بأن يتبعوه إذا تواقف العسكران وقامت الحرب ، فلما اشتد القتال ولى ابن الخراح منهزما واتبعه أصحابه – وكان فى جمع كبير –

فلما رآه القرمطى – وقد انهزم تحيَّر ، فكان جهده أن قاتل بمن معه حتى تخلص ،

(١) ورد فى الهامش بالأصل تعريف بهذا الرجل ، نصه :
« حسان بن على بن مفرج بن دغفل بن حرام بن شبيب بن مسعود بن سعـــيد بن ··· بن ··· بن ··· بن علقى بن حوط بن عمـرو بن خالد بن معدان بن ··· أفلت بن سلسلة بن عمرو بن سلسلة بن غانم بن ثور بن معن بن ··· بن عنين بن سلامان بن ··· بن عمرو بن الغوث بن طى .

وكانوا قد أحاطوا به من كل جانب ، فخشى على نفسه وانهزم ، واتبعوه ودخلوا عسكره ، فظفروا منه بنحو من (ص ٣٥ ا) ألف وخمسمائة رجل ، فأخذوهم أسرى ، وانتهبوا العسكر .

ولما كان لخمس بقين من شعبان أنفذ المعز أبا محمود إبراهيم بن جعفر إلى الشام خلف القرمطى فى عسكرٍ يقال مبلغه عشرون ألفا ، فظفر فى طريقه بجماعة من أصحاب القرمطى ، فبعث بهم إلى مصر .

وسار الحسن بن أحمد القرمطى فنزل أذرعات ، وأنفذ أبا الهيجا فى طائفة إلى دمشق .

وبعث المعز إلى ظالم بن موهوب العُقَيْلى(١) لما بلغه ما وقع بينه وبين القرمطى ، فاستماله ليكون عوناً على القرمطى ، فسار يريد بعلبك ، فوافاه الخبر بهزيمة القرمطى ونزول أبى الهيجا دمشق ، فسار القرمطى ودخل البرية يريد بلده وفى نيته العود .

وكان للحسن بن أحمد القرمطى هذا شعر ، فمنه فى أصحاب المعز لدين الله :

زعمتْ رجالُ الغَرْبِ أنِّىَ هِبْتُها   فدمى إذًا ما بينهم مطلولُ
يا مصرُ إن لم أسْقِ أرضَك من دمٍ   يروى ثراكِ ، فلا سقاك النيلُ

ولما كان فى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ورد إسحق وجعفر الهَجَريان من القرامطة فملكا الكوفة ، وخطبا لشرف الدولة ، فانزعج الناس لذلك لما فى النفوس من هيبتهم وبأسهم ، وكان من الهيبة ما أنّ عضد الدولة بن بويه وبختيار أقطعاهم الكثير ، وكان لهم ببغداد نائب يعرف بأبى بكر بن ساهويه يتحكّم تحكم الوزراء ، فقبض عليه صمصامُ الدولة بن عضد الدولة ، فلما ورد القرامطة الكوفة كتب إليهما صمصام الدولة يتلطفهما ويسألهما عن سبب حركتهما ،

(١) توجد بهامش الأصل أمام هذا اللفظ اضافة نصها :
« بخطه : فبعث عضد الدولة فناخسرو الديلمى من العراق عسكرا الى الأحساء ، وبها يومئذ أبويعقوب بن أبى سعيد الجنابى ، عم الحسن بن أحمد الأعصم ، ففر أبويعقوب ، وأخذ العسكر ماكان فى الأحساء ، فقدم الاعصم منهزما من الشام فيمن بقى معه ، فانضم اليه عمه ، وسار وأوقع بالعسكر ، واستباحه قتلا ونهبا ، فقويت نفسه ، وكاتب العرب فأتوه ، وبعث رسولا الى المعز يطلب الموادعة » .

فذكرا أنّ قبض نائبهم هو السبب فى قصدهم البلاد ، وبثّا أصحابهما فجبوا المال ، فأرسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب ، فعبروا الفرات إليه وقاتلوه وأسروا ، فانجلت الوقائع بينهم وبين العساكر عن هزيمة القرامطة ، وقتل مقدمتهم فى جماعة ، وأسر عدة ، ونهب سوادهم ، فرحل من بقى منهم من الكوفة ، وتبعهم العساكر إلى القادسية فلم يدركوهم ، وزال من حينئذ بأسهم .

وفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة جمع شخص يُعرف بالأصفر من بنى المنفق جمعا كثيرا [وكان] بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مقدم القرامطة ، وانهزم أصحابه وقد قتل منهم وأسر كثير ، فسار الأصفر إلى الأحساء وقد تحصّن منه القرامطة بها ، فعدّى إلى القطيف وأخذ ما كان فيها من مال وعبيد ومواشي ، وسار بها إلى البصرة[1] . . . . . .

(١) يوجد بهامش الأصل أمام هذا اللفظ : « بياض نحو نصف صفحة » مما يدل على ان المؤلف كان يريد ان يضيف هنا معلومات أخرى تملأ نصف صفحة .

ولنرجع إلى بقية أخبار المعز لدين الله أبي تميم معد الفاطمي باني القاهرة فنقول :

لما انهزم الحسن بن أحمد القرمطي خرج في شعبان من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة الأشراف والقاضي أبو طاهر ، والفقهاء ، والشهود ، ووجوه التجار ، وكثير من الرعيَّة إلى المعسكر لتهنئة الأمير عبد الله بن المعز بالفتح ، وكان معسكره بظاهر مشتول ، فأكرمهم وأضافهم ، وانصرفوا من الغد .

وللنصف من شعبان صرف المعزُّ الحسنَ بن عبد الله عن الأحباس بمحمد بن أبي طاهر القاضي ، ومحمد بن إقْريطش ضمانا بألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم في كل سنة ، تُدفع إلى المستحقين حقوقهم ، ويُحمل الباقي إلى بيت المال .

وطيف بأربين رأساً جيء بها من الصعيد من أصحاب أخي مسلم .

وفي أول شهر رمضان دخل الأمير عبد الله بعساكره إلى القاهرة – بعد فراغه من قتال القرامطة – بالأسارى والرؤوس – وهو بمظلته – فجلس له أبوه المعزُّ في القبة على باب قصره لينظره ، فلما عاين الأميرُ عبد الله مجلس أبيه المعز ترجل وقبّل الأرض ، ونزل أهلُ العسكر كلهم بنزوله ، ومشى إلى القصر والناس معه مشاة .

وورد الخبر بدخول أبي محمود إلى الرملة بغير قتال ، وأنه استأمن إليه جماعة من عسكر القرامطة .

وفيه قبض المعز على جماعة من السعاة والعيَّارين الذين يؤذون الناس وسجنهم .

ووافى رسول ملك (٣٥ ب) الروم برسالة ، فاجتمع الناس للنظر إليه ، وجلس له المعز على السرير الذهب ، فدخل إليه ، وقبل الأرض مرارًا ، وأذن له بالجلوس على وسادة ، وكان عليُّ بن الحسين – قاضي أَذَنة – حاضرًا فقال :

« يا أمير المؤمنين صلى الله عليك ، هذا – وأشار إلى الرسول – آفة على الإسلام ، والمؤذى للمسلمين والأسارى » .

فنظر إليه المعز منكرًا عليه وأخرج ؛ وتكلم الرسول فى الهدنة ، وأخذ المعز كتابه ، وأنزل فى دار .

وفيه أطلق المعز طنجمية (؟) ، وهم عشرة لكل واحد ثمانمائة رباعى ذهبًا ، وزنها مائتى مثقال .

ووردت الأخبار بأن القرمطى فرّ على وجهه ، وتمزقت عساكره ، فلم يفلحوا إلى اليوم .

وطيف بأسارى من القرامطة على الإبل بالبرانس ، وعدّتهم ألف وثلاثمائة ، مقدمهم مفلح المنجمى ببرنس كبير على جمل بثوب مشهر مكتوب على ظهره اسمه وما عمل ، وخلفه جماعة من وجوه القرامطة ، وبين أيديهم الرؤوس على الحراب وعدتها آلاف ، وكان يومًا عظيماً واجتماعًا كثيرًا ؛ فلما فرغوا من التطواف أعتقلوا بالقاهرة .

وفيه خرج المعز على فرس ، وقد اجتمع الناس من الأشراف والقواد والعمال والكتاب والمغاربة ، فوقفوا بين يديه ، فقال لهم :

« قد أنعم الله - عز وجل - وتفضّل وخوّل ، ومكّن ، ونريد الحجّ وزيارة قبر جدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والجهاد ، فايش يقصر عن هذا ؟ إن قلتُ ليس عندى مال ، إنى لكاذب ؛ وإن قلت ليس عندى كراع وسلاح ، إنى لكاذب ؛ وإن قلتُ ليس عندى رجال ، إنى لكاذب ؛ اللهم أعنى بنية أقوى من نيتى » .

وفيه خرج الأمر بقتل الأسارى الذين فى الاعتقال ، فقتلوا عن آخرهم ، وحُفرت لهم أخاديد ودفنوا ، فلما بلغ المعز ذلك قال :

« والله ما أمرت بقتلهم ، ولقد أمرت بإطلاقهم ، ويُدفع لكل منهم ثلاثة دنانير » .
واغتمّ لذلك وتصدّق وأعتق .

وورد الخبر بقتل على بن أحمد العقيقى من الأشراف ، وابنه ذا من يح (كذا) الحسينى وأن البادية قتلهم بالصعيد ، وكانوا من أصحاب أخى مسلم .

وفيه قبض أبو إسماعيل الرّسّى على ابنه على بن إبراهيم ، وأخبر المعز ، فقال له المعز : « يكون عندك محتفظا به » ، وكان أيضا من أصحاب أخى مسلم الذين ظاهروا مع القرمطى .

وبعث أبو محمود بعمال الشام ، فجاسوا فى بستان الإخشيد بالقاهرة .

وفى يوم عيد الفطر ركب المعز وصلى بالناس على رسمه وخطب .

وفيه ورد الخبر بدخول أبى محمود إبراهيم بن جعفر إلى دمشق ، وتمكُّن سلطانه بها وقوته ، وأنه قبض على جماعة أبى الهيجاء القرمطى وابنه ، واستأمن إليه جماعة من الإخشيدية والكافورية ، وأخذ محمد بن أحمد بن سهل النابلسى ، وسيَّره مع الجماعة إلى المعز .

وكان من خبر أبى محمود إبراهيم بن جعفر أنه سار من الرملة ، ونزل على أذرعات ، وقد سار ظالم بن موهوب العُقَيْلى نحو دمشق بمراسلة أبى محمود ليتفقا على أبى الهيجاء القرمطى ، وكان أبو الهيجاء بن منجا القرمطى بدمشق فى نحو الألفى رجل ، وقد طلب منه الجندُ مالا ، فقال : « ما معى مال » ، ووافى ظالم بن موهوب العقيلى عقبة دمر ، فخرج إليه أبو الهيجاء وابنه بمن معه ، ففرَّ عدةٌ من الجند ، ولحقوا بظالم مستأمنين إليه ، فقوى بهم ، وسار بهم فأحاط بأبى الهيجاء ، فلم يقدر على الفرار ، فأخذه وابنَه ، بعد أن وقعت فيه ضربة ، وانقلب العسكر كله مع ظالم ، فملك دمشق لعشرٍ خلوْن من شهر رمضان سنة ثلاث وستين ، فحبس أبا الهيجاء وابنه ، وقبض على جماعة من أصحابه ، وأخذ أموالهم .

ثم إنه طلب شيخاً من أهل الرملة يقال له أبو بكر محمد بن أحمد النابلسى - كان يرى قتال المغاربة وبغضهم ويرى أن ذلك واجب - ويقول : « لو أن معى عشرة أسهم لرميتُ تسعةً فى المغاربة وواحداً فى الرومَ » .

وكان الحسن بن أحمد القرمطى لما انهزم عن مصر ، سار أبو بكر النابلسى إلى دمشق ، فأخذه ظالم بن موهوب وحبسه ، ونزل أبو محمود على دمشق لثمانٍ بقين من رمضان ، فتلقاه ظالم ، فأنس به أبو محمود ، فأخرج إليه أبا الهيجاء بن منجا القرمطى وابنه وأبا بكر بن النابلسى ، فعمل لكل واحد منهم (١٣٦ أ) قفصا من خشب ، وحملهم إلى مصر ، فدخلوا إلى القاهرة فى شوال ، فطيف بهم على الإبل بالبرانس والقيود ، وابن النابلسى ببرنس على جمل وهو مقيد ، والناس يسبونه ويشتمونه ويجرون برجله من فوق الجمل .

وكان معهم بضعٌ وعشرون رجلا من القرامطة على الإبل ، فلما فرغوا من التطواف رُدوا إلى القصر ، فعُدل بأبي الهيجا وابنه وبقية القرامطة إلى الاعتقال ، وسيق ابن النابلسى إلى المنظر ليسلخ ، فلما علم بذلك رمى بنفسه على حجارة ليموت ، فرُدَّ على الجمل ، فعاد ورمى نفسه ثانيا ، فُردَّ وشُدَّ وأُسرع به إلى المنظر ، فسُلخ وحُشى جلده تبنا ، ونصبت جثته وجلده على الخشب عند المنظر .

وأقام أبو محمود بدمشق وهى مضطربة قد كثر فيها الغوغاءُ وحُمَّال السلاح ، وعظم النهب فى القرى ، وأُخذت القوافل ، فلم يقدر أبو محمود على ضبط أصحابه لقلة ماله ، فلم يكونوا يفكرون فيه ولا يرجعون عن شيء ينهاهم عنه ، وأخذوا فى النهب ، وظالم بن موهوب يأخذ أموال السلطان من البلد ولا يدفع إلى أبى محمود شيئاً منها ، ويحتج أنه أخذ البلد من أبى الهيجاء وسار إليه بمكاتبة المعزِّ له .

هذا وكلٌّ من الفريقين يخاف الآخر ، وقد علم ظالم أن أهل دمشق تكره المغاربة ، فكان يدارى الأمر ، وكثر قطع المغاربة للطريق ، فامتنع الناس من الذهاب والمجىء ، وهرب أهل القرى إلى المدينة ، وأوحش ظاهر البلد ، فوقع بين المغاربة وبين أهل البلد الحرب [أياما] كثيرة ، قام فيها ظالم مع أهل البلد وقاتل المغاربة ، فانهزم وسار إلى بعلبك ، ووقع الحريق فى البلد ، واشتدَّ القتالُ ، فخرج وجوه أهل البلد إلى أبى محمود ولطفوا به ، فقال لهم :

« ما نزلت لقتالكم ، وإنما نزلت لأرد هؤلاء الكلاب عنكم » – يعنى أصحابه – .

ففرح الناس واستبشروا وجاءوا إلى خيمته ، واختلطت الرعية بأصحابه ، وزال عنهم الخوف ، ودخل المغاربة فيما يحتاجون إليه ، فولى أبو محمود الشرطة لرجلين : أحدهما مغربى ، والآخر من الإخشيدية ، فدخلا فى جمع عظيم إلى المدينة بالزمر ، فجلسوا فى الشرطة ، وكان يطوف لهم طَوْفٌ فى الليل ، ومع ذلك فلم ينكسر حُمَّال السلاح ممن يطلب الفتنة ، فرهب أبو محمود على مشايخ البلد وتهددهم ، فثار أهل الشر من الدماشقة ، ورأس الشُطَّار فيهم ابن الماورد بسبب منازعة أهل البلد مع مغربى بسبب صبى ، فأراد المغربى أخذه ، فرفع البلدى السيفَ وقتل المغربى فى السوق ، فعادت الفتنة ، وشهروا السلاح ، فاضطرب البلد ، وغلقت

الأسواق ، وثار العسكر من جهة المقتول ، وصاح الناس فى البلد بالنفير ، وكَبَّروا على الأسطحة ، وخرج ابن الماورد فى جماعة ، فاشتدَّ القتال بين الفريقَيْن ، وألقى المغاربة النار فى الدور ، فخرج وجوه البلد ومشايخهم إلى أبى محمود ، وما زالوا به حتى بعث إلى العسكر — وقد كادوا يغلبون أهل البلد — فكفَّهم عن القتال ؛ وكان ذلك فى آخر ذى الحجة ، فسكن الأمر ، وخرج الناس إلى أبى محمود ، ودخل صاحب الشرطة المغربى ، إلا أن أهل الغوطة كانوا قد أووا إلى البلد خوفاً من النهب ، وكان فيهم دُعَّار ، وفى المدينة قوم من أهل الشر ، فاجتمعوا يأخذون المستضعفين ، ويجبون مستغلات الأسواق ، ويكبسون المواضع وينتهبونها ، فحسنت أحوالهم ، وكانوا يكرهون تمكن السلطان ، فهلك لذلك كثير من الناس .

ومَرَّ صاحب الشرطة فى الليل — وهو يطوف البلد — برجل معه سيف ، فأخذه وقتله ، فأصبح أهل الشر وقد خشوا من تنديد (؟) السلطان لهم ، فثاروا بالسلاح إلى صاحب الشُّرْطَة ، ففرَّ منهم هو وأصحابه إلى معسكرهم ، وصعد العامة إلى المآذن ، فصيحوا :

« النفير إلى الجامع » .

فثار الناس بالسلاح ، وركب عسكر أبى محمود وطرحوا النار فيما بقى ، واشتد القتال ، وكثر القتل والحريق ، وعظم الخوف على البلد ، وعلا الضجيج ، وذلك لثلاث خلون من المحرم سنة أربع وستين .

فبات الناس على ذلك ، وأصبحوا وقد اشتدت الحرب وقويت الدماشقة ونشأ فيهم من أهل الشر غلام يقال له ابن شرارة (٣٦ ب) وقد ترأَّس ، وآخر يقال له ابن بوشرات وابن المغنية ، وقُسِّم لكل واحد منهم حزب بأعلام وأبواق ، فأظهرت المغاربة قوتها وبذلوا سيوفهم فى كل من قدروا عليه من الرعية ممن وجدوه بظاهر البلد .

واستمر القتال أكثر المحرم ، فخرج قوم المستورين إلى أبى محمود وما زالوا به حتى أجابهم إلى الصلح ، وصرف صاحبىْ شرطته ، وولى أبا الثريا — من بانياس — أميرا كان على الأكراد ، فعبر البلد أول صفر وقد أكمن له عدَّةٌ من أهل الشر ، فثاروا به ، ووضعوا السلاح فى أصحابه ، فقتل من أصحابه ، وانهزم إلى أبى محمود ، فركب العسكر وأخذوا كثيرا من

الناس ، ووقع النفير فى البلد ، واستمر القتال بين الفريقين صفر وربيع الأول ، ثم وقع الصلح فى أثناء ربيع الآخر .

وولى محمودُ جَيْشَ بنَ الصمصامةِ البلدَ ، فأقام أياما ، ثم إن الناس ثاروا وقتلوا عدة من المغاربة ، وساروا يريدون جيشا ، ففرّ منهم ، ونهبوا ما كان له ، فعادت الحرب وطرح النار فى المواضع .

وأمر أبو محمود بأن تقصد أهل الشر دون غيرهم من الناس ، غير أن الرعية كانت تقاتل معهم ، فاشتد القتال إلى أول جمادى الأولى ، ونصبوا الحرب يوما بعد يوم من بكرة النهار إلى آخره ، والبلد ممتنع فى جميع هذه الحروب ، والقتال من ظاهره ، ومعظمه على باب كيسان إلى باب شرقى ، وباب الصغير إلى باب الجابية .

وكان عسكر أبى محمود من المغاربة عشرة آلاف سوى من تبعهم من غيرهم ومن حضروا من الساحل ، فكانت الحرب مستمرةً ، تارة تظهر المغاربة على الدماشقة ، وتارة تهزم الدماشقةُ المغاربةَ ، وكانت المغاربة لا تظفر بأحد إلا قطعوا رأسه ، فقتلوا خلقاً كثيراً .

وخلت الغوطةُ بحيث لم يبقَ فيها أحد ، وانحصر البلد فلم يقوَ واحد يدخل إليه بشىء البتة ، فغلت الأسعار ، وبطل البيع والشراء ، وقطع الماء عن البلد ، فعدم الناس القنى والحمامات ، فكانت الأسواق مغلقة ، والنساء جلوس على الطرق ، والرجال تصيح : «النفير» ، فساءت حال كثير من الناس فى هذه الفتنة ، وماتوا على الطرق من القرّ والبرد ، وهم مع ذلك مجتهدون فى القتال ، ونصبوا العرّادات على أبواب البلد ، فلم تبطل الحرب يوما من الأيام ، وفى الليل تُضرب الأبواق فيثور الناس من فرشهم ، ويسيرون بالمشاعل فيقيمون إلى الصباح .

فلما تفاقم الأمر ، واشتد البلاء ، وقوى أهل الشر من أهل البلد ، وأكلوا أموال الناس ، كتب مشايخ البلد إلى محمود فى الصلح ، وأحضروا ابن الماورد وابن شرارة وزجروهم ، وانصرفوا على أن أحداً لا يعارض السلطان فى البلد ، وقد فتح المسلمون المصاحف ، والنصارى الإنجيل ، واليهود التوراة ، واجتمعوا بالجامع ، وضجوا بالدعاء ، وداروا المدينة — وهى منشورة على رؤوسهم — .

وبلغ المعزّ ما وقع بدمشق من الحروب ، وما صارت إليه من الخراب ، فكتب إلى ريّان الخادم – وهو بطرابلس -- أن يسير إلى دمشق ، وينظر فى أمر الرعية ، ويصرف أبا محمود عن البلد ؛ فقدم ريّانُ إلى دمشق ، وأمر أبا محمود بالرحيل ، فسار فى عدد قليل من عسكره ، وتأخّر أكثرهم مع ريّان ، ونزل أبو محمود فى الرملة ، وورد عليه كتاب المعز يوبخه ؛ وكان صرف أبى محمود عن دمشق فى شعبان سنة أربع وستين .

هذا ما كان من خبر دمشق .

وأما القاهرة فإنّه طيف [فيها] فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين بنيف وأربعين رأساً جىء بها من الصعيد .

وفى ذى الحجة نودى أن لا تلبس امرأة سراويل كبارا[1] ، ووجد سراويل فيه خمس شقاق ، وآخر قطع من ثمانى شقاق دبيقى[2] .

وفيه هلك رسول ملك الروم ، فسيّره المعز فى تابوت إلى بلد الروم .

وركب المعز لكسر الخليج .

وفيها منع المعز من وقود النيران ليلة النيروز فى السكك [و] من صَبّ الماء يوم النوروز[3] .

وكثر الإرجاف بمسير الروم إلى أنطاكية .

وفى يوم عرفة نصبت الشمسة فى القصر .

---

(١) الأصل : « كبيرا » .

(٢) نسبة الى دبيق احدى المدن المشهورة بصناعة النسيج فى مصر فى العصر الاسلامى ، راجع الخطط للمقريزى .

(٣) نقل المقريزى هذا النص بكلماته فى كتابه (الخطط ، ج٢، ص ٣١) ونسبه الى الحسن ابن زولاق ، والنوروز أو النيروز كلمة فارسية معناها اليوم الجديد ، وعيد النوروز هو عيد أول السنة القبطية ، وكان الاقباط يحتفلون به قديما ، وظلوا يحتفلون به فى العصر الاسلامى فى أول يوم من شهر توت وهو اول شهور السنة القبطية، وكان من عادة الأقباط فى الاحتفال بهذا العيد أن يشربوا الخمر ويتراشوا بالماء وبالخمر فى الطرقات ، أنظر تفصيل الحديث عن عيد النوروز فى نفس المرجع ، ص ٣٠ ـ ٣٣ ، وانظر كذلك مايلى هنا فى حوادث سنة ٣٦٤ هـ .

وصلّى المعز صلاة العيد ، وخطب على الرسم الذى تقدم ذكره ، وانصرف إلى (٣٧ أ) القصر ، فأطعم على الناس .

وانتهت زيادة ماء النيل إلى سبع عشرة ذراعاً ، وجرى الرسم فى الجائزة والخلع والحملان لابن أبى الردّاد(١) على العادة .

وفيها حدث وباء بمصر فمات خلق كثير .

ومات القاضى أبو حنيفة النعمان(٢) بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون .

---

(١) كان المتفق عليه فى تاريخ مصر الاسلامية أن يحتفل بوفاء النيل اذا بلغ الفيضان ستة عشر أوسبعة عشر ذراعا ، ويعتبر النيل مقصرا اذا قل عن الرقم الأول .
ويعتبر الفيضان خطرا اذا زاد عن الرقم الثانى .
وكانت النصارى تتولى قياس النيل منذ الفتح العربى الى زمن الخليفة المتوكل ، فعزلهم واختار رجلا مسلما صالحا يسمى عبد الله بن عبد السلام بن أبى الرداد المؤدب ، وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنانير فى كل شهر ، وبقيت هذه الوظيفة فى نسل هذا الرجل « ابن أبى الرداد » حتى القرن التاسع الهجرى ، كما يقرر ذلك السيوطى فى حسن المحاضرة ، والمقريزى فى الخطط ، والقلقشندى فى صبح الأعشى . انظر كذلك (الاحتفال بوفاء النيل فى مصر الاسلامية)فصل من كتاب (دراسات فى التاريخ الاسلامى للدكتور جمال الدين الشيال ، بيروت ، ١٩٦٥ ،ص ٧٨ – ٨٤)

(٢) فى الاصل : « القاضى أبو حنيفة محمد بن النعمان بن محمد . الخ » وهو غير صحيح ، فهو القاضى أبو حنيفة النعمان ، ولم يكن محمد من اسمائه ، بل محمد ابنه ، وقد اختلفت المراجع فى ذكر سنة ولادته ، والمرجح أنه ولد فى العشر الأخير من القرن الثالث وتوفى سنة ٣٦٣ بالقاهرة . ويعرف فى تاريخ الدعوة الفاطمية باسم القاضى النعمان تمييزا له عن سميه ابى حنيفة النعمان صاحب المذهب السنى المعروف ، وكان فقيها كبيرا واتصل بخلفاء الفاطميين منذ قيام الدولة ، وأتى الى مصر صحبة المعز وولى بها القضاء مشاركة مع أبى الطاهر الذهلى الذى كان يلى القضاء قبل الفتح الفاطمى ، وكان النعمان فقيه الشيعة الأكبر وهو الذى دون الفقه الشيعى الاسماعيلى فى كتب كثيرة أهمها كتاب « دعائم الاسلام » الذى نشره أخيرا فى القاهرة آصف على فيظى ، ولازال هذا الكتاب عمدة طائفة البهرة بالهند .

وقد نبغ من أسرة بنى النعمان عدد كبير من العلماء والفقهاء تولوا جميعا القضاء ، وتولى بعضهم الدعوة بالقاهرة وتركوا أثرا كبيرا فى الحياة العقلية بمصر فى العصر الفاطمى قرابة قرن من الزمان ، ولاستيفاء ترجمة القاضى النعمان وأسرته راجع : (مقدمة آصف على فيظى لكتاب دعائم الاسلام ، القاهرة ١٩٥١) و (محمد كامل حسين : فى ادب مصر الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٠) و (A. A. A. Fyzee : Qadi an-Nu'man, The Fatimid Judye and author. J.R.A.S. 1934. P. I-32).
و (ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، نشر محمد كامل حسين) و (الكندى : الولاة والقضاة) و (مقدمة الدكتور محمد كامل حسين لكتاب الهمة فى آداب أتباع الأئمة) و (ابن خلكان : وفيات الأعيان) و (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٤ و (ابن حجر : رفع الأصر عن قضاة مصر ، النسخة الخطية بدار الكتب) و (Ivanow : Guide to Ismaili Literature).

ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة

والخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله معد .

والخراج ووجوه الأموال إلى يعقوب بن كِلِّس وعُسْلوج .

والقاضى أبو طاهر محمد بن أحمد .

والشرطة السفلى إلى جبر بن القاسم .

والشرطة العليا إلى جبر المسالى .

وصاحب المظلَّة شفيع الخادم الصقلبى .

والطبيب موسى بن العازار .

وإمام الجمعة عبد السميع بن عمر العباسى .

وصاحب بيت المال محمد بن الحسين بن مهذب .

وإمام الخَمْس الحسن بن موسى الخيَّاط .

والمحتسب عبد الله بن ذلال .

وفى المحرم قدم أفلح الناشب من برقة ، فخرج إليه بالجيزة وجُوه الدولة والقاضى والرعية وأنزل بمكان .

وورد الخبر بخلع نفسه وبيعة ابنه الطائع .

وأطلق أبو الهيجاء بن منجا القرمطى وابنه ، وخُلع عليه وحُمل ، وأطلق معه بضعة عشر من القرامطة .

ولست بقين من ربيع الآخر توفيت أم المعز .

وفى جمادى الأولى أطلق المعزُّ الجائزة لوفد الحجاز من الأشراف وغيرهم ، ومبلغها أربعمائة ألف درهم .

وقلّد أبا الحسن محمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسن الحسينى الكرفى قضاء الشامات ، ودار الضرب ، والحسبة ، وحُمل على بغلة وبرذون ومعه ثلاثة عشر تخت ، وستة آلاف درهم ، وكُتب له سجل .

وضُمِّنَ أبو عبد الله الحسن بن إبراهيم الرسّى ، وأبو طاهر سهل بن قمامة خراجَ الأشمونين وحربها ، وخُلع عليهما ، وسارا بالبنود والطبول .

وضُمِّن أبو الحسن على بن عمر العدّاس كورة بوصير وأعمالها ، وخُلع عليه وحُمل ، وسار بالبنود والطبول .

واعتلّ الأميرُ عبد الله بن المعز ، ومات لسبع بقين منه - بعد جدته بتسعة عشر يوماً - فجلس المعز للعزاء ، ودخل الناس بغير عمائم ، وفيهم من شوّه نفسه وأظهر الجزع الشديد ، فكان المعز يسكنهم ويقول :

« اتقوا الله ، وارجعو إلى الله » .

وغُلِّقتِ الأسواق ، ثم جلس الناس بزيهم ، ومنهم قيام ، فأمر القاضى محمدُ بن النعمان بغسله ، والمعز يتحدث ، ويسأل عن آى من القرآن ، وعن معانيها ، لأن القراء كانوا يقرءون ، ووُصف ابنه عبد الله بالفضل والبِر ، فقال له أبو جعفر مسلم :

« أعوذ بالله من فقد الولد البار »

فقال له المعز :

« فما تقول فى الولد العاق والأخ العاق ؟ » - يعرِّض له بابنه جعفر وبأخيه عبد الله ، وكونهما مع القرامطة - .

فقال له أبو جعفر مسلم :

« إذا بليتُ بالولد العاق والأخ العاق كان فى الله وفى بقاء مولانا منهما عِوَضٌ .

فقال له المعز : « لا صان الله من لا يصونك ، ولا أكرم من لا يكرمك ، ولا أعزّ من لا يعزك ، ولا أجلّ من لا يجلك » .

فقام أبو جعفر وقبّل الأرض هو وجماعةٌ من فى المجلس ، وشكروه على قوله .

ثم خرجَ تابوت عبد الله ، وحوله أهل الدولة بالصراخ والبكاء ، فصلى عليه المعز ، ودخل معه حتى واراه فى القصر .

وفى جمادى الآخرة ورد الخبر بموت عبد الله أخى مسلم بظاهر البصرة - كما تقدّم - ، وبموت المطيع ببغداد ، وأن موته كان فى المحرم ، وأن ابنه الطائع سمَّه ، وأن فتنةً وقعت ببغداد بين الترك والديلم ، وبين الرعية والشيعة ، وغلا السعر ، ونُهبت الأسواق والدور ، وأن أبا تغلب بن حمدان رحل إلى بغداد متوسطًا بين الطائع وبختيار .

وفيه سار نصيرٌ الخادم الصقلبى - عبد المعز - إلى الشام فى عسكرٍ كثير ، ودخل بيروت .

وفى أول رجب أُصلح جسر القسطاط ، ومُنع الناس من ركوبه ، وقد كان أقام سنين(١) معطلاً .

وركب المعز إلى المقس ، وسار على شط النيل ، ومعه أبو طاهر القاضى يحدثه ، حتى عبر الجسر إلى الجزيرة ، فمضى إلى المختار .

وفيه وردت رؤوس من المغرب عدتها ثلاثة آلاف ، فطيف بها ، وذلك أن خلف بن جبر صعد فى بنى هواس (٣٧ ب) إلى قلعه منيعة ، فاجتمع عليه كثير من البربر ، فزحف إليه يوسف ابن زيْرى ، فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة قُتل فيها خلائق كثيرة حتى أخذ القلعة فى عاشر شعبان ، ففرّ خلف ، وقتل بها آلافًا كثيرة ، بعث منها سبعة آلاف رأس إلى القيروان ، فطيف بها ، ثم حُمل منها إلى مصر ما ذُكر .

وفيه وقع الجدرى فى كثير من الناس ، وأقام شهوراً .

وكانت وقعة مع الروم بطرابلس .

وفى شعبان وصل أفتكين بعسكر من الأتراك إلى دمشق ، وورد كتابه على المعز وهو يستأذن فى المسير ، فشاور المعز أبا جعفر مسلم ، فقال :

---

(١) الأصل : سنينا .

« هم قوم غدر ، فإن تـأذن لهم غلبوا على دمشق » .

فشرع المعز فى تعبئة العساكر وإنفاذها لقتاله .

وكان من خبر أفتكين أن الديلم والأتراك اختلفوا ببغداد ، فأراد عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة أبى الحسين أحمد بن بُوَيْه الديلمى سلطان العراق أن يقبض على سُبُكْتِكين التركى ، وكانت الأتراك تتعصّب معه وهم فى أربعة آلاف هو أميرهم ، فغلبوا بختيار وخرج عن بغداد ، وغلب سبكتكين التركى عليها ، وكان فى قوةٍ من المال والسلاح والرجال ، فلم تطل مدته بعد غلبته على بغداد وهلك ، فاستخلف من بعده على الأتراك أفتكين الشرابى مولى معز الدولة بن بُوَيْه ، وكان شجاعاً ثابتًا فى الحرب ، فسار بالأتراك من بغداد لحرب الديلم ، فجرى بينهم قتال عظيم .

وقاتل أفتكين حتى تفرّق مَنْ حوله إلا يسيرًا ، وانهزم صاحب رايته ، فلحقه وضربه باللتّ(١) وأخذها من يده ، وحمل على الديلم فقتل منهم كثيراً باللتوت ، ثم حمل عليهم الديلم فانهزموا وأفتكين فى نحوا الأربعمائة من الأتراك ، فأخذ على الفرات حتى نزل الرحبة ، ثم أخذ فى البر وقد أظهر من المهابة ما لم يتجاسر العرب على نهبه ، فنزل جوشية من قرى الشام ، فجمع له ظالم بن موهوب العقيلى ـ وهو حينئذ على بعلبك ـ مَنْ قدر عليه من العرب ، وأنفذ إلى أبى محمود قبل أن يسير عن دمشق يطلب منه عسكراً ، فأنفذ إليه جماعة ، وخرج يريد أفتكين ـ وهوفى ألفيْن ـ فسار يريد جوشية .

وبعث أبو المعالى ابن حمدان بشارة الخادم من حمص فى ثلاثمائة رجل إلى جوشية مددًا لأفتكين على ظالم ، فبعث بشارة إلى ظالم فصرفه عن محاربة أفتكين وعاد إلى بعلبك ، وسار بشارة بأفتكين ، فنزل بأفتكين بظاهر حمص ، ووعده عن مولاه أبى المعالى بكل جميل ، وحمل إليه أبو المعالى وأكرمه ، فسار إلى أبى المعالى ، فأجلسه على كرسى .

وسأله أفتكين أن يوليه كَفْر طاب ويكون تبعًا له ، فما هو إلا أن ورد عليه رسول بن الماورد الشاطر من دمشق بأن يسير إلى دمشق ، وأنه يخرج إليه بأهل البلد ، ويقاتلوا عسكر المغاربة ، ويملكوه عليهم ، فوقع ذلك منه بموقع ، فبعث إلى أبى حمدان يقول :

---

(١) اللت (والجمع لتوت) لفظ فارسى معناه القدوم أو الفأس الكبيرة .

« إنى نظرت فى الذى وليتنى فإذا هو لا يقوم بمن معى من الغلمان ، وإنى أريد أن أرجع إلى بغداد » .

فقال :

« افعل ما تراه » .

فسار كأنه يريد أن يأخذ طريق البرية إلى بغداد ، وأخذ نحو دمشق ، وقد نزل ريّان عليها ، وجاءته أخبار طرابلس : بأن العدو قد خرج ، ونحن نخاف على البلد أن يؤخذ ، فانزعج وخاف على طرابلس ، وإذا بالخبر ورد عليه بأن أفتكين قد توجّه نحوه بموافقة أهل البلد ، فعرض عساكره ، وبرز يريد عقبة دُمر .

وأصبح أفتكين على ثنية العقاب ، ولم يعلم بأن ريّان الخادم قد ارتحل عن البلد بجميع أصحابه حتى لم يبقَ منهم أحد ، فوصل إلى البلد وقد أجهده وأصحابه التعبُ لأيامٍ بقيت من شعبان .

ونزل بظاهر البلد ، فخرج الناس إليه ، واستبشروا به ، وسألوه أن يملكهم ويزيل المصريين ويكفّ عن الأحداث(١) ، فأجابهم ، واستحلفهم على الطاعة والمساعدة ، وحلف لهم على الحماية وكف الأذى عنهم منه ومن غيره .

وقطع خطبة المعز وخطب للطائع ، وقمع أهل العبث ، فهابته الكافة ، وصلح به كثير من أمر البلد ، وأقام أيامًا ، وشاع خبر العدو أنه قد أقبل فى جيش عظيم ، فاستعدوا لقتاله ، ونزل العدو على حمص ، (ص ١٣٨ ا) فلم يعرض لأحد بأرض حمص ، لهدنة كانت بينه وبين أبى المعالى ابن حمدان .

وسار أفتكين إلى بعلبك فى طلب ظالم ، ففر منه ، فنزل أفتكين بعلبك ، وكانت العرب قد استولت على ما خرج عن سور دمشق ، فأوقع بهم أفتكين ، وقتل كثيرًا منهم ، وظهر منه حسن تدبير وقوة نفس وشجاعة ، فأذعن الناس له ، وأقطع البلاد ، فكثر جمعه ، وتوفرت أمواله ، وثبت قدمه ، وملك بعلبك من ظالم بن موهوب ، فقصده الروم وعليهم الدمستق ، فقاتلهم أشدّ قتال ، ثم كثروا عليه فانهزم .

---

(١) هذا نص آخر عن « الأحداث » ، راجع مايلى هنا ص ٢٣٩ ، هامش ٣ .

ودخل الروم بعلبك ، فأخذوا منها ومما حولها سلبًا كثيرًا ، وأحرقوا ؛ وذلك فى شهر رمضان ، وانتشرت خيلهم وسراياهم فى أعمال بعلبك والبقاع تُحرق وتسبى ، وامتدوا إلى الزبدانى ، فأخذ الناس عليهم المضايق ، ومنعوهم من الدخول إلى الوادى .

وخرج من دمشق قومٌ فخاطبوا كبير الروم فى الهدنة ، فطلب منهم مالا لينصرف عن البلد ، فخرج إليه أفتكين ليخاطبه عن البلد ، وأهدى إليه من كل ما كان معه من بغداد ، فأكرمه وقربّه ، فخاطبه أفتكين فى أمر البلد ، وأعلمه بأنه خراب ليس فيه غير حُمّال السلاح ولا مال فيه ؛ فقال له :

« ما جئنا لنأخذ مالاً ، وإنما جئنا لنأخذ الديار بأسيافنا ، وقد جئتنا بهدية ، وقد أجبناك إلى ما طلبت ، وغرضنا فيما نأخذه من المال أن يقال بلد ملكناه فأخذنا هديته » .

فقال أفتكين :

« هذا بلد ليس لى فيه إلا أيام يسيرة ، ولم آمر فيه ولم أنهَ ، وقد خرج معى إليك رجلٌ له يدٌ فى البلد ، يمنعنى من كل ما أفعله » .

وقد كان خرج معه علاء بن الماورد ، فقال :

« ومن يدفعك عما تريد » ؟

قال :

« هذا وأصحابه » .

فأمر بالقبض على بن الماورد ، فقُبض وقيد ، وجرت الموافقة مع أفتكين على أنه يجبى المال ويكون على سبيل الهدنة ، ويكف عن دمشق وأعمالها ، فعاهده ملك الروم على ذلك ، وعاد أفتكين إلى دمشق ، افثار أصحاب ابن الماورد بالسلاح يريدون أفتكين ، فمنعهم الناس.

وكان أبو محمود إبراهيم بن جعفر حينئذ بطبرية ، فبلغه خروج أفتكين إلى الروم ، فسيّر جيشَ بن الصمصامة فى نحو الألفين ليأخذ دمشق ، فسرى من طبرية ، وكان شبل بن معروف العقيلى على شينبه وليس لجيش به علم ، فركب إليه شبل فى جمع من العرب فواقعوه فانهزم ، وأتى الخبر إلى أفتكين وقد خرج من عند ملك الروم ، فخرج الأتراك وأدركوهم فقتلوا منهم

كثيرًا ، وأخذ جيش أسيرًا ، فبعث به أفتكين إلى الروم وهو مقيم على عين الجر ينتظر المدد .

وجبي له أفتكين من دمشق ثلاثين ألف دينار بالعنف ، ورحل فنزل على بيروت – وبها نصير الخادم من قبل المعز – ، فلم يزل الرومى يراسل أهل بيروت :

« إنى لا أريد خراب بلدكم ، وإنما أريد أن تسلموا إلىّ هذا الخادم ومَنْ معه ، وأجعل عندكم مِنْ قِبَلى من يدفع عن بلدكم » .

حتى خرج إليه نصير الخادم ومَنْ معه ، فأخذهم ، وولّى على بيروت من قبله شخصًا فى مائتى رجل .

وسار فنزل على طرابلس – وفيها ريّان الخادم الذى كان على دمشق فى خلق من المغاربة – ، فقاتلوه أشد قتال .

ونزل بالرومى مرضٌ فرحل إلى بلده ، وهلك فى الطريق .

وتمكّن أفتكين من دمشق ، فأنفذ شبل بن معروف العقيلى إلى طبرية ، ففرَّ عنها أبو محمود بمن معه إلى الرملة .

وقدمت جيوش المعز ، وفيها كثر مخافتهم العرب ، واقتتلوا بجوار بيت المقدس مع العرب ، فظهر العرب عليهم وهزموهم ، وقتلوا كثيرًا منهم وسيّروا عدة منهم إلى دمشق ، فطيف بهم فى الأسواق على الجمال ، وملأُوا بهم الحبوس ، فأقاموا فى ضُرٍّ ، ثم ضربوا أعناقهم ؛ وكان – مع ذلك – أفتكين – طوال مقامه بدمشق – يكاتب القرامطة ويكاتبونه .

وركب المعز يوم عيد الفطر ، فصلى وخطب على رسمه المعتاد ، وورد عليه الخبر بوقعة ريّان بالرومى وهزيمة الروم – وقد أسر ريّان منهم وقتل وغنم – فسُرَّ المعز بذلك وتصدّق ، ودخل الناس عليه فهنأُوه ، وقال الشعراء فى ذلك ، وفى خلع المطيع شعرًا كثيرًا .

وبعث إلى الحجاز بالأموال والنفقة وكسوة الكعبة .

ووردت رؤوس من المغرب (٣٨ ب) فطيف بها .

وقدم إليه من المغرب ماءٌ للشرب من العين التى أجراها .

وأنفذ رسولا إلى القرامطة برسالة إلى الأحساء .

وفيه ثارت فتنة بين المصريين والمغاربة ، فقُبض على جماعة وضربوا .

وفى ذى العقدة نودى لخمسٍ خلوْن منه فى الجامع العتيق : « الحجُّ فى البر » . وكان قد انقطع منذ سنين .

وفيه مات عبد الله بن أبى ثوبان ، وكان قد نصَّبه المعز للنظر فى مظالم المغاربة ، فتبسط فى الأحكام بين المصريين ، وقال فى كتبه : « قاضى مصر والاسكندرية » ، وشهدت عنده شهود مصر من المعدلين .

وفيه خاطب المعز علىَّ بن النعمان بالقضاء ، وأذن له فى النظر فى الأحكام ، فجلس فى داره ومسجده ونظر فى الأحكام .

وطيف برؤوس من الأعراب والروم وردت من الشام ومن الصعيد .

وقدم للنصف منه جواب القرامطة من الأحساء ، فخُلع على الرسول وعلى جماعة معه ، وحُملوا .

وفيه طلع نجم الذنب عند الفجر وله شعاع كبير ، فأقام أيامًا ، واضطرب الناس ، ولما رآه المعز استعاذ منه .

وطُلبت العبيد الصقالبة من جميع الناس ، وأُخذوا بالثمن .

وانفرد عسلوج بن الحسن بالديوان والنظر فى أبواب المال كلها .

وفى مستهل ذى الحجة طيف برؤوسٍ على رماح يقال عدتها إثنا عشر ألف رأس ، وردت من المغرب ، فيها رأس خلف بن جبر ، وقد ثار بالمغرب واجتمع عليه البربر ، فظفر به يوسف ابن زيرى ، وقُتل لخمسٍ خلوْن من رمضان هو وجماعة من أهله .

واعتُقِلَ جماعة من الإخشيدية والكافورية وطولبوا ببيع عقارهم وردِّ ما باعوا منه .

ووردت هدية أبى محمود من الشام ، وهى مائة فارس ، وأحمال مال .

وبرز ركب المعز يوم عيد النحر على رسمه ، فصلى وخطب ، وأطعم الناس بالقصر . وكُسر الخليج ، ولم يركب إليه المعز .

وفى يوم النوروز(١) زاد اللعب بالماء ووقود النيران ، وطاف أهل الأسواق وعملوا فيلة(٢)، وخرجوا إلى القاهرة بلعبهم ، فأقاموا على ذلك ثلاثة أيام ، وأظهروا السماجات فى اللعب بالأسواق ، (٣ فأمر بالنداء أن يُكَفّ عن اللعب ، وأُخذ قوم فطيف بهم وحبسوا٣) .

وأمر أن يكون فى الشرطة السفلى فقيهان يجلسان ، ثم صُرفا .

وورد الخبر بوقعة كانت لأبى محمود مع ابن الجراح الطائى بناحية طبريّة .

وأمر المعز بتغيير المكاييل والموازين ، وجعلت الأرطال من رصاص .

وأمر المعز القاضى أبا طاهر وشهوده أن يرفعوا إليه أخبار البلد ولا يكتموه شيئًا ، ونصبوا لذلك رجلا فامتنع .

وبلغ النيل بزيادة الجديد سبع عشرة ذراعًا وتسعة عشر إصبعًا ، فأمر لابن أبى الرداد بالجائزة والخلع والحملان على عادته .

ومات فى هذه السنة :

أبو جعفر أحمد بن القاضى النعمان بن محمد بمصر يوم الثلاثاء خامس ربيع الأول .

وحسن بن سعيد الأفرنجى بالقاهرة ، فصلى عليه المعز ودفن بها .

وإسماعيل بن لبون الدنهاجى ، وصلى عليه المعز .

وعلى بن الحرمى صاحب الخراج .

ومات حسن بن رصتق الدنهاجى .

ومات أيضا أبو الفرج محمد بن إبراهيم بن سكرة فى ربيع الآخر

(١) انظر ما ذكره المؤلف فى هذا الكتاب عن النوروز فى حوادث سنة ٣٦٣ ، وقد نقل هذا النص المقريزى فى كتابه الخطط ، ج ٢ ص ٣١ وص ٣٨٩ منسوبا الى الحسن بن زولاق .

(٢) فى الأصل : « قبلة » والتصحيح عن : (الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٨٩)

(٣) النص فى الخطط مختلف قليلا عما ورد هنا ، وهو هناك : « ثم امر المعز بالنداء بالكف وان لاتوقد نار ولا يصب ماء ، وأخذ قوم فحبسوا ، وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال » .

ثم دخلتِ سنة خمس وستين وثلاثمائة والأمر على حاله .

إلا أن القضاء بيد أبى طاهر محمد بن أحمد ، واشترك معه القاضى على بن النعمان ، فكان كلٌ منهما ينظر فى داره .

وتثاقل يعقوب بن كِلِّس عن حضور الديوان ، وانفرد بالنظر فى أمور المعز فى قصره .

وفى المحرم عُمِّرت كنيسة بقصر الشمع .

وورد سابق الحاج فأَخبر بإقامة الدعوة بمكة ومسجد إبراهيم يوم عَرَفَة ومدينة الرسول ، وسائر أعمال مكة ، وبتمام الحج .

وكان هذا أول موسم دُعى فيه للمعز بمكة ومدينة رسول الله[1] ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسُرَّ المعز بذلك ، وتصدَّق شكرًا لله .

وورد كتاب أمير مكة جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وكتاب أخيه الحسن بن محمد الحسنى ـ وهو أخو صفية امرأة عبد الله بن عبيد الله أخى مسلم ـ يسأَل الإحسان إلى أخته صفية ـ وكانت مستترة ـ فأَمر برد ضياعها وريعها وتسليم ذلك إليها ، فأَحضر (١٣٩ ا) يعقوبُ بن كِلِّس القاضى أبا طاهر وشهوده ، وأشهدهم فى كتاب عن المعز أنه أمره برد ضياعها ورياعها[2] إليها ، فظهرت وأَمنت .

وكتب جعفر بن محمد الحسنى أمير مكة يسأَله فى بنى جُمَح أن يُرَدّ حبسهم إليهم الذى بمصر ، وفى ولد عمر وبنى العاص أن يُرَدَّ حبسهُم بمصر إليهم ، فأَطلق المعز ذلك لبنى جُمَح .

وورد رسول ملك الروم ، فغُلِّقت الحوانيت ، وخرج الناس تنظر إليه .

---

(١) لهذه الاشارة أهميتهافمعناها أن الحجاز أصبح يدين بالولاء للفاطميين فى مصر منذ تلك السنة .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعلها « ورباعها » أى ما لها من عقار .

قال ابن الأثير .

« وكان سبب موت المعز أن ملك الروم بالقسطنطينية أرسل إليه رسولاً كان يتردد إليه بإفريقية ، فخلا به المعز بعض الأيام ، وقال له :

« أتذكر إذ أتيتنى رسولاً وأنا بالمهدية ، فقلت لك : « لتدخلن علىّ وأنا بمصر مالكا لها ؟ »

قال :

« نعم »

قال :

« وأنا أقول لك لتدخلنَّ علىّ ببغداد وأنا خليفة » .

فقال له الرسول :

« إن أمَّنتنى ولم تغضب ، قلت لك ما عندى » .

فقال له المعز :

« قل وأنت آمن » .

فقال :

« بعثنى إليك الملك ذلك العام ، فرأيتُ من عظمتك فى عينى وكثرة أصحابك ما كدتُ أموت منه ، ووصلت إلى قصرك فرأيت عليه نورًا غطّى بصرى ، ثم دخلتُ عليك فرأيتك على سريرك فظننتك خالقاً ، فلو قلتَ لى إنك تعرج إلى السماء لتحققتُ ذلك ، ثم جئت إليك الآن فما رأيتُ من ذلك شيئاً ، أشرفتُ على مدينتك فرأيتها فى عينى سوداء مظلمة ، ثم دخلتُ عليك فما وجدت من المهابة ما وجدتُه ذلك العام ، فقلت إن ذلك كان أمرًا مقبلاً ، وإنه الآن بضد ما كان عليه » .

فأطرق المعز ، وخرج الرسول من عنده ، وأخذت المعز الحمّى لشدّة ما وجد ، واتصل مرضُه حتى مات .

وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب :

إن المعز أنفذ إلى ابن السوادكى فقال : « من لك بالحجاز من التجار تكاتبه ، اكتب إلى من تراه منهم بأن يكتب إلى عدن بحمل ما يقدر عليه من خشب الأبنوس الحسن التلميع التام الطول ، الغليظ مما لا غاية وراءه » .

فكتب إلى تاجر بمكة ، وأكّد عليه ، فما كان إلا نحو شهرين حتى عاد جوابه أنه وجد منه ما ليس له فى الدنيا نظير ، وحمله فى مركب ، فسُرَّ بذلك ، وبكَّر إلى المعز فأخبره الخبر ، وأنه فى القُلْزُم ، فأطرق وتغيَّر لونه ، فقال له :

« يا مولانا هذا يوم فرح وسرور بأن تطلب أمراً يكون بعد مدة فيسهله الله فى أقرب وقت » .

فقال :

« يا محمد ليس يدرى إلى حيث خرجت » .

ثم سار خارجاً إلى ظاهر القاهرة وهو يقرأ سورة الفتح إلى آخرها ، ويرددها كلما فرغ منها ، ورجع فاعتلَّ بعد جمعة ، وتردّدت به العلّة ، فمات فى الشهر الخامس ، وما طلبه منى ، ولا أذكرته به ، وكان قد تأوّل أن أجله نُعى إليه حين رأى الأشياء منقادةً له .

قال ابن زولاق :

ولأربع خلون من صفر ورد حاج البرّ ، وقد كان البر أقام سنين[1] لم يُسلك .

وفيه حضر على بن النعمان القاضى جامع القاهرة[2] ، وأملى مختصر أبيه فى الفقه عن أهل البيت ، ويعرف هذا المختصر « بالاقتصار » ، وكان جمعاً عظيماً .

وفى ربيع الآخر وردت رسالة القرامطة بأنهم فى الطاعة .

وفيه أذن المعز لجماعة المصريين فدخلوا عليه وخاطبهم – وهو على سرير الملك – ، فصاح به رجل منهم :

---

(١) الأصل : « سنينا » .

(٢) لاحظ أن ابن زولاق يسمى الجامع الذى بنى فى القاهرة «جامع القاهرة» ولم يسمه «الجامع الأزهر» .

« يا أمير المؤمنين » ، قال الله ـ عز وجل ـ : « وَلَقَدْ أَهْلَكْنا القرونَ مِنْ قبلكم لَمَّا ظَلَموا وجاءتْهُم رُسُلُهمْ بالبَيِّناتِ وما كانوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ المُجْرِمين . ثم جعَلْناكُمْ خَلائِفَ فى الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِم لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ »(١) . يا أمير المؤمنين لننظر كيف تعملون .

وقال : « صدق الله ، كذا قال عزَّ وجلَّ ، ونسأَل الله التوفيق » .

واعتلَّ المعزُّ لثمانٍ خلوْن من ربيع الأَول ، فأَقام ثمانياً وثلاثين يوماً ، ووُصف له البطيخ البُرُلُّسى يؤخذ ماؤه ، فطُلب بمصر فلم يوجد سوى واحدة اشتريت بخمسة دنانير ، ثم وجد منها ثمانى عشرة بطيخة اشتريت بثمانية عشر دينارًا ، وكان الناس يغدون إلى القصر ويروحون ، والذى بمرضه طبيبه موسى بن العازار وعبده جوهر .

فلما كان لأَربع عشرة بقيت من ربيع الآخر اشتدت العلَّة . وعُرِّفَ باجتماع الناس وكثرة الرقاع فى الظلامات والحوائج ، وسئل فيمن ينظر فى ذلك ، فأَمر أن ينظر فيه ولىُّ عهده نزار فاستخلفه ، وخرج السلام إلى الناس فانصرفوا .

وخرج القائد جوهر وموسى بن العازار الطبيب بالعزيز فأَجلسوه ، وخرج إليه إخوته وعمومته وسائر أَهله (ص ٣٩ ب) فبايعوه ، ثم أُدخل إليه أَكثر الأَولياء فبايعوه وسلموا عليه بالإمرة وولاية العهد ، فابتهج الناس بذلك .

ودخل عليه من الغد القاضى أَبو طاهر وجماعة الشهود والفقهاء فسلموا عليه بولاية العهد ، وقبَّلوا له الأَرض ، فردَّ عليهم أَحسنَّ رد ، وأَخبرهم بأَن المعز بخير ، قال :

« مولانا ـ صلوات الله عليه ـ فى كل عافية وسلامة فى أَحواله ، وفى رأيه لكم » وانصرفوا .

وكان يوم جمعة ، فدعا له عبد العزيز بن عمر العباسى على منبر الجامع العتيق(٢) بعد أَن دعا للمعز ، فقال :

« اللهم صلِّ على عبدك ووليّك ، ثمرة النبوة ، ومعدن الفضل والإمامة ، عبد الله مَعَدّ أَبى تميم الإمام المعز لدين الله ، كما صليت على آبائه الطاهرين ، وأَسلافه المنتخبين من قبله .

---

(١) الآيتان ١٣و ١٤ ، السورة ١٠ (يونس)

(٢) يقصد جامع عمرو بن العاص بالفسطاط

اللهم أعنه على ماوليته ، وأنجز له ماوعدته ، ومَلِّكْه مشارق الأرض ومغاربها .

واشدُدْ - اللهم - أزْرَه ، وأعزّ نصره بالأمير نزار أبي المنصور وليّ عهد المسلمين ، ابن أمير المؤمنين ، الذى جعلته القائم بدعوته ، والقائم بحجته .

اللهم أصلح به العباد ، ومهد لديْه البلاد ، وأنجز له به ماوعدته ، إنك لاتخلف الميعاد » .

وتوفى المعز لدين الله عشيّة هذا اليوم ليلة السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر ، وقيل يوم الجمعة حادى عشر ، وقيل ثالث عشر ، ولم يظهر ذلك ولا نطق به أحد مدة ثمانية أشهر .

وقيل إن السيدة - لما اشتدت عِلَّةُ المعز - أحضرت القائدَ جوهر وهو ملتفٌ فى برد من . . .[1] وحضر يعقوبُ بن يوسف بن كِلِّس وعُسْلُوج القائد وأفْلَح الناشب[2] ، وطارق الصقلى ، فقالوا للمعز :

« نريد أن تبصرنا رشدنا وتعلمنا لمن الأمر » .

فلم يجبهم ، فقال له جوهر :

« قد كنتُ سمعتُ منك قولاً فى هذا استغنيت به عن إعادة السؤال ، غير أنهم أكرهونى على الدخول » .

وقال لهم :

« قابلتمونى بما لا يجب » وبكى .

فخرجوا ، فلما كان اليوم الثالث مات ، فصار العزيز إذا رفعت إليه الأمور يدخل كأنه يشاوره ويخرج بالأمر .

قال ابن زولاق :

وكان - يعنى المعز - فى غاية الفضل والاستحقاق للإمامة ، وحسن السياسة .

---

(١) مكان هذه النقط كلمة غير مقروءة .

(٢) كذا بالأصل .

وكان مولده سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، أدرك من أيام المهدى جَدّ أبيه أربع سنين ، ولوفى القائم وللمعز ست عشرة سنة .

واجتمع للمعز بمصر ما لا يجتمع لآبائه ، وذلك أنه حصل له بالمغرب أربعة وعشرون بيتًا من المال : منها أربعة عشر خلَّفها المهدى ، ولم يخلِّف القائم عليها شيئًا ، وخلَّف المنصور بيتًا واحدًا وكسوة ، وأضاف إليها المعز تسعة ، فصارت أربعة وعشرين بيتًا ، أنفق أكثرها على مصر إلى أن فُتحت ودخلها ، وحصل له من مال مصر أربعة بيوت سوى ما أنفقه وسوى ما قدم به معه .

واجتمع له أن خلفاءه بمصر استخرجوا له ما لم يستخرج لأحد بمصر ، فاستخرج له فى يوم واحد مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار .

وهزمت القرامطة فى أيامه أربع مرار : مرتين فى البر على باب مصر ، ومرتين فى البحر ، وما تم عليهم هذا قط منذ ظهر أمرهم .

وأقيمت له الدعوة يوم عرفة فى مسجد إبراهيم عليه السلام وبمكة والمدينة وسائر أعمال الحرمين ، ولم تُرَدّ له راية .

وسار ابن السميسق ملك الروم إلى ريّان عبد المعز - وهو بطرابلس - فانهزم وأخذت غنائمه وأسر رجاله .

وكتب اسمه على الطُّرُز بتنيس ودمياط والقيس والبهنسى قبل أن يملك مصر[1] .

وتتابعت له الفتوح .

ودُعى لفاطمة ولعلى - عليهما السلام - فى أيامه على المنابر فى سائر أعماله وفى كثير من أعمال العراق .

ونُصبت الستائر على الكعبة وعليها اسمه .

ونُصبت له المحاريب الذهب والفضة داخل الكعبة وعليها اسمه .

---

(1) يقصد فى المدة التى مضت منذ تم لجوهر فتح مصر الى أن انتقل اليها المعز واتخذها مقرا لخلافته .

وكاتبه أهل العراق وأهل اليمن وأهل خراسان وأهل الحرمين والترك بالخلافة .

وكان على التجهز للمسير للحج ثم إلى قسطنطينية للجهاد .

وكان مقامه بمصر سنتين وسبعة أشهر وعشرة أيام .

قال ابن الأثير :

وأمه أم ولد .

وولد بالمهدية من إفريقية حادى عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة .

ومات وعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريبا .

وكانت ولايته الأمر ثلاثاً وعشرين سنة وعشرة أيام .

(١٤٠) وهو أول الخلفاء العلويين ، ملك مصر وخرج إليها .

وكان مُغْرًى بالنجوم ، ويعمل بأقوال المنجمين ، قال له منجم إن عليه قَطْعاً فى وقت كذا ، وأشار عليه بعمل سرداب يختفى فيه إلى أن يجوز ذلك الوقت ، ففعل ما أمره ، وأحضر قواده وقال لهم : « إن بينى وبين الله عهدًا أنا ماضٍ إليه ، وقد استخلفت عليكم ابنى نزار ، فاسمعوا له وأطيعوا » .

ونزل السرداب ، فكان أحد المغاربة إذا رأى سحاباً ، نزل وأومى إليه بالسلام ظنا منه أن المعز فيه ، فغاب سنة ثم ظهر ، وبقى مدة ومرض وتوفى ، فستر ابنه نزار العزيز موته إلى عيد النحر من السنة ، فصلى بالناس وخطبهم ، ودعا لنفسه ، وعزّى بأبيه .

وذكر القاضى عبد الجبار بن عبد الجبار البصرى فى كتاب « تشبيت نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم » المعز لدين الله ، وقال :

« واحتجب عن الناس مدة ، ثم ظهر وجلس فى حرير فائق أخضر مذهب ، وعلى وجهه الجواهر واليواقيت ، وأوهم أنه كان غائباً ، وأن الله رفعه إليه ، وكان يتحدث بما يأتيه أهل الأخبار فى حال غيبته ، وتوهم أن الله أطلعه على تلك الغيوب » .

وتعرض بالجمل دون التفصل .

قال مصنفه ـ رحمة الله عليه ـ :

« ليس الأمر كما قال ابن الأثير ، فقد حكى الفقيه الفاضل المؤرخ أبو الحسن بن إبراهيم بن زولاق المصرى فى كتاب سيرة المعز ـ وقد وقفتُ عليها بخطه ـ رحمه الله ـ أخبارَ المعز منذ دخل مصر إلى أن مات يومًا يومًا ، وأن المعز إنما عهد لابنه يوم الخميس لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر قبل موته بيومين ؛ وذكر أن سبب العهد إليه اجتماع الناس بباب القصر وكثرة الرقاع ، وأنه سئل فيمن ينظر فى ذلك ، فأمر ابنه نزار العزيز أن ينظر فيه فاستخلفه ؛ وقد ذكرت ملخص هذه السيرة فيما مرَّ من أخبار المعز ؛ وأن ابن زولاق أعرفَ بأحوال مصر من ابن الأثير خصوصاً المعز ، فإنه كان حاضرًا ذلك ومشاهدًا له ، وممن يدخل إليه ويسلم مع الفقهاء عليه ، ويروى فى هذه السيرة أشياء بالمشاهدة ، وأشياء مَدَّتْه بها ثقاتِ الدولة وأكابرها ، كما هو مذكور فيها ؛ إلا أن ابن الأثير تبع مؤرخى العراق والشام فيما نقلوه ، وغير خافٍ على من تبحر فى علم الأخبار كثرةُ تحاملهم على الخلفاء الفاطميين وشنيع قولهم فيهم ، ومع ذلك فمعرفتهم بأحوال مصر قاصرة عن الرتبة العليَّة ، فكثيرًا ما رأيتُهم يحكون فى تواريخهم من أخبار مصر ما لا يرتضيه جهابذة العلماء ، ويردُّه الحذاق العالمون بأخبار مصر ؛ وأهلُ كل قطر أعرف بأخباره ، ومؤرخو مصر أدرى بماجرياته[1] ، وفوق كل ذى علمٍ عليم .

قال ابن الأثير :

« وكان المعز عالمًا فاضلاً جوادا جاريًا على منهاج أبيه ، حسن السيرة وإنصاف الرعية ، وسَتَر ما يدعون إليه إلا عن الخاصة ، ثم أظهره ، وأمر الدعاة بإظهاره ، إلا أنه لم يخرج فيه إلى حدٍّ يُذَمُّ به » .

وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب :

« إن جوهر القائد لما كان على عسقلان ، وهجم عليه العدو ، وأحرقوا خيمته وما قدروا عليه ، وقاتل الناس إلى أن كشفوا العدو وعادوا إلى مكانهم ، ترجَّل جوهر وقبَّل الأرض وقال :

(١) هذه نظرة نقدية هامة للمؤلف ـ المقريزى ـ للمراجع التى أرخت للفاطميين .

« حذرنى مولانا المعز بالمغرب ، وقال لى : احذر النار فى عسكرك ببرقة » فلما جزتُ بها تحفظت من النار ، فلما صرت فى مصر : قلتُ الحق ما يقول مولانا ، وما هو إلا أن أعود إلى المغرب ، فيكون ذلك فيها ، فلما نزلت هذا المنزل عرفت أنه يقال له برقة ، وكنت – والله – خائفًا من قول مولانا حتى رأيته عيانًا .

قال :

« ولما بلغ المعز أن يوسف بن زيرى خليفته على المغرب قبض على صاحب خراجه بالمغرب غضب واستدعى إسماعيل بن اسباط ، ودفع إليه كتابًا مختومًا ، وقال له :

« أنت عندى موثوق به ، غير مستراب بك ، قل لهُ يا يوسف ، تغير ما أمرتك به ، وتنسب ما فعلته لى ؟ والله لئن هممت بالعود إليك لآتينك ، ولئن أتيتُك لا تركت من آل منادٍ أحدًا ، بل من بُلُكانه ، لا بل من صنهاجة ؛ أخرج ابن الأديم فاردده إلى النظر فى الخراج على رسمه ، وامتثل جميع ما أمرتك به ، ولا تخالف شيئًا منه » .

قال : « فسرتُ بأحسن حال حتى دخلتُ القيروان فلم أجده ، فسرت إليه ، فلما رآنى نزل وقبّل الأرض لما ترجلت له ، وقبَّل بين عينىّ ، وقال :

« هذه العين الذى رأت مولانا » .

وأوصلت إليه السجل ، فقرأه سرًا مع كاتبه وترجمانه ، وأديت إليه الرسالة بينى وبينه ، فعهدى به يرتعد وينتفخ ويسودّ ، ويقول : نفعل والله ، وكتب بردٍّ زيادة الله بن الأديم إلى نظره ، وأقمنا مدة .

قال ابن أسباط : « فأنا راكبٌ معه ذات يوم إذ ورد إليه نجّاب بكتاب لطيف ، فقرأه عليه راكبا الترجمانُ ، فرأيته ضرب الفرس وحرّكه فأقامه وأقعده ، وهزّ رمحه فى وجوه رجاله يمينا وشمالا ، وجعل يقول : « أبلكين ، أمليح اسم أمه ؟ أزيرى ، أمليح اسم أبيه ؟ أمناد ، أمليح اسم جده ؟ » .

قال : « فقلت فى نفسى : خبرٌ ورد إليه سرّه ، وأدرت فكرى فوقف فى أن مولانا المعز مات » .

فنظر إلى وجهى متغيرا ، فأخذنى ونزل إلى دار إمارته ، فأدار إلىّ وجهه ، وقال :

« مالك تغيّر وجهك ؟ » .

فقلتُ له :

« مات مولانا المعز ، فأحسن الله عزاك عنه » .

فقال :

« من أخبرك ؟ » .

قلت :

« أنت أخبرتنى » .

قال :

« وكيف ! » .

قلتُ :

« رأيتك قد عملت بعد قراءة الكتاب عليك مالا أعرفه منك » .

فقال :

« قد صدقتَ ، قد مات مولانا المعز » .

قلت له :

« فيقدر أن أحدا لايقوى من بعده فى مجلسه » .

فقال :

« لابد من ذلك » .

فقلت له :

« ينبغى أن تنتظر كتاب ولده الذى أتى من بعده ، فسيأتيك ماتحب » .

قال :

« صدقت ، واكتم ماجرى ، ولكن يا ابن اسباط. بعدت مصر من المغرب ، وقد صار المغرب والله فى أيدينا إلى دهر طويل » .

وأقمتُ ، فورد كتاب العزيز إليه يعزيه ويوليه ، فسُرَّ وخلع عليّ ، وسيَّرنى » .

قال ابن سعيد عن كتاب « سيرة الأئمة » لابن العلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن مهذب .

وأورد ليوسف بن زيرى خطبةً كتب بها إلى العزيز بن المعز جوابا عن كتابه يقول فيها :

« وأعوذ بالله أن أقول ما شنَّعه أهل الزور والجحود ، بل أنا عبدٌ من عبيده ، أيَّدنى بنور هدايته ، وألبسنى قميص حكمته ، وتوَّجنى بعزٍّ سلطانه ، وحمَّلنى أثقال علم ربوبيته ، واختصنى بنفسِ كلايته ، وذكر أنه ولى عهده بعد ابنه الشاعر تميما ثم عزله ، وولى ابنه عبد الله إفريقية ، ثم ولى ابنه بمصر العزيز الذى صحَّت له الخلافة بعده » .

قال ابن سعيد :

« وهذا أعجب ماسمعته فى تولية العهد ، لا أعلم لهذه الكائنة نظيرا » .

وقال ابن الطوير :

« لما دخل المعز قرأ أحد القراء عند دخوله ـ وكان منجما ـ :

« وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » .

فقال المعز : « العاقبة » .

فقال « حميدة » .

قال المعز : « الحمد لله » .

ومن أحسن ما مُدح به المعز قول الحسن بن هانئ فيه :

إذا أنت لم تعلم حقيقةَ فضله فسائل عليه الوحى المنزَّلَ تَعْلَمِ
فأُقْسِمُ لو لم يأْخذ الناسُ فَضْلَه عن اللهِ ، لم يعلم ولم يتوهَّمِ
وأىُّ قوافى الشعر فيك أَجولها وهل ترك القرآنُ مَنْ يَتَرَنَّمِ

وكان نقش خاتمه : « بنصر العزيز العلم ينتصر الإمام أبو تميم » .

وكان يُشَبَّه فى بنى العباس بالمأمون فى سفره من القيروان .

العزيز بالله أبو المنصور
ابن المعز لدين اللهُ أبى تميم معد

ابن المنصور بنصر الله أَبى الطاهر إسماعيل

ابن القائم بأَمر الله أَبى القاسم محمد

ابن المهدى عبيد الله

أمه أُم ولد ، واسمها درزان(1) .

وُلد بالمهدية يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

وولى العهد بمصر وبويع لسبع بقين من ربيع الآخر(2) سنة خمس وستين وثلاثمائة .

ومن كتاب ابن مهذب :

سمعت مولانا العزيز يقول :

« خرج مولانا المعز يومًا بمصر يمشى فى قصره ، وأنا ، وأخى تَميم ، وعبدُ الله ، وعَقيل ، نمشى خلفه ، فخطر ببالى أن قلتُ :

« تُرى يصير هذا الأمرُ إلىّ ، أو إلى أخى عبد الله ، أو إلى أخى تميم ؛ وإن صار(3) إلىّ ، تُرى أمشى هكذا وهؤلاء حولى ؟ » .

قال :

« وانتهى مولانا المعز إلى حيث أراد ، ووقفنا بين يديْه ، وانصرفتْ الجماعة ، وأراد

---

(1) كذا فى الأصل ، وقد ذكرها نفس المؤلف فى (الخطط ، ج ٤ ، ص ٦٧) باسم « درزارة » .

(2) عند (ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٤٧) : « الحادى عشر من ربيع الآخر » .

(3) الأصل : « صارت » والتصحيح عن المرجع السابق .

لانصراف ، فقال : « لاتبرح يا نزار » ، فوقفتُ حتى إذا لم يبقَ (١٤١ ا) أحدٌ بين يديْه غيرى استدنانى وقال :

« بحياتى يا نزار إذا سألتك عن شىء تصدقنى ؟ » .

قلت : « نعم يا مولانا » .

قال : « التفتُّ إليك [فرأيتك][1] وقد أعجبتْك نفسُك ، وأنت تنظر إلىّ وإلى نفسك وإلى أخوتك ، وأنا أسارقك النظرَ - وأنتَ لا تعلم - ، فقلتَ فى نفسك : تُرى هذا الأمر يصير إلىَّ وإخوتى حولى ؟ » .

قال : « فاحمرَّ وجهى ، ودنوتُ منه فقبَّلتُ بين يديْه[2] ، وقلتُ - وقد غلبنى البكاء : « يجعل الله جميعنا فداك » .

فقال : « دَعْ عنك هذا ؛ كان كذا ؟ » .

قلت : « نعم يامولانا ، فكيف عرفتَه ؟ » .

قال : « حزرتُه عليك ، ثم لم أجد نفسى تسامحنى فى إعجابك بنفسك على شىء سوى هذا الأمر ، فهو صائرٌ إليك ، فأَحْسِنْ إلى إخوتك وأهلك ، خار الله لك ووفَّقك » .

وقد تقدَّم أن المعزَّ لما مات كُتم موتُه إلى يوم النَّحْر فأُظهرتْ وفاتُه ، فركب العزيزُ بالمِظَلَّة ، وخَطَبَ بنفسه ، وعزَّى نَفْسَه ، والناسُ تسلِّم عليه بالخلافة ، وركب إلى قصره فسلَّم عليه عمَّاه : حَيْدَرة وهاشم ، وعمّ أبيه : أبو الفرات ، وعمُّ جدِّه : « أحمد بن عبيد الله » .

وقال ابن الأثير :

« لما استقرَّ العزيز فى الملك أطاعه العسكر واجتمعوا عليه ، وكان هو يدبِّر الأمر مُنذ مات والده إلى أن أظهره ؛ ثم سيَّر إلى المغرب دنانير عليها اسمه فُرِّقت فى الناس ؛ وأقرَّ يوسفَ ابن بُلُكّين على ولاية إفريقيَّة ، وأضاف إليه ما كان أبوه استعمل عليه غَيْرَ يوسف ، وهى

(١) مابين الحاصرتين عن (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٤٨)
(٢) النص عند ابن ميسر : « فقبلت يديه »

طرَابُلس وغيرها(١) ، فاستعمل عليها يوسفُ عُمَّالَه ، وعظم أمرُه ، وأمن ناحيةَ العزيز ، واستبدّ بالملك ، وكان يُظهر الطاعة مجاملةً لا طائل تحتها » .

وخُطب للعزيز بمكة بعد أن أرسل إليها جيشًا فحصرها ، وضيقوا على أهلها ومنعوهم الميرة ، فغلتْ الأسعارُ بها ، ولقى أهلُها شدةً شديدة .

وأما أخبار الشام : فإن أفتكين(٢) لم يزل طول مقامه بدمشق يكاتب القرامطة ويكاتبونه بأنهم سائرون إلى الشام ، إلى أن وافوْا دمشق بعد موت المعز فى هذه السنة ، وكان الذى وافى منهم : إسحاق ، وكسرى(٣) ، وجعفر ، فنزلوا على ظاهر دمشق ، ومعهم كثير من العجم أصحاب أفتكين الذين تشتتوا فى البلاد وقت وقعته مع الدَّيْلَم ، لقوهم بالكوفة فى الموقعات ، فأركبوهم الإبل ، وساروا بهم إلى دمشق ، فكساهم أفتكين وأركبهم الجبل ؛ فقوى عسكره بهم وتلقى(٤) أفتكين القرامطة وحمل إليهم وأكرمهم وفرح بهم ، وأمن من الخوف ؛ فأقاموا على دمشق أياما ثم ساروا إلى الرملة – وبها أبو محمود إبراهيم بن جعفر – فالتجأ إلى يافا ، ونزل القرامطةُ الرَّمْلَة ، ونصبوا القتال على يافا حتى مَلَّ كُلٌّ من الفريقيْن القتال ، وصار يحدِّث بعضُهم بعضًا .

وجبى القرامطة المال فأمن أفتكين من مصر ، وظنَّ أن القرامطةَ قد كفوه ذلك الوجه ، وعمل على أخذ الساحل ، فسار بمن اجتمع إليه ، ونزل على صَيْدا ، وبها ابن الشيخ ، ورؤساء المغاربة(٥) ، ومعهم ظالم بن موهوب العُقَيْلى ، فقاتلوه قتالا شديدًا ، فانهزم عنهم أميالا ،

---

(١) عند (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٦٤) : «وهى طرابلس وسرت واجد ابيه » .

(٢) كذا فى الأصل ، وهو عند (ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق) و (ابن الأثير : الكامل) : « الفتكين » .

(٣) أضيف فى هامش الأصل أمام هذا الاسم تعليق هذا نصه :

« كسرى بن أبى طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنابى ، طالب أصحابه بتسليم الأمر للمعز لدين الله ، لما كان يسمعه من أبيه وعمومته أنه الامام وصاحب الأمر والقائم والمهدى وصاحب الزمان ، فاجتمع عمومته ودعوه للمناظرة فى هذا فلما حضر معهم فى الدار خبطوه بسيوفهم حتى قتلوه » .

(٤) الأصل : (وتلقا » .

(٥) المؤلف ينقل هنا عن (ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق) مع بعض التصرف ، ونفس هذه الجمله عند ابن القلانسى : « فكان بها ابن الشيخ واليا ومعه رؤوس من المغاربة ومعهم ظالم .. الخ » .

فخرجوا إليه ، فواقعهم وهزمهم وقتل منهم ، وصار ظالم إلى صور ؛ فيقال إنه قُتل يومئذ أربعة آلاف من [عساكر](١) المغاربة ، قُطعت أيمانُهم وحملت إلى دمشق ، فطيف بها .

ونزل أَفتكين على عكَّا ، وبها جَمْعٌ من المغاربة ، فقاتلوه ، فسيَّر العزيز القائد جوهر بخزائن السلاح والأموال إلى بلاد الشام فى عسكر عظيم لم يخرجْ قَبْلَهُ مثلُه إلى الشام من كثرة الكُراع(٢) والسلاح والمال والرجال ، بلغت عِدَّتُهم عشرين ألفًا بين فارسٍ وراجل ، فبلغ ذلك أفتكين وهو على عكَّا ، والقرامطةُ بالرَّمْلة ، فسار أَفتكين من عكا ونزل طَبَرِيَة ، وخرج القرامطةُ من الرَّمْلَة ، ونزلها جوهر .

وسار إسحق وكسرى من القرامطة بمن معهم إلى الأَحْساء ، لقلة مَنْ معهم من الرجال الذين يلقون بها جوهر ، وتأَخر جعفر من القرامطة فلحق بأُفتكين وهو بطبرية ، وقد بعث فجمع فى حوران والبثنية ؛ وسار جوهر من الرملة يريد طبرية ، فرحل أَفتكين ، واستحثَّ الناس فى حمل الغَلَّة من حوران والبثنية إلى دمشق ، وصار أَفتكين إلى دمشق ، ومعه جعفر القَرْمَطى ، فنزل جوهر على دمشق لثمانٍ بقين من ذى القعدة فيما بين داريا والشَّماسِية ، فجمع أَفتكين أحداث(٣) البلد ، وأَمَّن من كان قد فزع منه . فاجتمع حُمَّال السلاح والذعَّار إليه ، (٤١ ب) ورئيسهم قسَّام .

---

(١) هذا اللفظ وارد فى الهامش بالأصل ، وفى المتن علامة تشير اليه .

(٢) الكراع السلاح ، وقيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح (اللسان) .

(٣) الأحداث جمع حدث ، ومعناها هنا الشبان الصغار ، وقد كان الأحداث يكونون نوعا من الحرس الوطنى ، ولعبوا دورا هاما فى مدن سوريا وبلاد الجزيرة فى المدة مابين القرنين الرابع والسادس الهجريين ، وخاصة فى مدينتى حلب ودمشق ، وكان عملهم الرسمى يشبه فى كثير عمل رجال الشرطة فقد كانوا مكلفين بحفظ النظام واطفاء الحريق ومأشبه ذلك من أعمال ، وعند الضرورة كانوا يسهمون فى اعمال الدفاع الحربى كأمداد لفرق الجيش العاملة . وكان الحدث يمنح راتبا من حصيلة بعض المكوس المدنية ، والفارق الوحيد بين « الاحداث » ورجال الشرطة هو طريقة تجنيدهم المحلية غير الرسمية التى جعلت لهم أثرا فعالا فى سير الحوادث ، فقد كانوا يكونون ـ كرجال مسلحين من أهل البلد ـ قوة مدنية فعالة لمواجهة السلطات السياسية ـ التى كانت فى معظم الأحوال تمثل أجانب عن البلد ـ أو لمواجهة أى عدو خارجى بصفة عامة . وكان يتولى قيادتهم فى الأوقات الحرجة (وعلى سبيل المثال فى دمشق بعد الفتح الفاطمى) عناصر وطنية من أهل البلد ، وكانوا فى غالب الأحوال ينقادون لزعامة الطبقة البورجوازية ،=

وأخذ جوهر فى حفر خندق عظيم على عسكره ، وجعل له أبوابا ، وكان ظالم بن موهوب معه ، فأنزله بعسكره خارج الخندق ، وصار أفتكين فيمن جَمَعَ من الدُّعار ، وأجرى لكبيرهم قسّام رزقًا .

ووقع النفير على قبة الجامع والمنابر ، وساروا فجرى بينهم وبين جوهر وقائع وحروب شديدة وقتال عظيم ، وقتل بينهم خلقٌ كثير من يوم عَرَفَة ، فجرى بينهم إثنتا عشرة وقيعة إلى سلخ ذى الحجة .

ولم يزل إلى الحادى عشر من ربيع الأول سنة ست وستين فكانت بين الفريقيْن وقعة عظيمة ، انهزم فيها أفْتِكين بمن معه ، وهمَّ بالهرب إلى أنطاكية ، ثم إنه استظهر .

ورأى جوهر أنِ الأموالَ قد تلفتْ ، والرجالَ قد قتلت والشتاء قد هجم ، فأرسل فى الصلح ، فلم يُجب أفْتِكين ، وذلك أن الحسيْن بن أحمد الأَعْصَم القَرْمَطى بعث إلى ابن عمه جعفر المقيم عند أفْتِكين بدمشق : « إنى سائرٌ إلى الشام » ، وبلغ ذلك جوهر ، فترددت الرسلُ بينه وبين أفْتِكين حتى تقرَّر الأمر أن جوهر يرحل ، ولا يتبع عسكره أحد ، فسُرَّ أفتكين بذلك ، وبعث إلى جوهر بجمال ليحمل عليها ثقله لقلة الظهر عنده ؛ وبقى من السلاح والخزائن ما لم يقدر جوهر على حمله فأحرقه ، ورحل عن دمشق فى ثالث جمادى الأولى .

وقدم البشير من الحسن بن أحمد القَرْمَطى إلى عمه جعفر بمجيئه ، وبلغ ذلك جوهر ، فجدَّ فى السير ، وكان قد هلك من عسكره ناسٌ كثير من الثلج ، فأسرع بالمسير من طبريةِ ،

= ويكونون من أنفسهم هيئة من المؤيدين لأسرة أو أسرتين من كبار الأسر فى المدينة ، ومنها يختار قائدهم الذى كان يلقب بلقب « الرئيس »، وكان هذا الرئيس يفرض على السلطات الرسمية أن تعترف به « كرئيس للبلد » وهو نوع من العمدة أو المحافظ ، وكان نفوذه يماثل أو يفوق أحيانا نفوذ القاضى وقد اضمحل نظام الأحداث وانتهى عندما أسس السلاجقة وخلفاؤهم من الأتابكة نظام الشحنة أو الشحنكية ، وعينوا لكل مدينة شحنة تعاونه حامية من جنود الجيش النظاميين. هذا وقد وردت نصوص كثيرة تشير الى «الأحداث » فى : (ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، نشر آمدروز ، وانظر المقدمة التى كتبها جب للترجمة الانجليزية لهذا الكتاب) و (ابن العديم زبدة الطلب فى تاريخ حلب ، نشر سامى الدهان) و (ابن الأثير : الكامل) و (سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان) .. الخ وانظر كذلك :

(C. Cahen: art: Ahdath. in Enc. Isl. 2nd edition).

ووافى[1] الحسن بن أحمد من البرية إلى طبرية ، فوجد جوهر قد سار عنها ، فبعث خلفه سرية أدركته ، فقابلهم جوهر ، وقتل منهم جماعة ، وسار فنزل ظاهر الرملة ، وتبعه القرمطى ، وقد لحقه أفتكين ، فسارا إلى الرملة ؛ ودخل جوهر زيتون الرملة ، فتحصّن به ، فلما نزل الحسن بن أحمد القرمطى الرملة هلك فيها ، وقام من بعده بأمر القرامطة ابنُ عمه أبو جعفر ، فكانت بينه وبين جوهر حروبٌ كثيرة .

ثم إن أفتكين فسد ما بينه وبين أبى جعفر القرمطى ، فرجع عنه إلى الأحساء ، وكان حسّان ابن على بن مفرِّج بن دَغْفَل بن الجرَّاح الطائى أيضا مع أفتكين على محاربة جوهر ، فلم يَرَ منه ما يحب ، وراسله العزيز فانصرف عن أفتكين ، وقدم القاهرة على العزيز ، واشتدَّ الأمر على جوهر ، وخاف على رجاله ، فسار يريد عسقلان ، فتبعه أفتكين .

واستولى قسّام على دمشق وخطب للعزيز ، فسار أبو تَغْلِب بن حَمْدان إلى دمشق ، فقاتله قسّام ومنعه ، فسار إلى طبرية .

وأدرك أفتكين جوهر ، فكانت بينهما وقعة امتدت ثلاثة أيام انهزم فى آخرها جوهر ، وأخذ أصحابَه السيفُ ، فجلوا عما معهم ، والتحقوا بعسقلان ، فظفر أفتكين من عسكر جوهر بما يعظم قدره ، واستغنى به ناسٌ كثيرون .

ونزل أفتكين على عسقلان ، فجدَّ جوهر حتى بلغ من الضر والجهد مبلغا عظيما ، وغلت عنده الأسعار ، فبلغ قَفيز القمح أربعين دينارا ، وأخذت كتامة تسبُّ جوهر وتنتقصه ، وكانوا قد كايدوه فى قتالهم ، فراسل أفتكين يسأله : ماذا يريد بهذا الحصار ، فبعث إليه :

« لايزول هذا الحصار إلا بمال تؤدِّيه إلىَّ عن أنفسكم » .

فأجابه إلى ذلك ؛ وكان المال قد بقى منه شىء يسير ، فجمع من كان معه من كتامة ، وجمع منهم مالًا ؛ وبعث إليه أفتكين يقول :

« إذا أمَّنتكم لا بد أن تخرجوا من هذا الحصن من تحت السيف »

وأمَّنهم ، وعلَّق السيفَ على باب عسقلان ، فخرجوا من تحته .

---

(1) الأصل : وافا .

وسار جوهر إلى مصر ، فكان مدة قتالهم على الزيتون وقفلتهم إلى عسقلان حتى خرجوا منها نحوا من سبعة عشر شهرا - بقيَّةَ سنة ست إلى أن دنا خروج سنة سبع وستين - .

وقدم جوهر على العزيز ، فأخبره بتخاذل كتامة ، فغضب غضبا شديدا ، وعذر جوهر فى باطنه ، وأظهر التنكير له ، وعزله عن الوزارة ، وولَّى يعقوب بن كِلِّس عِوَضَه فى المحرَّم سنة ثمانٍ وستين .

وخرج العزيز فضُربت له خيمة ديباج رومىّ عليها صُفْرِيَّة[1] فضة ، فخرج إليه أهلُ البلد كلُّهم حتى غُلِّقت الأبواب ، وسألوه فى التوقف عن السفر ، فقال :

« إنما أخرج للذبِّ عنكم ، وما أُريد ازديادًا[2] فى مال ولا رجال » .

وصرفهم .

ومنع العزيز فى هذه السنة - وهى سنة سبع وستين - النصارى من إظهار ما كانوا يفعلونه فى الغطاس[3] : من الاجتماع ، ونزول الماء ، وإظهار الملاهى ، وحذَّر من ذلك .

وسار [٤٢ ا] العزيز ، وعلى مقدمته حسَّانُ بن على بن مفرج بن دغفل بن الجرَّاح الطائى ، فتنحَّى[4] أفتكين عن الرملة ، ونزلَ طبرية .

واتفق أن عَضُدَ الدولة أبا شجاع فَنَّاخُسرو بن ركن الدين أبى يحيى الحسن بن بُوَيْه أخذ بغداد من ابن عمه بختيار بن أحمد بن بُوَيْه ، فسار بختيار إلى الموصل ، واتفق مع أبى تَغْلِب الغضنفر بن ناصر الدولة ابن حمدان على قتال فَنَّاخُسرو ، فسار إليهم فَنَّاخُسرو وأوقع بهم ، فانهزموا ، وأسر بختيار وقتله ، وفرّ حينئذ من أولاد بختيار إعزاز الدولة المَرْزُبان ، وأبو كاليجار وعَمَّاه[5] : عمدة الدولة أبو إسحاق ، وأبو طاهر محمد ، ابنا معز الدولة أحمد بن بويه ، وساروا

---

(١) الصفرية اناء من النحاس الأصفر ؛ قدر أو دست، ويبدو أن معناها هنا كرة من النحاس الأصفر تعلو الخيمة . انظر (Dozy ; Supp. Dict. Arab.)

(٢) الأصل : « ازدياد » .

(٣) ليلة الغطاس هى الليلة الحادية عشرة من طوبة ، انظر الكلام عن الاحتفال بالغطاس فى مصر الاسلامية فى : (المسعودى :مروج الذهب) و (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٢) .

(٤) الأصل : « فتنحا » .

(٥) الأصل : « وعماده » وماأثبتناه تصحيح يقتضيه السياق .

إلى دمشق فى عسكر ، فأكرمهم خليفة أفتكين ، وأنفق فيهم ، وحملهم وصيَّرهم إلى أفتكين بطبرية ، فقوى بهم ، وصار فى اثنى عشر ألفا ، فسار بهم إلى الرملة ، ووافى[1] بها طليعة العزيز ، فحمل عليها أفتكين مرارًا ، وقتل منها نحو مائة رجل ، فأقبل عسكرُ العزيز فى زُهاء سبعين ألفًا ، فلم يكن غير ساعة حتى أُحيط بعسكر أفتكين ، وأخذوا رجاله ، فصاح الدَّيْلم الذين كانوا معه :

« زِنْهار ، زِنْهار[2] » ، يريدون : « الأمان ، الأمان » .

واستأمن إليه أبو إسحق إبراهيم بن معز الدولة ، وابن أخيه إعزاز الدولة ، والمَرْزُبان بن بختيار ؛ وقتل أبو طاهر محمد بن معز الدولة ، وأُخذ أكثرهم أسرى ، ولم يكن فيهم كبير قتلى ، وأخذ هفتكين[3] نحو القدس ، فأُخذ وجىء به إلى [حسَّان بن على بن][4] مفرج ابن دغفل بن الجرَّاح ، فشدَّ عمامته فى عنقه ، وساقه إلى العزيز ، فشُهِّر فى العسكر ، وأسنيت الجائزة لابن الجرَّاح .

---

(١) الأصل : « ووافا » .

(٢) زنهار كلمة فارسية بمعنى الدفاع أوالحماية أو الأمان . راجع أيضا :
(Dozy ; Supp. Dict Arab.)

(٣) هكذا ورد الاسم فى الأصل ، مرة « أفتكين » وأخرى « هفتكين » .

(٤) أضفنا مابين الحاصرتين لتصحيح الاسم .

وكانت هذه الوقعة لسبعٍ بقين من المحرم سنة ثمانٍ وستين .

فورد كتاب العزيز إلى مصر بنصرته على أفتكين ، وقَتْلِ عدة من أصحابه وأَسْره ، فقُرِئَ على أهل مصر فاستبشروا وفرحوا .

وكتب أبو إسماعيل الرسِّى إلى العزيز يقول :

« يامولانا : لقد استحق هذا الكافر كلَّ عذاب ، والعجب من الإحسان إليه » .

فلم يرد عليه جوابا .

وسار العزيز ـ ومعه أفتكين ـ مكرمًا من الرملة ، وبقية الأسرى إلى مصر .

قال المُسَبِّحى :

فخرج الناس إلى لقائه وفيهم أبو إسماعيل الرسِّى ، فلما رآه العزيز قال :

« يا إبراهيم : قرأتُ كتابك فى أمر أفتكين ، وفيما ذكرتَه ، وأنا أُخبرك : اعلم أنَّا وعدناه الإحسان والولاية[1] فما قبل ، وجاء إلينا فنصب فازاته وخيامه حذاءنا ، وأردنا منه الانصراف فلجَّ وقاتل ، فلما وَلَّى منهزمًا وسرتُ إلى فازاته[2] ودخلتُها سجدتُ لله الكريم شكرًا ، وسألته أن يفتح لى بالظفر به ، فجىء به بعد ساعة أسيرا ؛ تُرى يليق بى غير الوفاء ؟ ! » .

فقبَّل أبو إسماعيل رجلَه .

ودخل العزيز إلى القاهرة ومعه أفْتِكين والأسرى ، وعليه تاجٌ مرصَّعٌ بالجوهر ، فأنزل أفْتِكين فى دار ، وأوصله بالعطاء والخِلَع حتّى قال :

« لقد احتشمتُ من ركوبى مع مولانا العزيز بالله ونظرى إليه مما غمرنى من فضله وإحسانه » .

فلما بلغ العزيزَ ذلك ، قال لعمِّه حَيْدَرَة :

---

(١) الأصل : « الولاء » وقد صححت بعد مراجعة (المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ٦٦) .

(٢) الفازة بناءة من خرق وغيرها ، تبنى فى المعسكرات ؛ والجمع « فاز » و « فازات » وقال الجوهرى : « والفازة مظلة تمد بعمود ، عربى فيما أرى » (اللسان) .

« يا عمٌّ : أحب أن أرى النِّعَمَ عند الناس ظاهرة ، وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهرة ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار ، وأن يكون ذلك كلُّه من عندى » .

وبلغ العزيزَ أن الناسَ من العامة يقولون :

« ماهذا التركى ؟ »

فأمر به فشُهِّر فى أجمل حال ، فلما رجع من تطوافه وهب له مالاً جزيلا ، وخلع عليه . وأمر الأولياء بأن يدعوه إلى دورهم ، فما منهم إلا مَنْ أضافه ، وقاد إليه ، وقاد بين يديْه دوابًّا .

ثم سأله العزيزُ بعد ذلك :

« كيف رأيتَ دعوات أصحابنا »

فقال :

« يا مولاى : حسنةٌ فى الغاية ، وما فيهم إلا مَنْ أنعم وأكرم » .

وكان الذى أنفق العزيزُ على هَفْتِكين حتى أسره ألف ألف دينار

وقال العزيزُ عند خروجه إلى حربه لحسين الرابض :

« كم عدد ما تحت يدك من الدواب » ؟

فقال :

« عشرة آلاف رأس » .

فقال العزيز :

« لقد أوجلتنى يا حسين » .

وفيها نافق حمزةُ بن نعله[1] الكتامى ـ متولى أسوان ـ ، فخرج إليه جعفرُ بن محمد

(١) هكذا فى الأصل دون نقط ، ولم أجد فى المراجع التى بين يدى مايعين على ضبط الاسم .

ابن أبي الحسين الصِّقلِّي ، وأخذه وأتى به وبأمواله ، فأنعم بها العزيز على هَفْتِكِين ، ودفعه إليه فقتله شَرَّ قتلة .

وفيها قَدِمَ حسَّانُ بن علي بن مفرج بن دغفل بن الجرَّاح الطائي على العزيز ، فخلع عليه ، وحُمل على خمسة أرؤس (٤٢ ب) من الخيل ، وقاد إليه – بين يَديه – خمسة أحمال مال ، وأنزله دارًا .

وفيها جُهِّز الفضلُ بن صالح على جيشٍ إلى الشام ، وقُلِّد الشامَ كلَّه ، ولُقِّب بالقائد ، وخُلع عليه ثوبٌ مذهَّب ، ومنديلٌ مذهَّب ، وقُلِّد بسيف محلىً[1] بذهب ، وحُمل على فرس ، وبين يديْه أربعةُ أفراس بمراكبها ، ومائةُ ألف درهم ، وخمسون قطعة من الثياب الملونة ؛ فركب بالطبول والبنود ، وسار .

وخرجت قافلة الحاج في ذي القعدة ، وفيها صِلاتُ الأشراف ، والقمح والشعير والدقيق والزيت ، وسائر الحبوب والزيت ، ومحرابٌ من ذهب[2] للكعبة .

وفيها كان بمصر وباءٌ عظيم ، مات فيه خلائق ، فحكى بعضُ من سمع نواب السلطان يقول :

« الذى قُبر من الديوان[3] سبعة آلاف وسبعمائة وستون[4] ، سوى من لم يُعْلَم بموته ، أما من دُفن بلا كفن فكثير » .

---

(١) الأصل : « محلا » .

(٢) هذا المحراب من الذهب الذى أرسله العزيز للكعبة يسترعى الانتباه ، وهذا النص يدل على مبلغ عناية الخلفاء الفاطميين بالكعبة وبالحج وقافلته ، مع ملاحظة أن أحدا من خلفاء الفاطميين لم يخرج لأداء فريضة الحج ، راجع المقدمة التى كتبتها لكتاب (المقريزى : الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك ، نشر وتحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة؛ ١٩٥٥) .

(٣) لاحظ استعمال « الديوان » هنا بمعنى موظفى الدواوين .

(٤) الأصل : « وستين » .

وكان الماء فى المقياس خمسة[1] أذرع وثلاثا وعشرين إصبعًا ، وبلغ خمسة عشر ذراعا[2] وتسعة عشر[3] إصبعا .

وأما بلاد المغرب فإن الأمير أبا الفتوح يوسف بن زَيْرى كتب إلى العزيز فى سنة سبع وستين يسأله فى طرابلس وسرت وأجدابيه ، وكان عليها عبد الله بن خاف ، فأنعم له بها ، فرحل عنها عبد الله ، وتسلمها[4] أبو الفتوح .

وفى سنة ثمانٍ كتب أبو طالب أحمد بن أبى القاسم محمد بن أبى المنهال - قاضى المنصورية - إلى العزيز يسأله فى القدوم ، فأجابه إلى ذلك ، فسار بأهله وأولاده فى آخر شوّال ، وقدم القاهرة ، فأجرى له العزيزُ فى كلٍّ سنة ألفَ دينار .

وكتب أبو الفتوح إلى العزيز يشاوره مَنْ يولِّى القضاء ؟ فكتب إليه :

« قد رددتُ هذا الأمر إليك ، فولِّ مَنْ شئتَ » .

فاختار محمدَ بن إسحق الكوفى ، وولَّاه آخر ذى الحجة سنة ثمانٍ وستين ، وكتب إلى العزيز يخبره بذلك ، فأجاز فعله ، وبعث إليه سِجِلاً بالقضاء[5] .

وفى يوم الاثنين لخمس خلوْن من جمادى الآخرة سنة خمس وستين سيَّر الأميرُ أبو الفتوح الهديةَ من رَقَادَة ، ومعها المال مع محمد بن صالح - صاحب بيت المال - ، وعيسى بن خلف المرصدى ، وقائد المهدية زروال بن نصر ، فقدموا إلى القاهرة والعزيزُ آخذٌ فى حركة السير لحرب هَفْتِكين ، فأمر برد المال الذى أحضره الأميرُ زيْرى مع الهدية ، وذلك أن عبد الله بن محمد الكاتب لما وصل إليه السجلُّ من العزيز بموت أبيه المعز وقيامه بعده فى الخلافة ، قرأه على الناس بالمنصورية من القيروان ، وفرّق ما بعثه العزيزُ من الدنانير والدراهم التى ضُربت باسمه على رجال الدولة ، ثم بسط رداءه ، وألقى فيه دنانير ، وقال :

---

(١) الأصل : « خمس » و « ثلاث » .
(٢) الأصل : « خمس عشرة » .
(٣) الأصل : « تسع عشرة » .
(٤) الأصل : « وسلمها » .
(٥) لاحظ أن الخليفة الفاطمى كان يصدر السجلات من القاهرة بتعيين القضاة فى المغرب

« ليُلْقِ كُلٌّ واحدٍ فيه ما يستطيع من التقرب » .

ثم جمع أهلَ القيروان وصادرهم ، فأخذ من عشرة آلاف دينار إلى دينار واحد ، حتى عَمّ أكثر أهل البلد وسائر أعمال إفريقية ، فجبى[1] زيادة على أربعمائة ألف دينار عَيْنًا .

فلما بلغ ذلك العزيز كتب برد المال لأربابه ، فرأى عبد الله بن محمد بِرَدِّ المال نقضا[2] عليه وحمله إلى العزيز مع الهدية ، وجعل مال الهدية خاصة فى صُرَرٍ ، وكتب على كل صُرّة اسمَ صاحبها ، فردَّ العزيزُ صُرَرًا نفيسة إلى أصحابها ، وهم يومئذ بمصر ، وأمر بردِّ باقى المال إلى المغرب ليُفرَّق على أربابه ، فقال له الوزير يعقوبُ بن كِلِّس :

« هذه أموال عظيمة ، ونحن محتاجون إليها للنفقة على هذه العساكر ، وإن رجعتَ أمرت بردها إليهم من بيت المال » .

فقبل منه ، وأنفقها على العسكر .

---

(١) الأصل : « فجبا » .

(٢) كذا فى الأصل ، والتعبير ركيك ، والمقصود أن عبد الله رأى أن رد المال يعتبر نقضا لما فعل .

ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة

فى أول . . . .[١]

وفيها استحضر أخويه وعميه وجماعة من أهله ، ورسم لهم الأكل معه على مائدته .

وفيها أرسل أفلحُ - أميرُ برقة - للعزيز هدية ، فيها مائتا فرس مجلَّلة[٢] ، ومائة بغل مجلَّلة ، ومائة وخمسون بغلا بأُكُف ، وخمسمائة جمل ، ومائة نجيب ، ومائة صندوق فيها المال .

وفيها سار ناصر الدولة أبو تَغْلِب من طَبَرِيَة إلى الرَّمْلَة - فى المحرم - وبها الفضلُ بن صالح ، وقد انضمَّ إليه دُغْفُل بن مُفَرَّج بن الجرَّاح ، فقاتلا أبا تَغْلِب قتالًا كثيرا حتى لم يبقَ معه إلا نحو سبعمائة من غِلْمانه وغِلْمان أبيه ، فولّى منهزما ، وأتبعوه ، فأُخذ وقُتل ، وبعث الفضلُ ابن صالح برأسِ أبي تَغْلِب بن ناصر الدولة بن حَمْدان ، وعِدَّة أسارى ، فأمر العزيز بإطلاق الأسرى ، وقدَّم هديته - وهى :

أحمال محزومة ، ومائتا فرس ، وخمسون بختيا ، ومائة بغل ، ومائة ناقة ، فخُلع عليه . [١٤٣ ا] وأركب على فرس ، وقِيد بين يديه خمسةُ أفراس ، ومائةُ قطعة من الثياب ، وعشرون ألف دينار .

وكان من خبر الفضل بن صالح أن العزيز لما سار من الرَّمْلَة بأفْتِكين إلى مصر جعل بلد فلسطين لمُفَرَّج بن دُغْفُل بن الجرَّاح الطائى ، فأنفذ إلى دمشق واليا من المغرب ، يُقال له حميدان بن جواس العُقَيْلى فى نحو مائتى رجل ، وقد غلب عليها قسَّام التراب السقاط. عندما وردت عليه كتب العزيز عند مسيره إلى محاربة أفتكين . . . . . .[٣] من ورائه فأظهر

---

(١) بياض بالأصل مقدار ثلاث كلمات .

(٢) جاء فى (اللسان) : « جل الدابة - وجلها - (بفتح الجيم وضمها) الذى تلبسه لتصان به ، والجمع جلال واجلال » ، ثم قال « وجمع الجلال أجلة ؛ وجلال كل شىء غطاؤه ، وتجليل الفرس أن تلبسه الجل » .

(٣) هنا نحو ثلاث كلمات ممحوة بالأصل.

قسَّامُ الكتبَ وقرأها فى الجامع ، ووعد الرعية بالإحسان ، وبترك الخراج لهم إن منعوا أفْتِكين من دخول البلد فقصدتْ يدُ الرياشى نائب أفتكين عنه ، لقوة قسَّام ، وكثرة أصحابه ، ودالتهم بأنهم قاتلوا جوهرًا القائد ومنعوه من البلد ، فأخذ الخفارة من القرى وأنفق سوق الرياشى ، فتمكَّن وأمن ، وكثر الطامعُ فى البلد ، فولى أفْتِكين رجلا يقال له « تِكين » من الأتراك ، فلم تنبسط. يدُه لكثرة مَنْ غَلَبَ على دمشق من أهل الشر ، فلما نزل أخوا[1] بختيار دمشق قوى تِكين ، وأراد أن يقهر قسَّامًا ، فأوقع بطائفة من أصحابه بالغوطة ، ثم اصطلحا .

وكان من مجئ القرامطة ما ذُكر ، فنزلوا على دمشق ، فمنعهم قسَّام من البلد ، وعمل على قتالهم ، فصار له بذلك يدٌ عند العزيز ، فلما رحلوا إلى بلادهم ، وتمكن ابنُ الجرَّاح من فلسطين إلى طبرية ، استولت فزارة ومرة على حوران والبثنية وخربتها حتى بطل الزرع منها ، وجلا أهلها ، فهلكوا من الضُرّ ، وصار كثيرٌ منهم إلى حِمْص وحَمَاة وشَيْزَر وأعمال حَلَب ، فعمرتْ بهم البلاد .

ثم إن قسَّامًا وقع بينه وبين حُمَيْدان العُقَيْلى ، فثار به ونهبه ، ففر منه ، وقوى قسَّام ، وكثرتْ رجالُه ، وزاد مالُه ، فوَلِيَ دمشقَ بعد حُمَيْدان أبو محمود فى نفرٍ يسير ، فكان تحت يد قسَّام ، لا أمر له ولا نهى .

واتفق فى هذه السنة أن وَلِيَ دمشقَ ظالمٌ بن موهوب العُقَيْلى ، والقَرْمَطى ، ووشَّاح ، وحُمَيْدان ، وأبو محمود .

وكانت واقعة فَنَّاخُسرو مع بختيار بالعراق ، فكان ممن انهزم أبو تغلب فضلُ الله بن ناصر الدولة ابن حَمْدان ، فسارت خلفه عساكر فَنَّاخُسرو ، وكتب فيه إلى الأكراد والروم أن لايجيره أحدٌ ، ففر أبو تَغْلب إلى آمِد ، وسار منها إلى الرَّحْبَة ، وكتب إلى العزيز أن يقيم فى عمله ، وسار فى البر إلى حوران ، فنزل على دمشق ، وكتب العزيز إلى قسَّام يمنعه من البلد ، فمنعه ، ثم أذن أن يتسوَّقَ أصحابُه من المدينة .

وطمع أبو تَغْلِب فى ولاية دمشق من قِبَل العزيز ، فخافه قسَّام ، وأشير على العزيز فى مصر

(١) الأصل : « أخوى » .

أن لا يُمَكِّن ابن حمدان من دمشق ، فإنه إن مُكِّن عَظُمَ شرُّه ، فكوتب بكل مايحب ، وكتب إلى قسّام بأن لايُمَكِّنه .

هذا وأبو تَغْلِب بن حمدان نازلٌ بظاهرِ المزَّة ، فأقام شهورا ، وثقل على قسّام مقامُه ، وخاف أن يَلِيَ البلدَ ، فأَكْمَنَ لأصحابه فى البلد ، وأخذ منهم سبعين ، وقتل جماعةً ، وسلب الباقى ، فلحقوا بأَبى تَغْلِب ، فلم يُطقْ فِعْلَ شىء ، وكتب إلى العزيز ، وكتب قسّام أيضا : « بأن أبا تغلب قد حاصرَ البلدَ ، ومدَّ يدَه إلى الغوطة ، وقتل رجالى ، ونحن على الحرب معه » ، فخرج الفضل بن صالح – كما تقدَّم – ونزل الرملة ، وبُعث إلى ابن الجرَّاح من مصر بسجلٍّ فيه ولايته على الرملة .

وكان أبو تَغْلِب قد سار عن دمشق ، وسار الفضلُ ، فنزل طبرية ، واجتمع به أبو تغلب بمكاتبة ، وقرَّر معه أن يكون على الرملة ، وقدم الفضلُ دمشق .

فجبى[1] الخراج ، وزاد فى العطاء ، واستكثر من الرجال ، وخرج عنها ، فأخذ طريق الساحل .

وكان أبو تَغْلِب قد استولى على أهراء[2] كانت بحوران والبثنية ، فاجتمعت إليه العرب من بنى عُقَيْل ، فيهم شِبْلُ بن معروف العُقَيْلى ، فسار بهم إلى الرملة فخرج منها ابن الجرَّاح ، وأخذ فى جمع العرب ، وهو واثق بأن الفضل معه على أبى تغلب ، وفى ذهن أبى تغلب أن الفضل معه على ابن الجرَّاح ، ونزل الفضلُ عسقلان ، فواقع ابنُ الجراح بجموعه أبا تغلب ، وأدركه الفضلُ ، فاجتمع العسكران ، وفَرَّ مَنْ كان مع أبى تغلب ، فلحقوا بالفضل ، ووقع القتال ، فانهزم أبو تغلب ، وأدركه القوم ، فأُخذ وحُمل إلى ابن الجراح ، فأركبه جملا ، وشُهِّر بالرملة ، ونُزع جميع ماعليه حتى بقى بثوب رقيق ، وحبسه ، فطلب شيئا يتوسد عليه ، فقال ابن الجرَّاح :

---

(١) الأصل : « فجبا » .

(٢) عرف صاحب القاموس الهرى (ج : أهراء) بأنه بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان والذى جرى عليه مصطلح الدول الاسلامية أن الاهراء هى الاماكن التى تخزن بهاالغلال والأتبان الخاصة بالخليفة أو السلطان احتياطا للطوارىء وكانت لا تفتح الا عند الضرورة ؛ والأهراء غير الشون (مفرد : شونة) التى كان يخزن بهامايستهلك طول السنة من غلال وأحطاب وأتبان أنظر :(المقريزى : اغاثة الأمة ، ص ٢٨ ، حاشية ٤) .

« اجعلوا تحته شَوْكًا يتوسده » :

فحُمل إليه ، وقالوا له :

« توسّد بهذا » .

فأغلظ في القول ، وشتم ابن الجراح ، فبلغه ذلك ، فغضب ، وأمر بقتله ، فقتل ، وأحرق ليومين بقيا من صفر سنة [٤٣ ب] تسع وستين . وبُعث برأسه إلى العزيز مع الفضل ، وخلت الديارُ لابن الجرّاح ، فأتت طَيٌّ عليها فتعطلتْ الزروع من القرى .

وكان فنّاخُسرو البُوَيْهى قد عزم على إرسال العساكر إلى مصر ، فخالف عليه أخٌ له ، واستنجد بصاحب خُراسان ، فأمدّه بعساكر عظيمة ، فسيّر إليه فَنّاخُسرو العساكر من بغداد ، فشُغل بذلك عن مصر .

وفيها وُلد للوزير يعقوب بن كِلّس ولدٌ ذكر فأرسل إليه العزيز مهدًا من صَنْدل مرصّعًا[١] وثلاثمائة ثوب ، وعشرة آلاف دينار عزيزية ، وخمسة عشر فرسا بسروجها ولُجُمها ، منها اثنان ذهب ، وطيب كثير ، فكان مقدار ذلك مائة ألف دينار .

وعقد العزيزُ على امرأةٍ فأصدقها مائتى ألف دينار ، وأعطى الذى كتب الكتاب ألف دينار ؛ وخلع على القاضى والشهود ، وحملهم على البغال ، فطافوا البلد بالطبوْل والبوقات .

وبعث متولى برقة هديةً ، وهى : أربعون فرسا بتجافيف[٢] ، وأربعون بغلا بسروجها ولُجُمها ، وستة عشر حملا من المال ، ومائة بغلة ، وأربعمائة جمل .

وجُهّز الحاج وكسوة الكعبة[٣] ، وصِلات الأشراف ، والطيب والشمع والزيت فبلغ مصروف ذلك مائة ألف دينار

(١) الأصل : « مرصع » .

(٢) التجفاف ـ والجمع تجافيف ـ ماجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ـ وفرس مجفف عليه تجفاف (اللسان) .

(٣) لاحظ أن الكسوة كانت ترسل الى الكعبة من مصر منذ أوائل العصر الفاطمى ، راجع: (المقريزى : الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك ، نشر وتحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٥) .

وكثر حلف الناس برأس أمير المؤمنين ، فنودى :

« برئت الذمة من أحدٍ قال هذا ، وحلّتْ به العقوبة ، فلا يَحلفنَ إلا بالله وحده » .

فانتهى الناس .

وفيها قدم كتّابُ ومغنين[1] ابنا زَيْرى بن مُنَادٍ إلى القاهرة فارّيْن من سجن أخيهما الأمير أبى الفتوح يوسف بن زَيْرى ، فأكرمهما العزيز ، وخلع عليهما ، ووصلهما .

وفيها أخرج العزيزُ باديسَ بن زيْرى من القاهرة فى خيل كثيرة إلى مكة مع الحاج ، فلما وصل إلى مكة أتا الطرّارون[2] فقالوا :

« نتقبل هذا الموسمَ بخمسين ألف درهم » .

فقال لهم :

« اجمعوا أصحابكم حتى أعقد هذا على جميعهم » .

فلما اجتمعوا أمر بقطع أيديهم ، وكانوا نيفا وثلاثين رجلا ، فقطعوا أجمعين .

وأما الشام فإن العزيزَ بعث سَلْمان بن جعفر بن فَلَاح فى أربعة آلاف ، فنزل الرملة ــ وبها ابنُ الجرّاح ــ فتباعد ، وقد استوحش كلٌّ منهما مِنْ صاحبه ، فأقام أيامًا ، ورحل إلى دمشق ، فوجد قسّاما قد غلب عليها ، فنزل بظاهر البلد ، وقد ثقل على قسّام ، وأراد سَلْمان يأمر وينهى فى البلد فلم يقدر على ذلك ، وطال مُقَامُه فى غير شىء ، وقلّ المالُ عنده ، وأراد إقامة الحُرْمَة فأمر قسّاما ألا يحمل أحدٌ السلاحَ ، فأبوْا عليه ، وبعث إلى الغوطة ينهاهم عن حمل السلاح :

« وأن لا يعارضوا السلطانَ فى بلده ، ومَنْ وجدناه بعد هذا يحملُ السلاحَ ويأخذ الخِفارة ضربنا عنقه » .

فقال لهم قسّام : « لا نفكر فيه ، كونوا على ما أنتم عليه » ، وطاف العسكرُ الغوطة ، فوجدوا قوما يحملون السلاح ، ويأخذون الخِفارة ، فقطعوا رءوسهم ، فثار قسّامُ ومَن معه إلى

(١) كذا فى الأصل ، وليس فى المراجع ما يعين على ضبط الاسم .

(٢) هكذا فى الأصل ، ولم أجد لهذا اللفظ معنى فى المعاجم ، ولعلها « الطوافون » .

الجامع ، وثار الغوغاء ، وأخرج إلى سلمان قوما فقاتلوه ، وأقام بالجامع ومعه شيوخ البلد ، وكتب محضرا أشهد فيه على نفسه أنه متى جاء عسكرا من قبل فنّاخسرو[1] ، وأغلق البلد وقاتلهم ، وكتب بما جرى ، وسيَّر ذلك إلى العزيز ، فبعث إلى سَلْمان أن يرحل عن دمشق ، فرحل بعد ما أقام شهورا .

وقدم أبو محمود من طبرية بعد مسير ابن فلاح فى نفرٍ ، وخرج الفضل بن صالح من عند العزيز ليحتال على ابن الجرَّاح وعلى قسّام ، وأظهر أنه يريد حِمْص وحَلَب ، ليأخذ تلك البلاد ، فنزل على دمشق ، وفطن ابن الجرَّاح لما يريده ، فأخذ حذره ، وسار عن الفضل ، فرحل فى طلبه ، ومعه شِبْلُ بن معروف ، فكانت بينه وبين ابن الجراح وَقْعَةٌ فى صفر سنة سبعين ، فأوقع ببنى سنبس ، فقُتل شِبْلُ بنُ معروف ، طعنه بعضُ بنى سنبس ، فمات .

وبعث ابن الجرَّاح إلى العزيز يتلطف به ، ويسأله العفو ، فأرسل إلى الفضل يأمره بالكفِّ عن ابن الجرَّاح ، وأن لا يعرض له ، فوافاه ذلك وهو يجهِّز العساكر خلف ابن الجرَّاح ، فكفَّ عن قتاله ، وعاد إلى مصر .

ورجع ابنُ الجرَّاح إلى بلاد فلسطين على ما كان ، فأهلك العمل حتى كان الإنسان يدخل الرملة لطلب شىء يأكله فلا يجده وهلك الفلاحون وغيرهم من الضُرِّ ، ومات أكثرهم .

هذا ودمشق تمتار من حِمْص ، وكان عليها بكجور من قِبَل أبى المعالى شريف بن سيف الدولة ابن حَمْدان ، وقد عمَّر حِمْص بعد خرابها من الروم لما دخلوها فى سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة .

واتفق [٤٤ ا] خرابُ دمشق كما تقدَّم ، فرحل أهل القوافل من حِمْص إلى دِمَشْق ، ودمشقُ قد طمع فى عملها العرب حتى كانت مواشيهم تدخل الغوطة ، وأبو محمود إبراهيم بن

---

(١) كذا بالأصل ، والجملة ناقصة غير مفهومة والنص عند (ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٣) ـ ولعله المرجع الذى يأخذ عنه المقريزى هنا لتشابه النصين ـ واضح ، ولهذا آثرنا نقله هنا للمقارنة والايضاح : « وثار قسام ومعه الى الجامع ؛ ولم يشهد الحرب مع أصحابه ، وقد أحضر المشايخ وكتب بماجرى الى مصر ؛ وعمل محضرا على نفسه أنه « متى جاء للملك عضد الدولة عسكر أغلق الأبواب وقاتله ليكون لك معونة على مايريده » فلما وقف عليه العزيز وافق غرضه وأنفذ رسله وكتابه الى سليمان بن فلاح يأمره بالرحيل من دمشق .. الخ » .

جعفر واليا عليها تحت مذلة قسّام ، فهلك فى صفر سنة سبعين ، فكاتب بكجورُ العزيزَ ، فوعده بولاية دمشق ، فورد الخبرُ بموت فنّاخسرو ، فأمن العزيزُ ممّا كان يخاف ، وجهّز عسكرًا عليه رشيقٌ المصطنع .

وكان بِشارةُ الخادم الإخشيدى قد فسد أمره مع أبى المعالى بحلب ، ففرّ منه فى مائة رجل إلى مصر ، فأكرمه العزيز ، وولّاه طبرية ، فاستمال رجالا من أهل حلب ، وضبط البلد وعَمّره فقوى أمره ، وابنُ الجرّاح بفلسطين يخرِّب ويأخذ الأموال .

وقدم أيضاً على العزيز رخا الصَّقَلى فى ثلاثمائة غلام من الحمدانية ، فولّاه عكّا ، وقدم رخا فى عدة منهم ، فولاه أيضا قيسارية .

فلما كان فى سنة اثنتين وسبعين

خرج عسكرٌ من مصر إلى الشام عليه بلتكين التركى أحد اصحاب أفْتِكين ليكون على دمشق بدل رشيق ، وكوتب بشارةُ بمعاونة العسكر على حرب ابن الجرَّاح ، ونزل العسكرُ الرملة ، وسار بشارةُ من طبَرية ، واجتمعتْ العربُ من قَيْسٍ إليهم ، فكانت الحرب بينهم وبين ابن الجرَّاح ، فانهزم ، وقُتل كثير من أصحابه ؛ وصار إلى أنطاكية مستجيرا بصاحبها .

وكان الروم قد خرجوا من القسطنطينية فى عسكر عظيم يريدون أرضَ الشام ، فخاف ابن الجرَّاح ، فكاتب بكجور ، وسار بلتكين فنزل على دمشق فى ذى الحجة ، فجمع قسَّام الرجال مِن الغوطة وغيرها ، ورمَّ شَعَثَ السور وضبط الأبواب بالرجال ، ونصب . . . .[1]

وكان مع قسَّام فى البلد مِنَشَّا اليهودى على عطاء العسكر وتدبيره ، وجيشُ بن الصمصامة شِبْهُ والٍ فى طائفة من المغاربة ، قد وَلِىَ بعد خاله أبي محمود ، فخرج إلى بلتكين بمن معه ، وقد صار معه أيضا بشارةُ بعسكره ، فبعث إلى قسَّام أن يسلم البلد ، ويكون آمنًا هو ومَنْ معه ، فأبى .

(1) بياض بالأصل مقدار كلمة ، ولعلها « المجانيق » .

فلما كان التاسع عشر من المحرم سنة ثلاث وسبعين .

ابتدأ القتالُ مع قسّام ، ووقع النفيرُ فى البلد ، فلم يخرج مع قسّام إلا حزبُه من العيّارين ، وقومٌ من أهل القرى كانوا يأخذون الخفارة ، ويطلبون الباطل ، وقد كره جمهورُ الناس قسّاما وأصحابه ،فلما تقاصر عنه أهل البلد انكسر قلبُه ، وأصحابه ثابتون على القتال ، وقتلوا جماعةً من الجند ، وكثر فيهم الجِراحُ من نشاب أصحاب بلتكين ، وتبيّن الانكسارُ على قسّام لتقصير الرعيّة عن معاونته ومقتهم إياه ، وقوة أمر السلطان ، وكان قد كثر عليه الصلب من أصحابه للمال وقت الحرب ، فأمسك عنهم ، وشحّ بماله ، فقالوا : « على أى شىء نقتلُ أنفسنا ؟ » فتفرّقوا عنه إلا وجوهَ أصحابه وخاصته .

واستمرّ القتالُ أيامًا ، فاجتمع الخلقُ إلى قسّام فى أن يخرج إلى بلتكين ويصلحوا الأمر معه ، فَلَانَ وذَلّ بعد تجبُّره ، وقال : « افعلوا ماشئتم » .

وكان العسكرُ قد قارب أن يأخذ البلدَ فخرجوا إلى بلتكين وكلّموه فى ذلك ، فأمر بكفّ العسكر عن القتال ، وأمر قسّامًا وأصحابَه فعاد القوم إليه وأخبروه وهو ساكتٌ حائرٌ قد تبيّن الذلُّ فى وجهه ، واجتمع أكثر الناس ، فصاح من كان قد احترقتْ دارُه ـ وهم كثيرٌ ـ بقسّام :

« انتقم اللهُ ممن أذلّنا وأحرق دورنا ، وشتتنا ، وتركنا مطرحين على الطرق » .

فعجب قلبه من سماع صياحهم ، وقال : « أَسَلِّمُ البلد » .

فولى بلتكين حاجبًا يقال له خُطْلُخ ، فدخل المدينةَ فى خيلٍ ورجلٍ ، فلم يعرض لقسّام ولا لمن معه ، فتفرق عن قسّام أصحابُه ، فمنهم من استأمن ، ومنهم من هرب ، ومنهم من أخذ ، واختفى[1] قسّامٌ بعد يومين ، فأصبح القوم أول صفر وقد علموا باختفائه ، فأحاطوا

---

(1) الأصل : « واختفا » .

بداره ، وأخذوا مافيها ، ونزلوها وما حولها من دور أصحابه ، وبعثوا الخيل فى طلبه فلم يوقف له على خبر ، ونودى فى البلد .

« مَنْ دَلَّ على قسَّام فله خمسون ألف درهم ، ومَنْ دَلَّ على أولاده فله عشرون ألف درهم » .

وكان له من الأولاد : أحمد ، ومحمد ، وبنت .

نظفروا بامرأته وابنٍ لها معها ، فحُبسا .

فلما مضى لقسَّام جُمْعَةٌ وهو مختفٍ قَلِقٌ وجاء فى الليل إلى مِنَشَّا بن الغَرَار اليهودى ، فأوصله إلى بلتكين ، فقيَّده وحمله إلى مصر ، فعفا(1) عنه العزيز .

وكان قسَّام من بطن من العرب يقال لهم « الحارثيون » ، من قُرى الشام ، فنشأ بدمشق وكان يعمل على [٤٤ ب] الدواب فى التراب ، ثم إنه صحب رجلا يقال له « ابن الجسطار » ، ممن يطلب الباطل(2) ويحمل السلاح ، فصار من حزبه ، وترقى إلى ماتقدم ذكره .

وكتب بكجور إلى العزيز يسأله فى إرسال جيش ليأخذ به حَلَب ، فأنفذ إليه عسكرًا من دمشق ، وجمع بنى كلاب فسار بهم إلى حلب وحاصرها ، فقدم دُمِسْتِق(3) الروم إلى أنطاكية ، وقصد أن يكبس بكجور ، فكتب إليه ابن الجرَّاح يحذره ، فارتحل عن حلب ، فسار عسكرُ الروم خلفه ، ونزلت حِمْص ، وبعث بأمواله إلى بعلبك ، وارتحل إلى جوسِيَّة .

---

(1) الأصل : « فعفى » .

(2) لاحظ هذا الوصف ، و (ابن القلانسى ص ٢٧) يصف ابن الجسطار بأنه كان « من مقدمى الأحداث وحملة السلاح وطالبى الشر »

(3) الدمستق هو أكبر البطارقة ، ورئيسهم هو خليفة الملك (الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ١٢٩) ويقابل هذا اللفظ Domesticus ويطلق عادة على قائد قوات اللواء ،وتطلق عبارة Domestic of the Grand Scholae أو Grand Domestic على القائد الأعلى للجيش . أنظر (Camb. Med. Hist. vol. IV. PP. 731-739) و « والسيد البـاز العرينى : ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة فى كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ، ١٩٥٨ ، ص ٢٧٥) .

ودخل ملكُ الروم إلى حِمْص فلم يعرض لأحدٍ ، ورحل يريد طَرَابُلس ، وسيَّر يريد مالًا من حِمْص ، فامتنع أهلُها ، فرجع ونهب ، وسبا ، وأحرق الجامع وغيره ، فاحترق كثير من الناس ، وذلك فى تاسع عشر جمادى الأولى ، وهى دخلة الروم الثانية حِمْص .

ويقال إن أبا المعالى بن حَمْدان لخوفه من بكجور سيَّر إلى بَرْديس ملك الروم أن يخرِّب حِمْص ، وفارق أصحاب بلتكين بكجور ، وصاروا إلى دمشق ، فبعث بكجور إلى العزيز يسأله ولاية دمشق ، فورد جوابه : « إنا قد وليناك » ، فبعث إلى بعلبك واليا ، وإلى بعلبك غلامه وصيف ، فأبى عليه بلتكين ، لكتاب ورد عليه من الوزير يعقوب بن كِلِّس ، فتحيَّر بكجور ، وما زال بِشارةُ والى طبرية يتوسط لبكجور فى ولاية دِمَشْق حتى أمسك عنه الوزير ، فسار إلى القابون ، ثم تسلَّم البلد بعد أمور .

ورحل بلتكين أول رجب وفى نفسه حقدٌ على الوزير يعقوب بن كِلِّس لمعارضته له فى ولاية دمشق ، فعمل على كاتبه ابن أبى العود اليهودى حتى قتله بعضُ الأحداث(١) الذين كانوا مع قسَّام فى غيبته عن دمشق ببلاد حوران ، فعظم ذلك على الوزير ، وأخذ بكجور فى ظلم الناس ، وجمع الأموال ، ومخالفة ما يُؤْمر به من مصر ، وبعث غلامه وصيف فأخذ الرَّقَّة فى سنة ست وسبعين ، فعصى عليه بها .

وأخذ الوزيرُ فى قتل بكجور فبعث إلى دمشق فهمُّوا به ، فلم يتم لهم ، وظفر بهم بكجور ، وقبض على من أراد ذلك ، وقتلهم فى شهر رمضان سنة سبع وسبعين ، فازداد حنق الوزير ، وعلم بكجور بما دبَّره الوزير ، فأخذ يعارضه فى ضياعه ، ويهين عماله ، وتحرَّق بابن أبى العود الصغير ، وكان قد ولى بعد قتل أخيه .

واشتدَّ جُورُ بكجور وكثر قتلُه وصلبُه للناس والبناءُ عليهم ، وكثرتْ مخالفتهُ لما يرد عليه من العزيز ، فخرج إليه منير الخادم من مصر فى سنة ثمانٍ وسبعين بعسكر كبير ، وكتب إلى أهل الأعمال بالمسير معه إلى دمشق لحرب ابن الجرَّاح ، فنزل الرملة وقد اختلف بكجور مع بِشارة وَالى طَبَرِيَة ، وأنزل ابنَ الجرَّاح السوادَ وأطمعه فى ضِياع الوزير ، وجعله ضدَّ البِشارة ، وكاشف بالعصيان

(١) عن « الأحداث » انظر مافات هنا ص٢٣٩ هامش ٣

فجمع منير العرب من قيس وعقيل وفزارة ، وسار إلى عَمّان ، فسار إليه منير ، وصاروا جميعًا إلى عمل دمشق ، فجمع بكجور بنى كلاب ، وبعث منير سريّةً إلى ابن الجرّاح وهو فى طرف عمل دمشق ، فأوقعوا بقومه ، وغنموهم ، فانهزم .

وكتب منير إلى بكجور :

« إنا لم نجئْ لقتالك ، وإنما جئنا لنخرج ابنَ الجرّاح من العمل ، لأنه أفسد وعصى ، فتكون معينًا لنا فى هذا الأمرِ ، لنسير إلى حلب وأنطاكية » .

فعلم أنَّ هذا خداع ، وقد اشتدَّ خوفُه وقلقُه من أهل البلد لكثرة إساءته لهم ، وجوره وتعديه لئلا يثوروا به ، فجمع عسكره وبعثهم إلى قتال منير ، وأقامَ بالبلد ، فكانت بينهم وَقْعَةٌ انهزموا فيها ، فخاف وبعث إلى منير : « أنى أسلِّم البلد وأرحل عنه » ، فأجيب إلى ذلك .

ورحل للنصف من رجب ومعه ابنُ الجرّاح يريد الرَّقّة ، وتسلَّم منير دمشق ، وسيَّر إلى مصر بذلك ، وبثلاثمائة من أصحاب بكجور استأمنوا ، فبعث العزيزُ إلى بكجور على لسان الوزير يقول :

« ما أردنا أن تبرح عن البلد ، وإنما بعثنا إلى ابن الجرّاح مَنْ يخرجه عن العمل لما أفسد فيه ، وما كان لك من الغلات والضياع فهو على رسمه ، أفعل فيه ما أحببت ، فما لنا فيه من حاجة » .

فأقام بكجور على ما كان له بدمشق من الضِياع والأهْراء مَنْ يتولَّى أمرها ، وبقى بالرقّة يقيم الدعوةَ للعزيز ويراسله ، ويراسل كُرْدِيًّا قد غلب على ميّافارقين يقال له « باد » ، ويكاتب أبا المعالى سعد الدولة ، واسمه شريف بن سيف الدولة على بن حَمْدان بحلب أن يرده إلى حِمْص ، فولّاه حِمْص ، فبعث مَنْ يتسلمها ، فقلق لذلك [٤٥ ا] الوزيرُ يعقوبُ بن كِلِّس ، فبعث إلى ناصح الطبّاخ وهو بعَمّان أن يسير إلى حِمْص ويأخذ مَنْ بها من أصحاب بكجور ، فأسرى إليها وقد حذروا منه ، وخرجوا قادمين بأموالهم ، فأخذهم وسار إلى دمشق ، فبعث بكجور إلى صاحب بغداد فلم يَرَ منه ما يحب ، ووقع بينه وبين أبى المعالى .

سنة سبعين وثلاثمائة :

فيها تمكنت حالُ يعقوب بن كِلِّس مع العزيز ، فأذلَّ كتامة وقهرهم ، وقدَّم الأتراك ، وعزل القائدَ جوهر عن الوزارة ، وكان العزيز يستشيره فى الباطن .

سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة :

فيها تقدَّم العزيزُ إلى بعض مَنْ فيه جرأة وشهامة بالتوجه إلى بغداد ، ليسرق السبع الفضة الذى على صدر[1] زَبْزَبِ عضد الدولة فسار إلى بغداد وسرقه ، فعجب الناسُ من ذلك .

---

(١) الأصـل : « صـور » والتصـحيح عن (متز) : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ؛ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، ج ١ ؛ ص ٤ ، حيث قال :

« وكان على صدر زبزب السلطان عضـد الدولة صورة لسبع من فضـة » والزبزب ـ والجمع زبازب ـ سفينة صغيرة تسير فى نهرى دجلة والفرات٠انظر أيضا (اللسان) ، و (شفاء الغليل) ، وجاء فى (ابن تغرى بردى : النجوم آلزاهرة ٠ ج ٤ ٠ ص ١٥٩): « وحمل ـ الخليفة الطائع ـ فى زبزب في الدجلة وأصعد الى دار الملك » ٠

سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

فى يوم الاثنين لثلاث خلت من شوال قبض العزيز بالله على الوزير يعقوب بن كِلِّس وعلى الفَضْل بن صالح وأخوته ، وحمل ما فى دورهم إلى القصر ، فكان ما حُمل من دار الوزير يعقوب مائة ألف دينار ، واُعتقل كلٌّ واحد بمفرده ، فارتجَّت المدينة ، ونُهبت الأسواق ، وكانت الدواوين[1] تجلس فى دار الوزير ، فنقلوا إلى القصر .

وعُملت أوراق ما كان للوزير من أنواع البِرِّ فبلغت ألف دينار كل شهر ، فأمر العزيز باجرائها على أربابها ، ثم أفرج عنهم بعد شهرين ، وأعيد موجودهم ، وأعيد الوزير إلى وزارته ، ورد إليه المائة ألف دينار التى أخذت له ، وأعيد اسمه إلى الطراز[2] بعد ما محى .

وفيها كان غلاء عظيم عَمَّ بلاد الشام والعراق .

وفيها مات هَفْتِكين ، فاتُهم الوزيرُ يعقوب بأنه سَمَّه ، فقُبض عليه .

ومات القاضى محمدُ بن الحسن بن أبى الربس[3] .

ومات أبو العباس بن سبك من الإخشيدية .

---

(١) الدواوين هنا بمعنى موظفى الدواوين .

(٢) هذاتقليد جديد أن يثبت اسم الوزير مع اسم الخليفة على الطراز ، أى على المنسوجات التى تنسج فى دار الطراز الخاصة ، وقد بدأ هذا التقليد كما نرى منذ أوائل العصر الفاطمى .

و « الطراز كلمة ايرانية معربة كانت تعنى المدبج (البروردرى) : ثم أطلقت على الرداء المحلى بالمدبج اذا كانت تلك الحلية أشرطة من الكتابة ، وأخيرا صارت تطلق على المصنع الذى تطرز فيه هذه الأشرطة ؛ ولقد كان من عادة ملوك ايران قبل الاسلام أن يزينوا ملابسهم بصور الملوك وبأشكال معينة ، تمييزا لها عن غيرها واشعارا بما للابسها من السلطان، ويتخذون ذلك شعارا لهم يختصون به دون سواهم ، ولقد ورث المسلمون عنهم هذه العادة ولكنهم اعتاضوا عن الصور والرسوم بكتابة أسماء خلفائهم مصحوبة بصيغة خاصة من صيغ الدعاء أو المدح ؛ وقد كانت هذه الكتابة تنسج فى لحمة الثوب وسداه ؛ أو تطرز بعد نسجه بخيوط من الذهب أو الفضة أو الحرير الذى يختلف لونه عن لون الثوب المزركشة عليه، وقد اتخذ الخلفاء ذلك حقا لهم وحدهم اختصوا به أنفسهم دون غيرهم ، واعتبروه من علامات سلطانهم كذكر اسمهم فى خطبة الجمعة والعيدين ، أو نقشه على السكة سواء بسواء ، واعتنوا به عناية خاصة ، فأنشأوا مناسج حكوميه كانوا يعهدون اليها بعمل تلك الثياب ؛ وأطلقوا عليها اسم « دور الطراز » .

(مرزوق: الزخرفة المنسوجة ، ص٢١ وما بعدها ؛ وما به من مراجع) .

(٣) كذا فى الأصل دون نقط .

(* وأما المغرب فإنَّ العزيزَ بالله بعث فى سنة ست وسبعين أبا الفهم حسن - الداعى الخراسانى - إلى القيروان ، فأُكرم إكراما كثيرا ، ثم توجَّه إلى بلاد كتامة ، فدعاهم ، وعظم عندهم ، حتى ضرب السِكَّة ، وركب فى عساكر عظيمة .

ثم بعث العزيز فى سنة سبع وسبعين أبا العزم ومحمد بن ميمون الوزَّان ، فلقيا الأميرَ أبا الفتح منصور بن يوسف بن زَيْرى ، فَسَبَّهما وأهانهما لسبب ما فعله أبو الفهم ، ووكل بهما ، ثم خرج وهما معه فى طلب أبى الفهم ، حتى أخذه وقتله شَرَّ قتلة ، وأخذه العبيد فشرَّحوا لحمه وأكلوه كلَّه ، وأمر أبا العزم ورفيقه أن يمضيا إلى مصر ، ويخبرا العزيز بما شاهداه ، فقدما عليه وقالا : « رأينا شيئاً . . . .[1] . . . »[2] .

ومن خط ابن الصيرفى[3] : كان رجل من التجار الغرباء ينزل فى قيسارية الإخشيد التى

(*) هذا النص والنص الذى يليه وردا فى المخطوطة بعيدا عن المتن ، وقد أثبتناهما هنا فى المتن لأنهما يحتويان على بعض حوادث سنتى ٣٧٦ و٣٧٧ ، وقد أثبت النص الأول المتضمن حوادث سنة ٣٧٦ على هامش ص ٤٥ أ ، أما النص الثانى المتضمن حوادث سنة ٣٧٧ فقد أثبت فى ورقة منفصلة بين صفحتى ٤٤ ب و٤٥ أ وقدم الناسخ للنص الأول بقوله :« وورد بخطه فى هذا المحل »؛ وقدم للنص الثانى بقوله :« فى الأصل المنقول منه بخطه » - أى بخط المؤلف -

(١) تتمة الجملة غير مقروءة فى الأصل .

(٢) الى هنا ينتهى النص الأول .

(٣) ابن الصيرفى هو تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفى ، كان أبوه صيرفيا ، واشتهى هو الكتابة فمهر فيها ، واشتغل بكتابة الجيش والخراج مدة ، ثم استخدمه الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى فى ديوان المكاتبات فى سنة ٤٩٥ هـ فى عهد الخليفة الآمر، وظل يعمل فى هذا الديوان نحو نصف قرن من الزمان الى أن توفى فى سنة ٥٤٢ هـ فى أواخر عهد الخليفة الحافظ ، وقد ترجم له المقريزى فى كتابه هذا (اتعاظ الحنفاء ص ١٤١ أ) فى حوادث سنة ٥٤٢ ، قال : « وفيها مات الشيخ تاج الرياسة =

يسكنها البَزّازون خلف الجامع العتيق(1) ؛ فقُتل فى منزله ، وأُخذ ماله ، فأصبح رشيق

=أبو القاسم على بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفى الكاتب فى يوم الأحد لعشر بقين من صفر ، ومولده يوم السبت الثانى والعشرين من شعبان سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، وكان أبوه صيرفيا ، وجده كاتبا ، وأخـذ صناعة الترسل عن ثقة الملك أبى العلا صاعد بن مفرج، وتنقل حتى صار صـاحب ديوان الجيش ، ثم انتقل منه الى ديوان الانشاء ، ومات الشريف سناء الملك أبو محمد الزيدى الحسينى ، ثم تفرد (أى ابن الصيرفى) بالديوان، فصار فيه بمفرده وله الانشاء البديع والشعر الرائع والتصانيف المفيدة فى التاريخ والأدب » .

ومعظم الرسائل والسجلات التى وصلتنـا عن العصر الفاطمى هى من انشاء ابن الصيرفى ، ومؤلفاته كثيرة ، منها :

– رسائله ، وقد ذكر (ابن سعيد : عنوان المرقصات ، ص ١١١) أنه رأى مجمـوعة من رسائل ابن الصيرفى فى ٢٠ مجلدا ، ولا يزال عدد كبير منها منتشرا فى الكتب التاريخيـة والادبية التى بين أيدينا .

– قـانون ديوان الرسـائل ، نشره على بهجت فى القاهرة ، ١٩٠٥ ، غير أنه ذكر فى مقدمته أن ابن الصيرفى ألف هـذا الكتاب وقدمه للوزير الافضل شاهنشاه ، وقد اثبتنا نحن فى كتابنا (مجمـوعة الوثـائق الفاطمية ، الوثيقة رقم ٦) أنه ألفه للوزير أبى على كتيفات ابن الافضل شاهنشاه ، وقد ترجم « ماسيه Mascé » هذا الكتاب الى الفرنسية :

(Mascé. Le Code de la Chancéllerie. B.I.F.A.O. Le Caire. 1914).

– الاشارة الى من نال الوزارة ، نشره عبد الله مخلص فى (B.I.F.A. Le Caire 1924)

– الافضليات ، مجموعة من سبع رسائل قدمها للافضل شاهنشاه .

أنظر أيضا :(ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٣٥ و ٤٠ و ٨٧) و (ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١٥ ؛ ص ٧٩) و (المقريزى : الخطط ، ج ٣، ص ١٤٠) و (الزركلى : الاعلام) و (سركيس : معجم المطبوعات العـربية) و (محمـد كامل حسين : فى ادب مصر الفاطمية ، ص ٣٣٣ – ٣٣٨) و (Brockelmann: G A. L. supp. I·P. 489-490)

و (Stern: The Epistle of the Fatimid Caliph al Amir...etc P. 30).

و (فهـرس المخطوطات العربية المصورة بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة ١٩٥٤ ، ج ١ ، ص ١٤٦) .

(1) هو جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، وقد سمى أيضا فى عهد ازدهاره (تاج الجوامع) ثم لما تقادم به العهـد وكثرت الى جانبه جوامع الفسـطاط والقطائع والقاهرة ، سمى « الجامع العتيق » وسـميت الفسطاط كذلك ولا زالت تسمى « مصر العتيقة » ، أنظر : (محمود أحمد باشا : جامع عمرو بن العاص)

ـ غلام ميمون دِبَّة صاحب الشرطة السفلى[1] ـ فاعتقل جماعةً من أولاد التجار ومن كان ساكنا حول قيسارية الإخشيد ، فشَنَّع الناس عن رشيق أنه دَسَّ على الرجل مَنْ قتله وأخذ ماله ، ورُفع إلى العزيز ذلك ، وأنه اعتقل أبرياء مستورين ، فوقَّع على ظهر الرقعة إلى الوزير يعقوب بن يوسف فى ذى الحجة سنة سبع وسبعين وثلاثمائة :

« سلَّم اللهُ الوزيرَ ، وأبقى نعمتَه عليه .

هذه رقعة رُفعت إلينا بالأمس ، الوزير ـ سلَّمه الله ـ [يطلع] عليها ويتدبَّرها ، والأمرُ والله فظيع ، يسوء الأولياء ، ويَسُرُّ الأعداء ، وبالأمس كنا نضحك من فَنَّاخُسرو ، واليوم ألجمنا بعار منى علينا فى بلد نحن ساكنوه ، والأخبار تسير به فى البلدان ، وحسبك بقتل الأنفس فى مواضع الأمن والطمأنينة فى وسط عمارة المسلمين وتؤخذ الأموال ، وقد وكل الأمر إلى رجلين لا يخافان الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولا يتقيانه ، والدنيا فانية ، والاجال متقاربة ، وإن أصبح الناس فما يدرى أنه يمسى . . . . الله ـ عزَّ وجلَّ ـ . . . . . هذه الجرائم . . . . عليه منها يحرم أجره . . . . . فى . . . . .[2] المتغافل عنه ، فو الله لو جرى مثل هذا فى بلد يبعد عنا لوجب الاحتساب لله فيه ، فكيف تحت كنفنا وفى بلدنا ؟ ! فليستقصِ الوزيرُ ـ سلَّمه الله ـ عن هذه القصة ، ويوتر الله ويوترنا ، ويغسل هذا العار عن الدولة ولا يغمها به . فوالله الذى لا إله إلا هو ، وحق جدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما كتبتُ إلى الوزير ـ سلَّمه الله ـ هذه الرقعة إلا وأنا خائف من نِقَم الله ـ جَلَّ اسمُه ـ ، لكثرة تغافلنا وإهمالنا ، إلى أن صارت المعاملة فى سفك الدماء وقتل الأنفس ، فليس على هذا صبر ، ولا بُدَّ لك من

---

(١) الشرطة هم الجنود الذين يحافظون على الامن ، وقد كان للفسطاط شرطة منذ الفتح العربى ، وكان صاحبها فى المكان الثانى بعد الوالى ، فلما اسست العسكر أنشئت فيها دار اخرى للشرطة سميت الشرطة العليا ـ لعلو العسكر عن الفسطاط ـ كما سميت شرطة الفسطاط بالشرطة السفلى منذ ذلك الحين ، ولما فتح جوهر مصر وانشأ القاهرة نقل اليها الشرطة العليا ، وقد ظلت بها طول عهود الفاطميين والأيوبيين والمماليك . انظر : (صبح الاعشى ، ج٤ ، ص ٢٣) حيث يذكر أنه كانت هناك شرطة ثالثة فى القرافة ، وأنها ضمت فى العصر المملوكى الى شرطة الفسطاط أى السفلى .

(٢) مكان هذه النقط فى الاصل كلمات ممحوة استحال على الناشر قراءتها .

الاستقصاء على هذه القصة ، فأوثق الناس إلى أن تنكشف ، فينتقم من فاعلها ، وتبرأ إلى الله تعالى منه .

فليعمل الوزيرُ – سلّمه اللهُ – في ذلك عملا يأجره الله عليها ونشكره ، ولا يتوانى عنه ، ليس ما نغسله عن أنفسنا بانكشاف هذه القصة قليلا عند الله – جَلَّ وعلا – ، وعند عبيده من بعد .

وأنا أقسم على الوزير بحياتي ألا يتوانى عن هذا الأمر ، وليسرع بالفراغ منه ، وخلاص هؤلاء الرجال المساكين من مَدِّ يَدِ مَنْ يطلب أموالهم وأنفسهم ظلماً وعدواناً ، والشُّرط والولاية قد صارت إرثا ، فلينظر الوزيرُ – سلَّمه الله – أن يولى الشرطتيْن إنسانيْن يخافان الله – عَزَّ وجَلَّ – ويتقيانه ، فلا جمع الله ما لهما ، ولا مايجئ منهما بتقلد ، فقدِّم ما أمرناك به فى الوجوه ، وأظهره فى الناس لتطيب أنفسهم ، وليعلموا أنا لا نغفل عن شئ يبلغنا الله فيه رضى ، ولهم فيه صيانة .

والله حسبي ، وعليه توكلي .

« والسلامُ على الوزير ورحمةُ الله » .

قال [ابن الصيرفى] : « فنسخ أهلُ مصر كافةً هذا التوقيع ، وصار الصبيان فى المكاتب يُعَلِّمونه كما يُعَلِّمون الحمد » .

وصرف الوزيرُ . . . . . [1] ورشيقا عن الشرطتيْن .

(1) بياض بالاصل .

سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة :

فى سابع عشر ذى الحجة حدث بالقاهرة ومصر رعد شديد ورياح عاصفة ، فاشتدت الظلمةُ حتى شنعت ، وظهر فى السماء عمود نار ، ثم احمرَّتْ السماءُ والأَرض حُمْرَةً زائدة ، وظهرت الشمس متغيرة إلى يوم الثلاثاء ثانى المحرم سنة تسع وسبعين ، وظهر كوكب له ذؤابة فأقام اثنين وعشرين يومًا .

وفيها مات أبو الحسين أحمد أخو طُغْج فى المحرم .

وفى رجب سنة ثمانين :

خرج الناسُ فى لياليه على رسمهم فى الليل، ليالى الجمعة وليالى النصف إلى جامع[1] القاهرة عوضا عن القرافة ، فزيد فى الوقيد .

وفى يوم الجمعة عشرة شهر رمضان ركب العزيز إلى جامع القاهرة بالمظلَّة فخطب وصلى .

وفيه خُطَّ أساسُ الجامع الجديد مما يلى باب الفتوح وبدئ بالبناء فيه ، وتحلَّق الفقهاء الذين يتحلَّقون بجامع القاهرة فيه ، وخطب به العزيز وصلى يوم الجمعة النصف منه ، وحمل يانس الصقلى صاحب الشرطة السفلى السماط ، وبنيت مصاطب ما بين القصر والمصلى ظاهر باب النصر يكون عليها المؤذنون والفقهاء ، حتى يتصل التكبير من المصلى إلى القصر ، وتقدَّم أمر القاضى محمد بن النعمان بإحضار المتفقهة والمؤمنين ، وأمرهم بالجلوس يوم العيد عليها ، وركب العزيز فصلى وخطب .

وفى ذى القعدة ورد من دمشق مال الموسم وهو ستون حِمْلًا .

وفى النصف منه سارت قافلةُ الحاج فى البر بالكسوة للكعبة والطيب والصِلات ، فجلس العزيز للنظر إليهم ، وكانت قافلة عظيمة .

(١) المقصود « جامع الازهر » ، ولاحظ أنه كان يسمى حتى عصر العزيز بجامع القاهرة .

وفيها مات الوزير يعقوب بن كِلِّس[1] يوم الخامس من ذى الحجة ، فكُفِّن فى خمسين ثوبا ما بين وَشْى ، ومُثْقَل[2] ، وشِرْب دَبيقى مُذَهَّب ، وجفت كافور ، وقاوورتين من مسك ، وخمسين منًّا ماء ورد ، وصلى عليه العزيز ، فكان ماكُفن به وحُنِّط به عشرة آلاف دينار .

---

(١) أورد (ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٢) ترجمة وافية ليعقوب بن كلس ، نجملها فيما يلى تبيانا لمكانة هذا الوزير وللدور الخطير الذى لعبه ، قال « وكان الوزير ابن كلس يهوديا من أهل بغداد خبيثا ذا مكر وحيلة ودهاء وذكاء وفطنة وكان فى قديم أمره خرج الى الشام فنزل بالرملة فجلس وكيلا للتجار ، فلما اجتمعت الاموال التى للتجار كسرها وهرب الى مصر فى أيام كافور الأخشيدى صاحب مصر ؛ فتاجره وحمل اليه متاعا كثيرا ؛ ويحال بماله على ضياع مصر ، وكان اذا دخل ضيعة عرف غلتها وارتفاعها وظاهر أمرها وباطنها ، وكان ماهرا فى اشغاله لا يسأل عن شىء من أمورها الا أخبر به عن صحة ، فكبرت حاله ، وخبر كافور بخبره وما فيه من الفطنة والسياسة ؛ فقال : « لو كان هذا مسلما لصلح ان يكون وزيرا » ؛ فبلغه ماقال كافور ، فطمع فى الوزارة ؛ فدخل جامع مصر فى يوم الجمعة ، وقال: « أنا أسلم على يد كافور » ، فبلغ الوزير ابن حنزابة — وزير كافور — ما هو وماطمع فيه ، فقصده ، وخاف منه ، فهرب الى المغرب ؛ وقصد يهودا كانوا هناك مع أبى تميم المعز لدين الله — أصحاب أمره — فصارت له عندهم حرمة ، فلم يزل معهم الى ان أخذ المعز مصر ؛ فسار معه اليها .

فلما توفى المعز وأصحابه اليهود ، وولى العزيز بالله استوزره فى سنة ٣٦٥ ، وكان هذا الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس كبير الهمة قوى النفس والمنة ؛ عظيم الهيبة ، فاستولى على أمر العزيز ، وقام به ، واستصحه ؛ فعول عليه وفوض أمره اليه، وكانت أموره مستقيمة بتدبيره

فلما اعتل علة الوفاة ركب اليه العزيز عائدا ،فشاهده على حال اليأس ، فغمه أمره وقال له : « وددت بأنك تباع فابتاعك بملكى ؛ أو تفتدى وافديك بولدى ، فهل من حاجة توصى بها يايعقوب ؟ » فبكى وقبل يده وتركها على عينه ، وقال :

— « أما ما يخصنى يا أمير المؤمنين فلا ، لأنك ارعى بحقى من ان استرعيك اياه ، وارأف على من اخلفه من أن أوصيك به ، لكننى أنصحك فيما يتعلق بدولتك »

قال : « قل يا يعقوب ، فقولك مسموع ؛ ورأيك مقبول » .

قال : « سالم يا أمير المؤمنين الروم ما سالموك ؛ واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولاتبق على المفرج بن دغفل بن الجراح متى عرضت لك فيه فرصة » .

وتوفى فى ذى الحجة سنة ٣٨٠ ، فأمر العزيز أن يدفن فى داره بالقاهرة فى قبة كان بناها لنفسه ، وحضر جنازته وصلى عليه والحده بيده فى قبره ،وانصرف عنه حزينا بفقده ؛ واغلق الدواوين ، وعطل الأعمال أياما ، واستوزر أبا عبد الله الموصلى بعده مديدة ؛ ثم صرفه ، وقلد عيسى ابن نسطوروس وكان نصرانيا من اقباط مصر .. الخ » انظر كذلك : (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ؛ ص ١٥٨) .

(٢) المثقل من الثياب ماكان منسوجا بالذهب .

وحزنُ عليه العزيز حزنًا شديدًا ، ولم يأكل ذلك اليوم على مائدة ، ولا حضر أحد للخدمة وأقام كذلك ثلاثا ، وأقيم العزاء على قبره مدة شهر ، وأوفى العزيز عنه دَيْنَه ، وهو ستة عشر ألف دينار .

وكان إقطاعه فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، سوى الرباع .

واشتملت تركته على أربعة آلاف ألف دينار ، سوى ما سُوِّى لابنته ، وهو مائتا ألف دينار .

وفى يوم عَرَفَة حمل يانسُ [ص ٤٥ ب] السماطَ ، وصلَّى العزيز ، وخطب يوم النحر ، ونحر النوقَ بيده ، ومضى إلى القصر ، ونُصب له السماط والموائد ، وفرَّق الضحايا على أهل الدولة .

وطمع بكجور فى أخذ حلب ، فسار ، وجمع له أبو المعالى ابن حمدان ، وواقعه أول صفر ، فانهزم بكجورِ ، فبُعث إليه وسيق له ، فضرب عنقه ثانى صفر وصلبه ، وسار فملك الرقَّة ، وأخذ ماكان فيها ، وملك الرَّحْبَةَ وعاد .

وبلغ العزيز أن منير يكاتب صاحب بغداد ، فجهَّز عسكرا عليه منجوتكين فيمن اصطنعه من الأتراك ، وأعطاه مالاً وسلاحًا ، وولَّاه الشام ، فبرز إلى منية الأصبغ(١) فى صفر سنة إحدى وثمانين ، وخلع عليه ، وحمل إليه مائة ألف دينار ومائة قطعة من الثياب الملونة ، وعشر قباب بأغشية ، ومناطق مثقلة ، وأهِلَّة وفرش ، وخمسين بَنْدا ، وعشر منجوقات(٢) ، وعشرة أفراس ، فأقام بمنية الأصبغ شهرين وسبعة عشر يوما يخرج إليه العزيز فى كل غدوة وعشية ، وينفذ إليه فى كل يوم الجوائز والخلع ، ورفع من منية الأصبغ فى رابع عشرين جمادى الأولى ، وخلع على ابن الجرَّاح وحمل ، وسار مع منجوتكين فلم يزل بالقصور إلى ثالث شعبان ، فسار وودعه العزيز ، وجدَّ فى السير ، وكان ما أنفق عليه العزيز ألف ألف دينار ونيف ، وقدم قبل مسير ابن أبى العود الصغير ، وكان على الخراج بدمشق ، وكاشف بالعصيان ، فسار العسكر إلى الرملة ، ولقيه بشارة والى طبرية ، وكتب إلى والى طرابلس نزال ، وجمع منير رجاله ،

---

(١) عرفها ياقوت بانها فىشرقى مصر ، وانها تنسب الى الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان أخى عمر بن عبد العزيز بن مروان .

(٢) المنجوقات نوع من الاعلام والبنود : (Dozy; Supp, Dict, Arab.) والمفرد « منجوق » .

واعتدَّ للحرب ، وسار إليه ، فالتقى مع منير بمرج عذرا ، وكانت الحرب ، فانهزم منير فى تاسع عشر رمضان ، وأخذ فحمل إلى منجوتكين ، فشهَّره على جمل ومعه قرد يصفعه فى مائة من أصحابه ، وقائلٌ ينادى :

« هذا منير لعنه الله ، أصبحت دياره خالية ، وكلابه عاوية ، ونساؤه صائحة ، طاعنته الرماة ، ونازلته الحماة ، هذا جزاء من نافق على الله عز وجل ، وعلى مولانا العزيز بالله » .

وأقام منجوتكين فى دمشق ومعه ثلاثة عشر ألفا فساءت سيرتهم فى الناس .

ومات أبو المعالى بن حمدان فى رمضان ، فسار منجوتكين يريد أخذ حلب من الحمدانية ، ونزل عليها وبها أبو الفضل بن أبى المعالى ، فقاتله أشدَّ قتال ، وأقام نحو الشهريْن ، ثم عاد إلى دمشق ، وترك معضاد على حمص .

وفى سنة ثمانين وثلاثمائة طمع باد صاحب ديار بكر فى أبى طاهر إبراهيم وأبى عبد الله الحسين ابنىْ ناصر الدولة بن حمدان ، وقاتلهما ، فقتل باذ ، فسار بن أخته أبو على بن مروان إلى حصن كَيْفا ، وبه امرأة خاله باد وأهله ، فخدعها حتى صعد إليها ، وملك الحصنَ وغيره من بلاد خاله ، وجرتْ بينه وبين ابنىْ ناصر الدولة عِدَّةُ حروب ، وقدم القاهرةَ على العزيز بالله ، فقلَّده تلك النواحى ، وعاد إليها حتى ثار به عبد البر شيخُ آمِد ، وقتله عند خروجه بالسكاكين شخصٌ يقال له ابن دِمْنَة ، واستولى عبد البر على ما بيده ، وزوَّج ابن دِمْنَة بابنته ، فوثب ابنُ دِمْنَة على عبد البر وقتله ، وملك آمِد .

وكان مُمَهِّدُ الدولة أخو أبى على بن مروان لما قُتل أخوه أبو على سار إلى مَيَّا فارقين وملكها فى عدة من بلاد أخيه ، فثار عليه سروة أحد أكابر أصحابه وقتله ، وقتل غالب بنى مروان ، وذلك فى سنة اثنتين وأربعمائة .

ودخلت سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة :

فورد سابقُ الحاج أولَ مُحَرم ، فأخبر بتمام الحج ، وإقامة الدعوة للعزيز ، فخَلع عليه ، وطيف به المدينة .

ووصل مُفَرِّج بن دُغْفُل بن الجرَّاح ، فخُلع عليه .

وأمر [العزيز] بازالة المنكرات ، وهدم مواضعها ، فكُسر لرجل واحد خمسون ألف جرة وردتْ من الصعيد .

ووُلد لأبى القاسم على بن القائد الفضل بن صالح ولدٌ ، فبعث إليه العزيز ثلاثين ثوباً فاخرة ، وعشرة أردية ، وعشر عمائم ، وثوبا مثقلا ، ومنديلا طوله مائة ذراع [١٤٦ ا] ، ومنديلا دونه ، وخمسمائة دينار ، وحَمَلَتْ إليه السيدة العزيزية مائة ثوب صحاحا من كل فن ، وثلاثمائة دينار ، ومهديْن ، أحدهما أبنوس محلًّى بذهب ، والآخر صندل محلًّى بفضة مخرقة ، ولهما أغشية ومخاد[١] وثياب وفُرُش مثقلة .

وركب العزيز لفتح الخليج .

وفى جمادى الآخرة زُفَّت أخت كاتب[٢] السيدة العزيزية إلى زوجها بُلْتِكين[٣] التركى ، ومعها جهاز بمائة ألف دينار ، سوى صناديق[٤] محملة على ثلاثين بغلا ، وعُمل له صنيعٌ ذُبح فيه عشرون ألف حيوان[٥] ، ما بين كَبْش وخروف وجدى وأوزة ودجاجة [وفروج][٦] ، ونزلت إليه فى عشرين قبة ، وخُلع عليه وحُمل ، وأقامت عنده خمسة أشهر وأحد عشر يومًا ، ومات .

---

(١) الاصل : «ومخد» .

(٢) عند (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٤٩) : « كاتبه »

(٣) كذا فى الاصل ، وفى المرجع السابق : « بكتكين » .

(٤) عند ابن ميسر « صناديق لم تفتح يحملها ثلاثون بغلا » .

(٥) فى المرجع السابق « راس » .

(٦) مابين الحاصرتين زيادة عن المرجع السا بق .

وفى رجب كان عيد الصليب(١) ، فمنع العزيز من الخروج إلى بنى وائل ، وضبط الطرقات والدروب ، فإنه كان يظهر فيه من المنكرات والفسوق ما يتجاوز الوصف .

وبعث العزيز إلى منجوتكين إنعامًا بمائة ألف دينار ، وكان المهرجان ، فسيَّر إليه أيضا هدايا ، وأهدى خواص الدولة إلى العزيز فى المهرجان .

وفى ليلة النصف من شعبان كان الاجتماع بجامع القاهرة .

وفى رمضان صلى العزيزُ الجمعةَ وخطب بجامعه ، وعليه طيلسان وبيده القضيب ، وفى رجله الحذاء ، وصلى أيضا بجامع القاهرة وخطب .

واعتلَّ منصورُ بن العزيز ، فتصدَّق العزيز على الفقراء بعشرة آلاف دينار ، وحُمل السماط للعيد على العادة .

وصلى العزيز صلاة عيد الفطر ، وخطب على رسمه .

وأهدت إليه امرأةٌ من البلدة سبعًا قد ربَّته ، فكانت ترضعه ولا يصرعها ، وهو فى قدر الكبش الكبير .

وسارت قافلةُ الحاج فى رابع عشر ذى القعدة بكسوة الكعبة والصِلات .

واعتلَّ القائد جوهر ، فركب العزيز إليه ، وبعث له خمسة آلاف دينار ، ومزينة بمثقل ، وبعث إليه منصور بن العزيز خمسة آلاف دينار ؛ وتوفى لسبعٍ بقين من ذى القعدة ، فكُفِّن فى سبعين ثوبًا ما بين مُثْقَل ووَشْى مُذَهَّب ، وصلَّى عليه العزيزُ ؛ وخَلَعَ على ابنه الحسين ، وجعله فى رتبة أبيه ، ولقَّبه القائد ابن القائد ، ولم يعرض لشئ مما تركه .

ومن بديع توقيعات القائد جوهر ما حكاه أبو حيان التوحيدى فى كتاب « بصائر القدماء » قال :

« كتب جوهر عبد الفاطمى بمصر موقعاً فى قِصَّة(٢) رفعها أهلها إليه :

(١) كان يحتفل به عادة فى اليوم السابع عشر من شهر توت . انظر حديثا مفصلا عنه فى : « المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٨-٣٠ » .

(٢) القصة هى الشكوى ، وهذا مثل طيب للتواقيع فى العصر الفاطمى .

« سوء الاجترام ، أوقع بكم حلول الانتقام ، وكفر الإنعام ، أخرجكم من حفظ الذمام ، فاللازم فيكم ترك الإنجاب (؟) واللازم لكم ملازمة الاجتناب ، لأنكم بدأتم فأسأتم ، وعدتم فتعد يتم ، فابتداؤكم ملوم ، وعودكم مذموم ، وليس بينهما فرجة تقتضى إلا التبرم بكم ، والإعراض عنكم ، ليرى أميرُ المؤمنين صلوات الله عليه رأيه فيكم » .

وحُملت أسمطةُ عيد النحر على العادة ، وصلّى العزيزُ بالناس صلاةَ العيد ، وخَطَبَ ، ثم نحر بالقصر ثلاثة أيام ، وفرّق الضحايا .

وفى غد يوم النحر وصل منير الخادم من دمشق ، فشُهِّر على جَملٍ بطرطور طويل ، فخرجت الكافة للنظر إليه ، ومعه سبعمائة رأس على رماح فطيف به ، ثم خُلع عليه وعفى عنه .

وعُمل عيدُ الغدير[1] على رسمه .

وضُرب رجلٌ وطيف به المدينة ، من أجل أنه وُجد عنده موطّأ مالك - رضى الله عنه - .

وفى تاسع عشره جلس علىٌّ بن عمر العدّاس بالقصر ، فأمر ونهى ، ونظر فى الأموال ، ورتّب العمال ، وتقدم أن لا يُطْلَق لأحدٍ شىءٌ إلا بتوقيعه ، ولا ينفذ إلا ما قدّره وأمر به ألا يرتفق ولا يرتزق ولا تُقبل هديةٌ ولا يضيع دينارٌ ولا درهم .

وفيها كان بدمشق زلزلة عظيمة سقط منها ألف دار ، وهلك خلقٌ كثير ، وخُسف بقريةٍ من قرى بعلبك ، وخرج الناسُ إلى الصحارى ؛ وكان ابتداؤها فى ليلة السبت سابع عشر المحرم ، وخرج الناس إلى الصحراء ؛ ولم تزل الزلازل تتابع إلى يوم الجمعة سابع عشر صفر بلاءً .

---

(1) المقصود بالغدير « غدير خم » وخم موضع بين مكة والمدينة به غدير أو بطيحة وحوله شجر كثير ، ويقال ان الرسول عليه السلام لما عاد من مكة بعد حجة الوداع سنة ١٠ هـ نزل بغدير خم وآخى على بن أبى طالب ثم قال : « على منى كهرون من موسى ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » ، « ويعلق الشيعة على هذا الحديث أهمية كبرى ، اذ يعتبرونه بمثابة مبايعة علنية من الرسول قبيل وفاته لعلى بن أبى طالب . أنظر: (دنلدسن : عقيدة الشيعة ، الترجمة العربية ، ص ٢٣ - ٢٦) ، ويذكر (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ص ٢٢٢ - ٢٢٣) أن هذا العيد لم يكن « مشروعا ولا عمله أحد من سالف الامة المقتدى بهم ، وأول ماعرف فى الاسلام بالعراق أيام معز الدولة ابن بويه ، فانه أحدثه فى سنة ٣٥٢ ، فاتخذه الشيعة من حينئذ عيدا .. وهو أبدا الثامن عشر من ذى الحجة » ، وفى خطط المقريزى تفاصيل ممتعة عن مراسم الاحتفال بهذا العيد فى مصر فى العصر الفاطمى . أنظر أيضا : (معجم البلدان لياقوت) .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة :

فورد سابقُ الحاج بتمام الحج ، وإقامة الدعوة للعزيز بالموصل واليمن ، وضربت السِّكة باسمه فى هذه البلاد .

وقدم رسول القرامطة بأنهم فى دعوة العزيز ونُصرته .

وفى صفر سُيِّر إلى منجوتِكين خمسون حِمْلاً من المال ، [٤٦ ب] وأربعون حِمّلا من ثياب محزومة ، وخِزانةُ سلاح ، وخمسمائة فارس .

وقدمت قافلةُ الحجاج فى سابع عشره .

وجرى فى الأسعار ما يُعْجَبُ منه ، وهو أن اللحم أبيع فى أول ربيع الأول رطلَ ونصف بدرهم ، ثم [أبيع فى سادسه عشر](١) أواقى بدرهم ، ثم أبيع أربعة أرطال بدرهم(٢) ، ولحمُ البقر ستة أرطال بدرهم ، والخبز السميذ اثنا عشر رطلا بدرهم ، وما دونه(٣) سبعة عشر رطلا بدرهم ، والدراهم(٤) كل خمسة عشر درهما ونصف بدينار ، وبلغت القطع الدراهم(٥) سبعة وسبعين درهما بدينار ، ثم وصلت كلُّ مائة درهم منها بدينار ، واضطربت الأسعار والصرف ، فضُربت دراهم [جدد](٦) ، وبيعت القطع المسبك(٧) كل خمسة دراهم منها بدرهم جديد ، وكان على الدرهم الجديد :

« الواحد الله الغفور » .

---

(١) مكان هذه الكلمات بياض بالاصل ، وقد اضيفت عن (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٤٩).

(٢) النص عند (ابن ميسر ، ص ٤٩) : « وهو أن اللحم بيع فى الخامس منه رَطل ونصف بدرهم ، وبيع فى سادسه عشر أواقى بدرهم ، وبيع فى سابعه أربعة أرطال بدرهم » .

(٣) عند ابن ميسر : « وغيره » .

(٤) النص عند ابن ميسر : « وكانت الدراهم القروية خمسة عشر درهما .. الخ » .

(٥) فى المرجع السابق « الدراهم : القطع » .

(٦) أضيف مابين الحاصرتين عن المرجع السابق .

(٧) عند ابن ميسر : « أبيعت القطع من الصيارف لسبك كل خمسة .. الخ » .

وفى الوجه الآخر :

« الإمام أبو المنصور(١) » .

وفى ربيع الآخر ورد الخبر بفتح منجوتكين حِمْص وحماة وشيْزَر ، وأنه محاصرٌ لحلب ، فجعل الطائر الذى قدم بالخبر فى قفص عليه ثوب ديباج وطيف به القاهرة ومصر .

وسعى(٢ بعضُ النصارى بالكتاب إلى العزيز فانكف عليه وهدد ، فقيل إنه جائع ، فرتب له فى كل شهر عشرون دينارا ، ونهى عن العود لمثل ذلك ، فخاف السعاة وانكفوا ٢) .

وخَلَعَ القاضى محمدُ بنُ النعمان على مالك بن سعيد الفارقى ، وقلّده قضاء القاهرة ، فركب بالخِلَع وشقّ الشارع إلى القاهرة .

وفى جمادى الأولى ورد الخبرُ على جناح الطائر بأن سعد الدولة شريف بن سيف الدولة على بن حَمْدان بذل لمنجوتكين ألف ألف درهم ، وألف ثوب ديباج ، ومائة فرس مُسْرَجة ، ليرحل عنه ، فامتنع ، وقدم الروم فواقعهم منجوتكين ، وقد استخلف على قتال حلب عسكرا ، وكان منجوتكين فى خمسة وثلاثين ألفا ، والروم فى مبعين ألفا ، وانهزم الرومُ عند جسر الجديد ، وأُخذ سوادُهم ، وقُتل منهم وأُسر كثير ، فقرأ العزيز الكتاب بنفسه على الناس ، ونزل القاضى محمد بن النعمان فقرأه على الكافة فوق المنبر بالجامع العتيق ، وقال فى كلامه :

« فاحمدوا الله أيها الناس ، فإن الله تعالى قد صانكم وصان أموالكم بمولانا وسيدنا الإمام العزيز بالله — عليه السلام — ، فما بالعراق تاجرٌ معه عشرة دنانير أو أكثر إلا وتؤخذ منه » .

وسقط الطائر بعده بأن منجوتكين غنم غنيمة عظيمة من الأموال والرجال والدواب ، وأنه ظفر بعشرة آلاف أسير فأخذهم ، وأنهم قاتلوا معه وهو محاصر للروم فى أنطاكية ، فقرأ القاضى الكتاب على المنبر ، وتصدّق العزيز بصدقات كثيرة .

وسقط الطائر بوصول منجوتكين إلى مَرْعَش ، وعاد إلى حلب .

وركب العزيز لفتح الخليج بالمظلة ، وعليه قميص ديباج مثقل ، وتاج مُرَصَّعٌ بالجوهر .

(١) عند ابن ميسر : « أبو منصور » .

(٢) هذه الجملة غير واضحة المعنى ، ويبدو أنه ينقصها بعض الفقرات أو الالفاظ ولم أجد فى المراجع الاخرى مايعين على اكمالها أو توضيحها .

ولأربع عشرة خلت من رجب كان عيد الصليب[1] ، فجرى الناس فى الاجتماع فيه للهو على ما كانوا عليه .

وسقط الطائر بعَوْد منجوتكين عن حلب إلى دمشق ليشتى بها .

ورُدَّت الحِسْبَة إلى حميد بن المفلح ، وخُلع عليه ، فطاف البلدَ بالطبول والبنود ، وضمن ضياعا بمبلغ ثلاثمائة ألف دينار ليقوم بالعلف .

وخطب العزيز فى رمضان فى جامع القاهرة ، وصلى ، وركب يوم الفطر فصلى بالناس ، وخطب على الرسم .

وسارت قافلة الحاج للنصف من ذى القعدة[2] .

ونودى فى السقائين أن يغطُّوا روايا الجمال والبغال كى لايدنسوا ثياب الناس .

وعُمل سِماطُ عيد النحر ، وركب العزيز فصلَّى بالناس صلاةَ عيد النحر ، وخطب على رسمه ، ونحر ، وفرَّق الضحايا .

وعُمل عيد الغدير[3] على العادة .

وفيها سار بكجور من الرقَّة إلى قتال سعد الدولة أبى المعالى شريف بن سيف الدولة على بن حمدان بحلب ، فاقتتلا ، وانهزم بكجور ، ثم قبض عليه ، وحمل إلى سعد الدولة أسيرا فقتله .

وفيها كتب العزيز سجلا بولاية العهد بالمغرب لأبى منادٍ باديس بن منصور بن زيْرى بعد أبيه ، فسُرَّ بذلك أبوه .

---

(١) كان يحتفل بهذاالعيد فى اليوم السابع عشر منشهر توت كل عام؛ وقد أسهب (المقريزى: الخطط ؛ ج ٢ ، ص ٢٨ – ٣٠) فى الحديث عن تاريخ هذاالعيد ورسوم الاحتفال به فى مصر، ويعنينا أن ننقل هنـا ما قاله عن الاحتفال بهذا العيد فى العصر الفاطمى بصفة خاصة ، قال : « وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم يخرج الناس فيه الى بنى وائل بظاهر فسطاط مصر ، ويتظاهرون فى ذلك اليـوم بالمنكرات من أنواع المحرمات ، ويمر لهم فيه مايتجاوز الحد ؛ فلمـا قدمت الدولة الفاطمية الى ديار مصر وبنوا القاهرة واستوطنوها وكانت خلافة أمير المؤمنين العزيز بالله أمر فى رابع شـــهر رجب فى ســنة احدى وثمانين وثلاثمائة – وهو يوم الصليب – فمنع الناس من الخـروج الى بنى وائل وضبط الطرق والدروب ... الخ » .

(٢) أضاف (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٤٩) بعد هـذه الكملة مايلى : « ومبلغ ما أنفقه العزيز على الكســوة والصلات وغيره عينا وورقا ثلاثمائة ألف دينار » .

(٣) للتعريف بعيد الغدير انظر مافات هنا ص ٢٧٣ ، هامش ١ .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة :

فى المحرم رُدَّتْ الحسبةُ إلى الوبرة النصرانى ضمانا مع السواحل ، فأُمر أبو محمد الحسن ابن عمار بالنظر فى الظلامات وحوائج الناس ، وتدبير الأموال ، ومحاسبة [٤٧ أ] أرباب الدواوين ، فجلس لذلك ، ثم أعفى منه ، وأمر القائدُ الفضلُ بن صالح بالجلوس لذلك ، فجلس بالقصر ومعه القاضى محمد بن النعمان .

وقدم سابق الحاج فخُلع عليه ، وطيف به .

وخرج العزيز إلى الجيزة لصيد سبع ، وعاد وهو بين يديه على بغل .

وظهر بمصر جرادٌ لم يُعهد مثله ، فبيع بالأسواق منه شىء يجلُّ عن الوصف ، وكان يَباع أربعة أرطال بدرهم .

ووصلتْ قافلةُ الحاج لأربعٍ بقين من صفر .

وعرض على العزيز عمل الخراج ووجوه الأعمال وتقدير ذلك ، وابتدئ فيه بمصروف مؤونته ومطابخه وموائده فحذفه ، ولعن من عمله ، وقال :

« أشبع أنا وتجوع الناس ، أطلقوا أرزاق الناس على الأدوار ، فقد كدت أن أعطل المائدة »

وفى أول ربيع الأول أمر العزيز الكُتَّاب كُلَّهم أن يمتثلوا ما يأمرهم به أبو الفضل جعفر ابن الفرات ، فركبوا إليه ، وأمر ونهى ، وتكلم فى الدواوين .

وكانت وقعة فى البحر مع الروم بنواحى الإسكندرية ، وأُسر فيها من الروم سبعون .

وأمر بنصب أزيار الماء على الحوانيت مملوءة ماء ؛ ووقود المصابيح على الدور وفى الأسواق .

وقرئ سِجِلٌّ بألا يؤخذ على الموازين والأرطال حَقُّ طَبْع ، وألا يأخذ أعوانُ المحتسب من أحد شيئا .

ووردتْ مراكب الروم إلى الإسكندرية ، فسار إليها العسكرُ فى البر ، والأسطول فى البحر ، فولوا من غير حرب إلى الشام ، فسار الأسطول إليهم ، وزيد فيه ثمانية عشر مركبا ، مشحونة بالسلاح والمقاتلة .

وذُكر عند العزيز كتاب العيْن فى اللغة ، فأخرج منه نيفا وثلاثين نسخة من خزائنه ، منها واحدة بخط الخليل بن أحمد مؤلفها .

وحُملت إليه نسخة من تاريخ الطبرى اشتراها بمائة دينار ، فأمر الخُزَّانَ فأخرجوا من خزائنه عشرين نسخة ، منها نسخة بخط محمد بن جرير جامعه .

وذكرت عنده جمهرةُ ابنُ دُرَيْد فأخرج منها مائة نسخة

وفيها ركب العزيز[1] لفتح الخليج بزيِّه .

وظهر رجل من الرسيِّين يقال له القاسم بن على يطلب الخلافة بأعمال الحجاز .

وفى جمادى وردت هدية منصور بن يوسف بن زيرى من المغرب ، وهى :

مائة وخمسون فرساً[2] .

وخمس عشرة بغلة مسرجة .

ومائة وثمانون فرسا ذكورا .

وخمسون حجرة .

وخمسون بغلة بأَجِلَّة[3] .

وثلاثمائة بغلٍ بأُكُف ، منها مائة بغل تحمل صناديق المال .

وخمسمائة وخمسة وثلاثون جملا تحمل البر[4] (؟) وغيره ، ١٠٠٠ مائة عليها أحمال المال .

---

(١) الاصل : « المعز » وهو خطأ واضح .

(٢) الاصل : « فرسخا » وهو خطأ واضح

(٣) انظر ما فات هنا ص ٢٤٩ هامش ٢ .

(٤) هذه الكلمة شبه ممحوة فى الاصل ، وما أثبتناه قراءة ترجيحيـة ، ومن المحتمل أن تقرأ « التبر » .

وكلاب الصيد .

وخمسة أفراس بسروجها لولد العزيز ، وعشرون فرسا بأجله .

وخمسة عشر خادما صقالبة .

وجلس العزيزُ عند المصلى وعلى رأسه المظلة ، وسارت العساكر بين يديْه قبيلة قبيلة ، وعُرضت عليه الخيول والرجال على الرسم فى كل سنة .

وحضر الفقهاء وغيرهم فى رجب بجامع القاهرة فى ليالى الجمع ، وفى ليلة النصف على العادة .

وفى تاسع عشر شعبان ركب العزيز فوقف على فرسه تحت شراعٍ نُصب له ، ومرّتْ العساكر بالخيل والجواشن والخوذ ، فمروا قائدًا قائدًا ، كل واحدٍ بعسكره فى حُجّابه وشاكريته(١) وبنوده ، وكانوا مائة وستين قائدا ، فيهم من عسكره ثلاثة آلاف إلى ألفين ، وكان الغرض بهذا العرض أن يرى رسولُ منصور بن زَيْرى العساكر .

واستعفى جعفر بن الفرات من النظر فى الأموال ، فأُعفى وحوسب ، وضمن عدة من الكتاب القيام بوجوه الأموال ، وأُلزم ابن الفرات بمال .

وخطب العزيز فى رمضان بجامعه ، وصلى بالناس صلاة الجمعة ، ومعه ابنه منصور ، فجُعلت المظلَّةُ على الأمير منصور بن العزيز ، وصار العزيز بغير مظلة ، وصلى أيضا صلاة عيد الفطر ، ومعه ابنُه على الرسم .

وسارت قافلةُ الحاج للنصف من ذى القعدة بالكسوة للكعبة والصِّلات ، فخرج حاجٌّ كبير ، وخرج معهم ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل ، وبلغت النفقة على الكسوة والصِلات ثلاثمائة ألف دينار .

ووصل البَقْط(٢) من النوبة على العادة ، ومعهم فيلٌ وزرافة .

(١) الشاكرى معناها الساعى أو الرسول ، ومن معانيها كذلك السيف العريض المنحنى ذو الحدين • راجع (Dozy: Supp. Dict. Arab.)

(٢) البقط اسم أطلق على الهدنة التى عقدت بين عبد الله بن سعد بن أبى السرح وملك النوبة بعد غزوه لها سنة ٣١ هـ ، وكانت بمثابة معاهدة سياسية وتجارية بين مصر ومملكة النوبة المسيحية ، ومن شروطها ألا يعتدى أحدهما على الآخر ، وأن تؤدى النوبة الى مصر عددا معينا من الرقيق كل سنة ، وأن ترسل مصر الى النوبة قدرا معينا من القمح والعدس وغيرهما من محاصيل مصر كل سنة • أما اللفظ من الناحية اللغوية فيقال انه مأخوذ من الكلمة اللاتينية Pactum ، ومعناها عقد أو اتفاق ، ويقال كذلك أنها مأخوذة عن الكلمة المصرية القديمة Bakt بمعنى عبد • أنظر (Enc. Isl. art. Bakt)

وفيها كثر بخس الباعة فى البيع من المكاييل والموازين ، فكُتب سِجِلٌ فى الأسواق بالنهى عن ذلك ، وخُوِّفوا بأن من وجدت عنده صنجة أو كيل أو ميزان بعد ثلاثٍ وفيها عيبٌ حلَّت به العقوبة ، كائنًا مَنْ كان من ساكنٍ فى عقار الدواوين الخاصة والأملاك أو فى رباع أحدٍ (٤٧ ب) من خواص الدولة ، أو ظهر عليه بأنه بخس الناس أو غشَّ .

وحُمل سماطُ العيد ، وخطب العزيز بالمصلى بعد ما صلى صلاة عيد النحر بزِيِّه ، وفرَّق الضحايا ونحر .

وخُرِّج على جعفر بن الفرات خراجُ ضياعه بالشام مبلغ خمسة وخمسون ألف دينار ، فأُلزم بذلك ، وتُسلمت ضياعُه المذكورة حتى اُستوفى ذلك منها ، فأصابه عنتٌ عظيم .

وعُمل عيد الغدير على العادة .

وفى هذه السنة كُسفت الشمس بأجمعها فى سلخ جمادى الآخرة ، فأظلمت الدنيا وظهرت النجوم حتى لم يرَ الإنسانُ كفَّه ، ثم انجلى الكسوفُ آخر النهار .

وفيها حُمل من تِنِّيس صبىٌ يُعرف بحسين بن عمر إلى القاهرة لم يَبُل قطُّ ، فاعتُبر حالُه بها فكان كذلك ، وسُقى أدوية مُدِرَّة للبول فلم يَبُل ، فأُحسن إليه ، وأُعيد إلى تِنِّيس ، وأقام بها مدةً حتى مات .

سنة أربع وثمانين وثلاثمائة :

فى المحرم قدم عيسى بن جعفر الحسنى أمير مكة بالقاسم بن على الرسّى الثائر بالحجاز ، فأكرمهما العزيز ، وأحسن إليهما .

ووصلت قافلةُ الحاج لست عشرة خلت من صفر .

ونزل منصور بن مقشر طبيبُ العزيز لتعهده وبين يديه الجنائب ، وعلى الصبى شاشية مرصعة ، وبين يديه أسطال فضة ، وثلاثون شمعة موكبيّه ، وشمع معنبر ، فشقّ الشارع نهارًا إلى الكنيسة .

وفى ربيع الأول جلس منصور بن العزيز فى المكتب .

وورد صندل عامل برقة بالهدية من المال والخيل والبغال والأحمال المحزومة ، والجمال ، فخُلع عليه وحمل .

وفيه حُمل إلى القصر بستانٌ من فضة فيه أنواع الأشجار المثمرة وجميع الأزهار ، كلُّ ذلك من فضة .

وفى ربيع الآخر سار منجوتكين من دمشق فى ثلاثين ألفًا لقتال ابن حمْدان بحلب ، وقد اجتمعت عساكرُ الروم بأنطاكية ، فأقام بفامية ، وسيّر إلى ماحول أنطاكية من القرى فأخربها .

ثم رحل عنها لكثرة الحرّ والذباب إلى جَبَلة ، فأخذها وما حولها ، فنال منها شيئا كثيرا .

وسار إلى حلب ، فحاصرها نحوا من شهرين ، فعزم الروم على نجدة ابن حَمْدان بحلب ، وقد أتتهم أمدادهم وجموع كثيرة وساروا يريدون حلب ، فبرز إليهم منجوتكين ، وواقعهم فهزمهم ، وقتل منهم نحو خمسة آلاف ، ومضى من بقى منهم إلى إنطاكية ، وذلك فى شعبان .

فلما انقضى أمر الوقعة عاد منجوتكين ، فنزل على حلب ، وضايق أهلها بالحصار والقتال : حتى أكلوا الميتة من الجوع ، وخرج منها خلقٌ كثير إلى منجوتكين ، وأقام على حصارها بقية السنة .

وفى جمادى الأولى وصل غُزَاةُ البحر إلى القاهرة بمائة أسير ، فزُينت القاهرة ومصر أعظم زينة ، وركب العزيز وابنُه منصور ، وشقَّا الشوارع ، ثم ركب فى عَشَارِى[1] ، ومعه العشاريات سائرة إلى المقس ، ثم ركب من المقس إلى القصر فكان يوما عظيما لم يُرَ بمصر مثله ، وقال فيه الشعراء .

وفى جمادى الآخرة سار عيسى بن جعفر أمير مكة بالجوائز والخلع ومعه القائم الثائر .

واشتدت المطالبة على ابن الفرات ، وأُحيل عليه بمال ، فأعنته المحتالون عليه ، ولحقه منهم مكروه ، وألقوه عن فرسه فكُسرت إصبعه ، وامتدت أيديهم إليه ، فالتجأ إلى دار القائد أبى عبد الله الحسين بن البازيار ، فأُصلح قضيته .

وجُهزت هدية إلى ابن زيْرى بالمغرب ، وهى :

فيل .

ومائة فرس مسرجة ملجمة .

---

(١) العشارى – ويقال العشيرى – نوع من السفن العربية القديمة ، وقد وصفه (عبد اللطيف البغدادى ، الافادة والاعتبار ، ص ٥٤) وصفا دقيقا ، قال : « وأما سفنهم (أى المصريين) فكثيرة الاصناف والاشكال ، وأغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه « العشيرى » شكله شكل شبارة داخلة (وهى سفينة عراقية) الا أنه أوسع منها بكثير وأطول وأحسن هنداما وشكلا ؛ قد سطح بألواح من خشب ثخينة محكمة ، وأخرج منها أفاريز كالرواشن نحو ذراعين ، وبنى فوق هذا السطح بيت من خشب ، وعقد عليه قبة ، وفتح له طاقات وروازن بأبواب الى البحر من سائر جهاته ، ثم تعمل فى هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ، ثم يزوق بأصناف الاصباغ ، ويدهن بأحسن دهان ، وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالسا فى وسادته وخواصه حوله ، والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن ، وأطعمتهم وحوائجهم فى قعر المركب ، والملاحون تحت السطح أيضا وفى باقى المركب يقذفون به ، ولا يعلمون شيئا من أحوال الركاب ، ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم ، بل كل فريق بمعزل عن الآخر ، ومشغول بما هو بصدده ، واذا أراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن أصحابه دخل المخدع ، واذا أراد قضاء حاجته دخل المرحاض .. الخ »

وبغال .

ونوق ، وبخاتى .

وثلاثون قبة مثقلة .

وأحمال محزومة ، فيها بَزٌّ وكسوة من عمل تِنِّيس ودمياط وغيره .

وبلور ، وصينى ، وغرائب .

وعَشْرُ خِلَع مُذَهَّبة بمناديلها .

وعشرة أفراس من خاص العزيز بمراكب ذهب .

وركب العزيز بابنه لفتح الخليج وأمر ألا تباع دارٌ بما فوق مائتى دينار إلا بعد عرضها على من يلى ديوان الأملاك .

وورد سُبُكْتِكين من صقلية ، فخُلع عليه ؛ ووردت هدية متولى صقلية ، وهى : خيل ، وجمال ، وصناديق مال .

وصلى العزيز بالناس الجمعة بعد ماخطب بجامع القاهرة وبجامعه ، ومعه ابنه فى أيام الجمع من شهر رمضان ، وعمل فى آخره سماطًا للعيد ، وصلى العزيز بالناس صلاة عيد الفطر ، وخطب على الرسم .

وتسلَّم عيسى بن نسطورس سائر الدواوين ، ونظر فى جميعها ، وأمر ونهى ، وخاطب سائرَ الكُتَّاب عن العزيز ، وخاطبه سائرُ الأولياء وكافةُ الناس فى مهماتهم وتوقيعاتهم .

وقدم يحيى بن النعمان [٤٨ أ] من تِنِّيس ودمياط والفرما بأسفاط وتخوت وصناديق مال ، وخيل وبغال وحمير ، وثلاث مظلات وكسوتين للكعبة (١) .

ولاثنتى عشرة خلت من ذى القعدة عرض العزيزُ العساكر بظاهر القاهرة ، فنُصب له مضرب ديباج رومى فيه ألف ثوب بصُفْرِيَّة فضة(٢) ، وفازة(٣) مثقل ، وقبة مثقل بالجوهر ،

(١) هذا نص هام آخر يؤكد أن كسوة الكعبة كانت تصنع فى العصر الفاطمى فى دور الطراز بتنيس ودمياط .

(٢) انظر مافات هنا ص ٢٤٢ ، هامش ١.

(٣) انظر مافات هنا ص ٢٤٤ ، هامش ٢

وضُرب لابنه منصور مَضْرَبٌ آخر ، وعُرضت العساكر ، فكانت مائة عسكَر ، وأحضرت أسارى الروم ، وهم مائتان وخمسون ، منهم ثمانى بطارقة ، وثمانية عشر من أصحاب ابن حَمْدان ؛ وطيف بهم ؛ وخُلع على الحمدانية ، فكان يوما عظيما .

وسارت قافلةُ الحاج لأربع عشرة بقيت منه بالكسوة والصلات .

وصلى العزيز صلاة عيد النحر وخطب بالمصلى على رسمه ، ونحر وفرّق الضحايا .

وجرى الرسم فى عيد الغدير على العادة .

سنة خمس وثمانين وثلاثمائة :

في المحرم ورد سابق الحاج ، وأخبر أنه لم يحج سوى أهل مصر واليمن .

وحضر العزيز لمنجوتكين مائة ألف دينار وعسكرا يتبع بعضه بعضا .

وورد البقط من النوبة .

ووصل الحاج فى ثامن صفر .

وجلس فى ربيع الأول القاضى محمد بن النعمان على كرسى بالقصر لقراءة علوم آل البيت ، وحضره الناس ، فمات فى الزحام أحد عشر رجلا .

ووردت من منجوتكين أسرى من الروم والحمدانية ، وعدة رءوس ، فعفا(١) عن الحمدانية ، وطيف بمن عداهم .

وورد من برقة أربعة وأربعون صندوقا على اثنين وعشرين جملا فيها المال .

وبعث مُفَرِّج بن دُغْفُل الجرَّاح برجل من أعمال الشام ، زعم أنه السُّفْيانى ، فشهر على جملٍ وهو يُصفع .

وفى ربيع الآخر ورد الخبر بوصول الروم إلى أنطاكية ، فأُخرجت مضاربُ العزيز إلى منية الأَصْبَغ ، وذلك أن منجوتكين لم يزل محاصرًا لابن حمدان بحلب من شعبان سنة أربع إلى ربيع الأول من هذه السنة ، حتى أشرف على أخذ البلد ، وراسل ابن حمدان يرد على ملك الروم بما هو فيه .

وكانت فى هدنة الروم وبنى حمدان أنه إن جاء إلى حلب عدو يدفعه ملك الروم ، فخاف بَسيل ملك الروم من العزيز أن يتمكن عساكره من حلب ، فيأخذ أنطاكية من الروم ، فجمع نحو أربعين ألفا ، وسار من قسطنطينية ، فكَدَّ أصحابه فى السير ، والجنائب والبغال تتقطع ، حتى وصل إلى أعزاز فى سبعة عشر يوما ، وهى مسافة شهرين لسير الاتصال ، وقد تقطع

(١) الأصل : « فعفى » .

أصحابه حتى بقى فى سبعة عشر ألفا ، فأنفذ إلى ابن حمدان يعلمه بنزوله أعزاز ، وكان قد وكل بالدروب والمضائق ، ومنع أن يخرج أحد من بلاده حتى يخفى خبر مسيره على منجوتكين ، فيأخذه على غفلة ، فلما بعث إلى ابن حمدان يعلمه بأنه قد نزل بنفسه أعزاز فأقيموا الحروب مع منجوتكين من الغد حتى . . . . (1) وهو فى الحرب .

وكانت هذه الرسالة مع رجلين مِنْ قِبَله ، فلقيهما رجلٌ من أصحاب منجوتِكين فى الليل فسألهما :

« من أين جئتما ؟ » .

فظناه من الحمدانية ، فأخبراه ، فقبض عليهما ، وأتى بهما إلى منجوتكين ، فأخبراه أن بسيل ملك الروم على أعزاز ، فلما أصبح طرح النار فى خزائن السلاح ، وفى بيوت وحوانيت كان قد بناها عسكره ، فاحترقت ؛ ورحل فى آخر ربيع الأول إلى دمشق ، ووقع الصارخ فى الناس بأن منجوتكين قد انهزم عن حلب ، وأن عسكر الروم يطلبه ، فهرب الناس من المدن والقرى ، من دمشق إلى حلب ، وغلتْ الأسعار ، وكانت أيام الحصاد ، فترك الناس غلالهم ودورهم .

وسار ملك الروم ، فنزل إلى حلب ، واجتمع بابن حمدان ، ثم سار عنها إلى فامية ، وبها طائفة من عسكر منجوتكين ، فقاتلهم يوما واحدا ، ثم سار فنزل على طرابلس ، وراسل أهلها ، ووعدهم بالإحسان إن يثبتوا على ما يكون بينهم وبينه من العهد ، فخرج إليه ابن نزال والى البلد ليوافقه على أمر ، فاجتمع أهل البلد على أن ينصبوا أخاه مكانه ، ويمنعونه من الدخول ، ولا يسلموا البلد إلى الروم ، فلما رجع منعوه من الدخول ، فصار إلى ملك الروم .

وصار ملك الروم عن طرابلس ، فنزل على انطرسوس وهى خراب ، فعمّر حصنها ، وجعل فيه أربعة آلاف ، وسار إلى انطاكية ، فكثرت فيه الاعلال ، فسار بمن معه إلى القسطنطينية .

---

(1) بياض بالاصل .

وخرج منجوتكين من دمشق فى شوال ، فنزل على انطرسوس ، فأقام يقاتل من فيها [٤٨ ب] نحوا من شهر ، ثم عاد إلى دمشق .

وأخذ العزيزُ لما بلغه مسيرُ ملك الروم إلى بلاد الشام فى التأهب للمسير ، وأطلق خمسين ألف دينار لابتياع ما يحتاج إليه(١) ، وأخرج للكتاميين أربعة آلاف فرس ، وأمر أن يُشترى لهم ألف فرس أخرى ، وأخرج(٢) الفازة الكبيرة وهى بعمود واحد طوله أربعة وأربعون ذراعا ، وفَتْحُ الفَلَكَة التى على [التمام] رأسه(٣) سبعة عشر شبرا ، وطول ثيابها خمسون ذراعا ، وفى رأسها صُفْرِيَّة(٤) فضة زنتها سبعة عشر ألف درهم ، ويحمل هذه الفازة سبعون بُخْتِيًّا(٥) .

وقرئ سِجِلٌّ فى الأسواق بالنفير فاضطربت البلد .

ووصلت هدية من الهند فيها شجرة عود رطب .

وظهر بمصر من الوطواط شىء كثير .

واجتمع من الرعية وطوائف الناس بالسلاح للسفر مع العزيز ألوف كثيرة ، وخرج جَيْش ابنُ الصَمْصامَة(٦) فى عسكرٍ كبير إلى الشام ، وسُيِّر لابن الجرَّاح خمسون ألف دينار ، ولمنجوتكين مائة ألف وخمسون ألف دينار .

وخرج العزيز بسائر العساكر إلى منية الأصبغ فى عاشر رجب ، فأقام(٧) شهرا ثم رجع إلى منا جعفر ، وقتل هناك الذى زعم أنه السُّفْيانى .

وأحصيت الخيولُ التى سارت مع العزيز فى اسطبلاته فكانت اثنى عشر ألفا ، والجمال

(١) النص عند (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٤٩) : « لابتياع كراع بسبب المسير » .
(٢) النص فى المرجع السابق : « أخرى ، وسار جمع كثير من الاتراك والعزيزية والعبيد فى سلاح كثيرة ومال جزيل ، ونصبت الفازة الكبيرة للعزيز وهى بعمود .. الخ)
(٣) الاصل : « الفلكة على التمام رأسه » ، والتصحيح عن (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٥٠) .
(٤) انظر مافات هنا ص ٢٤٢ ، هامش ١ .
(٥) عند ابن ميسر : « جملا من البخاتى » .
(٦) فى المرجع السابق : « ابن صمصامة » .
(٧) فى المرجع السابق : « فأقام فى الفازة »

المحملة للعزيز ولوجوه خاصته فكانت ثلاثين ألفا ، سوى ماهو مع وجوه الدولة ، وحُملت الخزانة السائرة على عشرين جملا[1] سوى خزائن الوجوه والخاصة ، وكان معه من المال خمسة آلاف حِمْل ، على كل جَمَلٍ صندوقان كبيران مملوءان مالا ، وألف وثمانمائة بختية وبختى ، على كل واحد صندوقان فى كل منهما مثل مافى الصندوقين المحمولين على الجمل .

وخرج خَلْقٌ من التجار ووجوه الرعية مرتين إلى العزيز يسألونه المقام ، وأن لا يخرج من مصر ويُسَيِّرُ العساكرَ ، فشكرهم ، وقال :

« إنما أسير لنصرة الإسلام والذبِّ عن بلدانه ، وصيانة أهله » .

فقدم رسولُ ملك الروم يخبر بوصوله إلى بلده ، ويعتذر عن مسيره ، ويسأل الهدنة ، فأجيب إلى الصلح .

وورد كتاب ابن حمدان يسأل فيه العفو وأن يُقَرَّ على عمله ، فأجيب بالعفو عنه ، وخُلِع على رسوله ، وحُمِل .

ونودى فى رمضان بالقاهرة ومصر :

« من كان من أهل السلاح فليخرج ليأخذ الرزق الكثير » .

وأنفذت العساكر لحفظ الأطراف .

وسُيِّر إلى الإسكندرية والصعيد بالعساكر .

وصلَّى منصورُ بن العزيز بالناس صلاة عيد الفطر ، وخطب بمناجعفر على رسم أبيه وزِيه ، وعليه المظلة والجوهر .

وفى نصف شوال ماتت أم ولد العزيز وزوجته بمناجعفر[2] فحُملت إلى القصر ، وصلى عليها العزيز ، وكفنها بما مبلغه عشرة آلاف دينار ، وأخذت الغاسلة ماكان تحتها من الفرش وعليها

(١) الاصل : « عشرين الف جمل » وهو غير معقول ، والتصحيح عن المرجع السابق .
(٢) كذا فى الأصل ، وعند (ابن ميسر ، ص ٥٠) : « بالمخيم فى منى جعفر » .

من الثياب ، فكان مبلغ ما نالها ستة آلاف دينار ، ودُفع إلى الفقراء ألفا دينار ، وللقراء الذين قرأوا على قبرها ثلاثة آلاف دينار .

ورثاها جماعة من الشعراء فأُجيزوا ، ففيهم من كانت جائزته خمسمائة دينار .

ورجع العزيز إلى مضاربه ، وأقامت ابنتُها على قبرها شهرًا تقيم العزاء ، والعزيزُ يأتيها كلَّ يوم ، والناس تُطعم كلَّ ليلة أصناف الأطعمة والحلوى ، وَفرَّق فى الشعراء ألفى دينار .

وسارت قافلةُ الحاج بالكسوة والصِّلات فى سادس عشر ذى القعدة .

وتوفيت أمُّ العزيز ، فرجع العزيز إلى القاهرة ، وصلَّى عليها ، وأمر بالصدقة ، ورجع إلى مضاربه .

وصلى العزيز بالناس صلاة عيد النحر وخطب فى مضاربه ونحر

سنة ست وثمانين وثلاثمائة :

فى محرم ورد سابق الحاج ، فخُلع عليه بالمُخَيَّم ، وقدم الحاج لثمان بقين من صَفَر .

وفى ربيع الأول جُهزت المراكب الحربية ، وأشحنت بالمقاتلة .

وفى العشرين منه رفع العزيز إلى غيفة فنزل بالعقارية بعد أن أقام فى مناخه أربعة اشهر وخمسة وعشرين يومًا ، فأقام بها ليلة ، ورفع إلى بلبيس(1) فنزل بظاهرها .

ونودى فى البلد لايتأخر أحد عن المسير فى الأسطول ، فوقعت فى الأسطول نار ، فاحترق وقت صلاة الجمعة لستٍ بقين من ربيع الآخر ، فأتت على ما فيه من عُدَّةٍ وسلاح ، حتى لم يبقَ منه غير ست مراكب ، لاشىء فيها ، فاتُهم بذلك الرومُ الأسارى ، وكانوا فى دارٍ بجوار الصناعة(2) بالمقس ، فنهبتهم العامة ، وقتلوا منهم مائةً وسبعة أنفس .

وحضر عيسى بن نسطورس ويانس الصقلبى [٤٩ ا] متولى الشرطة إلى الروم ، فاعترفوا بأنهم أحرقوا الأسطول(3) ، فكان ماذهب فى النهب نحو تسعين ألف دينار ، فنودى برد النهب ، وتوعد عليه .

وشرع عيسى بن نسطورس فى إنشاء أسطول جديد ، وظفر بعدة من النهابة ، فقتل بعضهم ، وحبس بعضهم بعد الضرب الشديد ، فأُحضر كثير مما نُهب .

ووردت غُزاة البحر بمائتى أسير وعشرين أسيرا طيف بهم البلد .

ووصل من برقة ستون فرسا ، منها عشرة بسروجها ولجمها ، وعشرون بغلة عليها صناديق المال ، وخمسمائة جمل عليها قطران وغيره ، وعِدَّةٌ من صبيان وعلوج من السبر (؟)

---

(1) عند (ابن ميسر ، ص ٥٠) : « تنيس» ، وهو خطأ ، وما بالمتن هو الصحيح .

(2) المقصود دار صناعة السفن .

(3) فصل (المقريزى : الخطط ؛ ج ٣ ، ص ٣١٧ ـ ٣١٩) الحديث عن حرق الأسطول والفتنة التى أعقبتــه الى أن انتهت بقتــل عيسى بن نسطوروس فى أوائل عهد الحــاكم بأمر الله ، فراجعه هناك .

ونزع السعر ، فمُنع من بيع القمح لغير الطحانين

ولخمس بقين من رجب ابتدأ بالعزيز المرض ، فأقام به إلى ثامن عشرين رمضان ، فاستدعى القاضى محمد بن النعمان والحسين بن عمّار لليلتين بقيتا منه ، وخاطبهما فى أمر ولده ، ثم استدعى ولده وخاطبه .

ثم توفى من يومه بين صلاتى الظهر والعصر من مرض القَوَلَنج والحصاة فى مسلخ الحمام ببلبيس[1] ، فلم يكتم موته .

ورحلت سيدةُ المُلْك ابنة العزيز فى الليل ، وسار بمسيرها القيصرية لأنهم كانوا برسمها ، ومعهم القاضى محمد بن النعمان ، ورَيْدان صاحب المظلة ، وأبو سعيد ميمون دِبّة ، فوافوا القاهرة ، وأقيم المأتم والصياح بالقصر ، وضُبط الناس أحسنَ ضبط ، فلم يتحرك أحد ، ولم يبقَ شارع ولا زقاق إلا وفيه صراخ ونحيب .

وبادر بَرْجُوان إلى أبى على منصور بن العزيز فإذا هو على شجرة جميز يلعب فى دار ببلبيس[1] ، فقال له : « بسك تلعب ؟ انزل » .

فقال له : « ما أنزل والله الساعة » .

فقال له : « انزل ، ويحك ! اللهَ فينا وفيك » ، وأنزله ، ووضع على رأسه العمامة بالجوهر وقبّل له الأرض ، وقال :

« السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » .

وأخرج به إلى الناس ، فقبّل جميعهم له الأرض ، وسلموا عليه بالخلافة .

وخرج الناس من الغد للقائه ، فدخل إلى القاهرة ، وبين يديه البنود والبوقات بالمظلة[2] يحملها رَيْدان ، والعساكر كلُّها معه ، والعزيز بين يديه على عمارية ، وقد خرج قدماه منها ونودى فى البلد :

(1) عند (ابن ميسر ، ص ٥٠) : «تنيس » ، وما بالمتن هو الصحيح .
(2) عند (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٥١) : « وعلى رأسه المظلة » .

« لا مؤنة ولا كلفة ، وقد أمنكم الله على أنفسكم ، فمن عارضكم أو خاطبكم فقد حلّ دمه وماله » .

وتولى القاضى ابن النعمان غسل العزيز ، ودُفن مع آبائه فى تربة القصر بعد عشاء الأخيرة .

وأصبح الناس والأحوال مستقيمة .

وقد لُقب أبو على المنصور « الحاكم بأمر الله » . فاتفق كل المغاربة واشترطوا أن لا ينظر فى أموالهم إلا ابن عمَّار .

وباتوا ليلة العيد وأصبحوا يوم الفطر ، فصلى بالناس القاضى محمد بن النعمان ، وهو متقلد للسيف ، فعندما صعد المنبر قبَّل موضع جلوس العزيز وبكى ، فضجَّ الناسُ بالبكاء والنحيب ، وخطب فندب العزيز وبكاه ، ودعا للحاكم ، وعاد إلى القصر ، والعساكر صفيْن من المصلى إلى باب القصر ، فحضر الحاكم السماط .

وكانت مدةُ العزيز فى الخلافة بعد أبيه المعز إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر ونصف ، ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة ، وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما .

وكان نقش خاتمه :

« بنصر العزيز الجبّار ، ينتصر الإمام نِزار » .

وخلّف من الولد : ابنَه منصورا ، وسيدة الملك ـ وولدت بالمغرب فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ـ .

وكان أسمر طوالا ، أصْهَبَ الشّعر ، أعْيَن ، أشْهَل ، عريض المنكبيْن ، شجاعًا ، حسن العفو والقدرة ، لايعرف سفك الدماء ، حسن الخلق ، قريبًا من الناس ، بصيرًا بالخيل وجوارح الطير ، محبًا للصيد ، مغرىً به ، حريصا على صيد السباع خاصة .

ووزر له :

يعقوبُ بن كِلّس اثنتى(١) عشرة سنة وشهريْن وتسعة عشر يوما .

---

(١) الاصل : « اثنتا » .

ثم أبو الحسن على بن عمر العدّاس بعد ابن كِلّس سنة واحدة

ثم أبو الفضل جعفر بن الفرات سنة .

ثم أبو عبد الله الحسين بن الحسن البازيار سنة وثلاثة أشهر .

ثم أبو محمد بن عمّار شهرين .

ثم الفضل بن صالح أياما .

ثم عيسى بن نسطورس سنة وعشرة أشهر .

وكانت قضاته :

أبو طاهر محمد بن أحمد .

ثم أبو الحسن على بن النعمان .

ثم أبو عبد الله محمد بن النعمان .

وكانت خَرْجاتُه [٤٩ ب] إلى السفر :

أولها ثامن صفر سنة سبع وستين ، ثم عاد من العباسة .

والثانية سار إلى الرملة ، وظفر بأفْتِكين التركى .

والثالثة سار إلى مضربه بعين شمس فى صفر سنة اثنتين وسبعين ، ورجع منه بعد شهر

والرابعة نزل منية الأصبغ[١] فى ربيع الأول سنة أربع وسبعين ، ثم عاد بعد ثمانية أشهر واثنى عشر يوما .

والخامسة برَّز فى عاشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ، فأقام مبرزا أربعة عشر شهرا وعشرين يوما ، وفيه مات .

وهو أول من اتخذ من أهل بيته وزيرًا أثبت اسمه على الطُّرُز[٢] ، وقرنه باسمه وأول من لبس منهم الخفتان والمنطقة .

(١) ابن ميسر ، ص ٥٢ : «منية مطر».
(٢) انظر مافات هنا ص ٢٦٢ ، هامش ٢

وأول من اتخذ منهم الأتراك ، واصطنعهم ، وجعل منهم القواد .

وأول من رمى منهم بالنُّشّاب[1] .

وأول من ركب منهم بالذؤابة الطويلة والحَنَك[2] ، وضرب بالصوالجة ، ولعب بالرمح .

وأول من عمل مائدة فى الشرطة السفلى فى شهر رمضان ، يفطر عليها أهل الجامع العتيق .

وأقام طعاما فى جامع القاهرة لمن يحضر فى رجب وشعبان ورمضان

واتخذ الحمير لركوبه إياها[3] .

وتجدّد فى أيامه من العمائر :

قصر الذهب[4] بالقاهرة .

وجامع القرافة .

وجامع القاهرة . المعروف بجامع الحاكم[5]

وبستان سردوس .

والفوارة بالجامع العتيق .

---

(١) النشاب : السهام .

(٢) الذؤابة : العذبة ؛ وقال صاحب صبح الأعشى (ج ٣ ، ص ٤٧٧) فى تعريفه للاستاذين المحنكين : « وهم الذين يدورون عمائمهم على أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة » .

(٣) كذا فى الاصل ، وفى (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٥٢) : « لركوبه أياما مفردة عن غيره » .

(٤) قصر الذهب هو أحد قاعات القصر الكبير الذى بناه المعز ، والعزيز هو الذى بنى قصر الذهب وكان يدخل اليه من باب الذهب الذى هو اليوم المارستان المنصورى ، ومن باب البحر الذى كان تجاه المدرسة الكاملية ، وجدد هذا القصر فيما بعد المستنصر بالله فى سنة ٤٢٨ ، وبه كان يجلس الخلفاء فى الموكب يومى الاثنين والخميس ؛ وكان يعمل سماط شهر رمضان للامراء وسماط العيدين ، وبها كان سرير الملك أى العرش . راجع : (المقريزى : الخطط ،ج٢، ص ٢١٦ ـ ٢١٧) .

(٥) بدىء بتأسيس هذاالجامع فى عهد العزيز فى رمضان سنة٣٨٠ ، ثم أكمل بناءه ابنه الحاكم بأمر الله ؛ وبه عرف ، انظر تفصيل الحديث عنه فى : (المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ٥٥ ـ ٦١) .

والقصور بعين شمس[1] .

والمصلّى الجديد بالقاهرة .

وحصن الرسيين .

والمنظرة على الخليج .

وقنطرة الخليج القديمة ـ التى بناها عبد العزيز بن مروان ـ

وقنطرة بنى وائل .

والحمامات التى بالقاهرة .

ودار الصناعة التى بالمقس[2] .

والمراكب مما لم يُرَ مثله قبله كبرا ووثاقة وحسنا .

وهو أول من ركب فى الجمع شهر رمضان وصلى بالناس .

وأول من بنى دار الفطرة[3] ، وقرّر فيها مايحمل إلى الناس فى العيد .

وبلغت عدة جواريه عشرة آلاف جارية[4] .

وبلغ راتب مطبخه ومائدته فى كل يوم مالا عظيما ، فلم يكن أحد من الأتراك والعبيد إلا وله وظيفة راتبة كل يوم .

---

(١) ذكر (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٥٣) ـ نقلا عن المسبحى ـ المنشآت التى بناها العزيز ؛ وهى لا تختلف عما ورد هنا ، وانما اضاف اليها قوله : « وفى أيامه بنى قصر البحر بالقاهرة الذى لم يبن مثله فى شرق ولا غرب » . ولعله يقصد « قصر الذهب » فقد كان يدخل اليه من باب البحر .

(٢) انظر تفصيل الحديث عن دار صناعة المقس فى (المقريزى : الخطط ، ج ٣ ص ٣١٧ ـ ٣١٩) .

(٣) انظر تفصيل الحديث عن دار الفطرة فى (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٣) .

(٤) جاء فى (ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٤ ـ ٤٥) : « وكان فى القصر عشرة آلاف جارية وخادم ، فبيع منهم من اختار البيع ، وأعتق من سأل العتق ، ووهب من الجوارى لمن أحب وآثر .. الخ »

وكان يعلف له من الخيل فى كل يوم والبغال والحمير والجمال عشرون ألف رأس ، منها لركوبه ألف فرس ، سوى البغال .

وقال ابن سعيد عن « كتاب سيرة الأئمة لابن مهذب » : قال : كتب أبو جعفر محمد ابن حسين بن مهذب صاحب بيت المال إلى العزيز :

« يا مولانا – صلى الله عليك – : ربما سألنى أهلى وكتابى وبعض الكتاب المتصرفين من عبيد الدولة الموثوق بهم فى قرض مال ، ومالى لايحتمل ذلك ، ومالُ مولانا فلا تُبسط فيه يدى إلا بإذنه ، وقد كتبت هذه الرقعة إلى مولانا أستأذنه فيما أعوّل عليه » .

فوقّع العزيز عليها :

« يا محمد : سلّمك الله ، من أتاك من أهلك وكتابك وخزانك والمتصرفين معك ، ومن سائر عبيدنا والمتمسكين بأذيالنا يطلب منك سلفا ، ورأيت منه ما يدل على صحة ماشكاه من ضرورته ، وعلمت صدقه فى ديانته ، فادفع إليه مارأيته ، وخذ منه خَطّه ، ولا تطلب منه ؛ فإن ردّه إليك عفوا من ذات نفسه ، فخذ منه ؛ وإن لم يرده إليك ، وعلمت أن يده لا تصل إلى ردّه ، فاعذره فى تأخير ماقبضه ؛ وإن طلب زيادةً زدته على شرطه ، واسكت عن طلبه ؛ ومن عرفتَ أنه قادر على ردّ ما قبضه ، ولم يُعده إليك ، فأمسك عن طلبه ، وامنعه من مثله » .

وأنفذ العزيز إلى أبى عبد الله حسين بن البازيار ببلبيس – وقد اشتدّ به الوجع – ، فبكى رآه ، فقال له العزيز :

تبكى ياحسين ؟! لاتبكِ علىّ الساعة ، ولكن إذا ضرب مولاك الأميرُ ابنى بيده على لحيته فابكِ البكاء الطويل إن قدرت » .

فلما كان فى سنة أربع وتسعين قتل الحاكمُ ابنَ البازيار عند خروج لحيته .

وكان رشيق الحمدانى يقول عن الحاكم :

« هذا يقتلنى » .

فسئل عن ذلك ، فقال :

« دخلتُ على العزيز ـ وهو مطرق ـ كأنّه يخاطب نفسه ، فبعد وقت رفع رأسه ، وقال :

« أيّ وقت جئت ؟ »

« فقلت : من ساعة » .

فقال : كنتُ مفكرا فى قوم أشجوا صدرى ، وملأوا بالغيظ قلبى ، ولا أدرى ما أعمل ..

فقلت : « يامولانا ابعث إليهم فاقتلهم » .

فقال : « ماهذا يكون بيدى ، ولكنه والله سوف يجىء من يقتلهم ويقتلك معهم » .

وأرى الحاكم قد قتل جماعة ولابد له منى » . وكذا كان .

وقال القرطى :

« كان المثل يضرب بأيام العزيز فى مصر ؛ (٥٠ ا) لأنها كانت كلها أعياداً وأعراسا » .

وقال ابن الأثير[١] :

« قيل إنه ولى عيسى بن نسطورس النصرانى كتابته ، واستناب بالشام يهوديا اسمه منَشّا إبراهيم بن القزاز[٢] ، فاعتزّ بهما النصارى واليهود ، وآذوا المسلمين ، فعمد أهل مصر وكتبوا قصة وجعلوها فى يد صورة عملوها من قراطيس ، فيها :

« بالذى أعزّ اليهودَ بمنشا ، والنصارى بعيسى بن نسطورس ، وأذلّ المسلمين بك ، إلّا كشفتَ ظلامتى » .

وأقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز ، والرقعة بيدها ؛ فلما رآها أمر بأخذها ، فإذا الصورة من قراطيس ، فعلم ما أريد بذلك ، فقبض عليهما ، وأخذ من عيسى بن نسطورس ثلاثمائة ألف دينار ، ومن اليهودى شيئًا كثيرًا » .

وكان يحب العفو ويستعمله ، فمن حلمه :

---

(١) الكامل لابن الاثير ٩ : ٤٠

(٢) كذا فى الأصل، وهو عند (ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٨ ـ ٣٣و٤٠) : « ابن الفرار » .

أنه كان بمصر شاعرٌ اسمه الحسن بن بشر الدمشقى ، وكان كثير الهجاء ، فهجا يعقوب بن كلِّس وزير العزيز ، وكاتب الإنشاء من جهته - أبا نصر عبدالله بن الحسين القيروانى - ، فقال

قل لأَبى نصرٍ كاتبِ القصرِ والمتأَتى لنقضِ ذلك الأَمر
انقضْ عُرى الملك الوزير تفز منهُ بحسن الثنا والذكر
واعطِ وامنع ، ولا تخفْ أحدًا ، فصاحبُ القصر ليس فى القصر
وليس يدرى ماذا يُراد به ، وهو إذا درى فما يدرى

فشكاه ابن كِلِّس إلى العزيز ، وأنشده الشعر ، فقال : « هذا شىء اشتركنا فيه فى الهجاء فشاركنى فى العفو عنه » .

ثم قال هذا الشاعر أيضا وعرَّض بالفضل القائد :

تنصَّر ، فالتنصرُ دينُ حقٍّ ، عليه زمانُنا هذا يَدُلُّ
وقل بثلاثة عزوا وجلوا ، وعطِّل ما سواهم فهو عُطْلُ
فيعقوبُ الوزيرُ أبٌ ، وهذا العزيزُ ابنٌ ، وروحُ القدسِ فَضْلُ

فشكاه الوزير إلى العزيز ، فامتعض منه ، إلا أنه قال :

« اعفُ عنه » .

فعفا عنه .

ثم دخل الوزير على العزيز ، فقال :

« لم يبقَ للعفو عن هذا معنى ، وفيه غضٌ من السياسة ، ونقص لهيبة الملك ، فإنه قد ذكرك وذكرنى وذكر ابن رباح نديمك ، وسَبَّك بقوله :

زيارجىّ نديمٌ ، وكُلَيْسىٌّ وزيرُ نعم ، على قدر الكلب يصلح الساجور

فغضب الوزير ، وأمر بالقبض عليه ، فقبض عليه لوقته ، ثم بدا للعزيز إطلاقه ، فأرسل إليه يستدعيه ، وكان للوزير عين فى القصر فأخبره بذلك ، فأمر بقتله فقُتل ، فلما وصا رسول العزيز فى طلبه أراه رأسه مقطوعا ، فعاد إليه وأخبره ، فاغتمَّ له .

وقال ابن الأثير[1] :

« أبو الفتيان محمد بن حَيّوس » :

« لما مات العزيز وحضر الناس للتعزية بالقصر ، واجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم أفحم الناس بأجمعهم عن أن يوردوا فى ذلك المقام شيئا مما يليق بالوقت ، ومكثوا مطرقين ، فقام صبى من أولاد الأمراء الكتاميين . وأنشد :

انظر إلى العلياء كيف تُضام ، ومآتم الأحساب كيف تُقامُ
خَبَّرتنى ركب الركاب ولم يدع للسفر وَجْهَ تَرَحُّل فأقاموا

فاستحسن الناس من إيراد الصبى لذلك ، وطرق الناس إلى إيراد المراثى ، ونهض الشعراء والخطباء فعزوا ، وأنشد كل إنسان ماعمل فى التعزية .

وكان الصبي هو الذريعة إلى إيراد ما أوردوه ، وكشف ما نزل بهم من المهابة والمخافة[2] .

(١) كذا فى الاصل : ولعله سقط بعد اسم ابن الأثيـر كلمـة (قال) أى : قال أبو الفتيان محمد بن حيوس .

(٢) الى هنا ينتهى الكلام عن عهد العزيز ؛ وسنبدأ الجزء الثانى باذن الله بعهد الحاكم بأمر الله .

الملاحق

١ – الملحق الأول : زوجات على بن أبي طالب وأبناؤه منهن .

٢ – الملحق الثانى : بنات على .

٣ – الملحق الثالث : نسل الحسن .

٤ – الملحق الرابع : نسل الحسين .

٥ – الملحق الخامس : الخلفاء الفاطميون .

٦ – الملحق السادس : الخلفاء الفاطميون وأولادهم .

(لبيان صلة القربى بين كل خليفة والآخر)

الملحق الأول

زوجات على بن أبي طالب
وأبناؤه من كل منهن

على بن أبي طالب

– فاطمة بنت محمد (عليه السلام)	الحسن * الحسين *	
– خَوْلة بنت قيس بن جعفر الحنفى	محمد الأكبر بن الحنفية (أبو القاسم) *	
– أم البنين بنت المحل بن الديان ابن حرام الكلابى	العباس الأكبر * عبد الله عثمان الأكبر جعفر الأكبر	قتلوا مع الحسين فى وقعة الطفّ
– أم حبيبة بنت ربيعة التغلبى	عمر الأصغر *	
– ليلى بنت مسعود بن خالد التميمى	عبد الرحمن (أبو بكر) عبيد الله	
– أسماء بنت عميس الخثعمية	يحيى عون	
– أمامة بنت أبى العاص (أمها زينب بنت الرسول عليه السلام)	محمد الأصغر	
– أم ولد	جعفر الأصغر	
– أم ولد	محمد الأوسط عباس الأصغر	
– ؟	عمر الأصغر عثمان الأصغر	

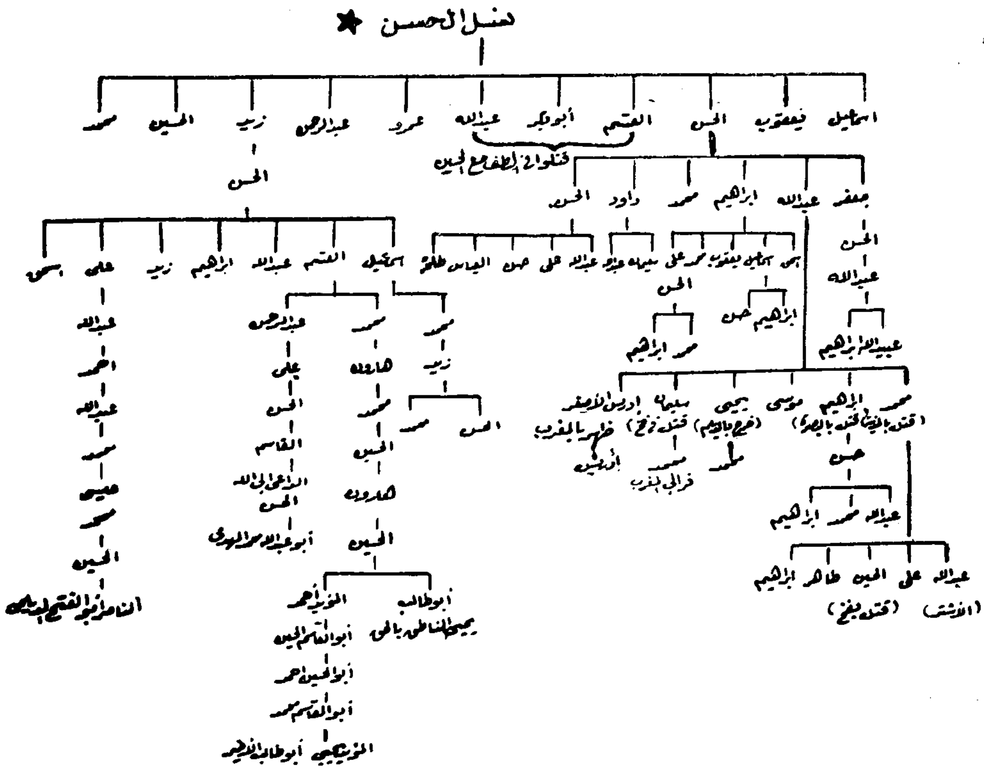
* هذه العلامة وضعت امام الابناء الذين اعقبوا ، أما الباقون من ولد على فلم يعقبوا .

الملحق الثانى

بنات على

رقية	أمها الصهباء ، أم حبيبة بنت ربيعة التغلبى ، فهى أخت عمر الأصغر
أم الحسن رملة الكبرى أم كلثوم	من أم سعد ابنة عروة بن مسعود الثقفية
أم هانئ ميمونة زينب الصغرى رملة الصغرى أم كلثوم الصغرى فاطمة أمامة خديجة أم الكرام أم سلمة أم جعفر جمانة نفيسة	من أمهات أولاد
بنت صغيرة (؟)	: من مخبئة بنت امرئ القيس بن عدى الكلبية

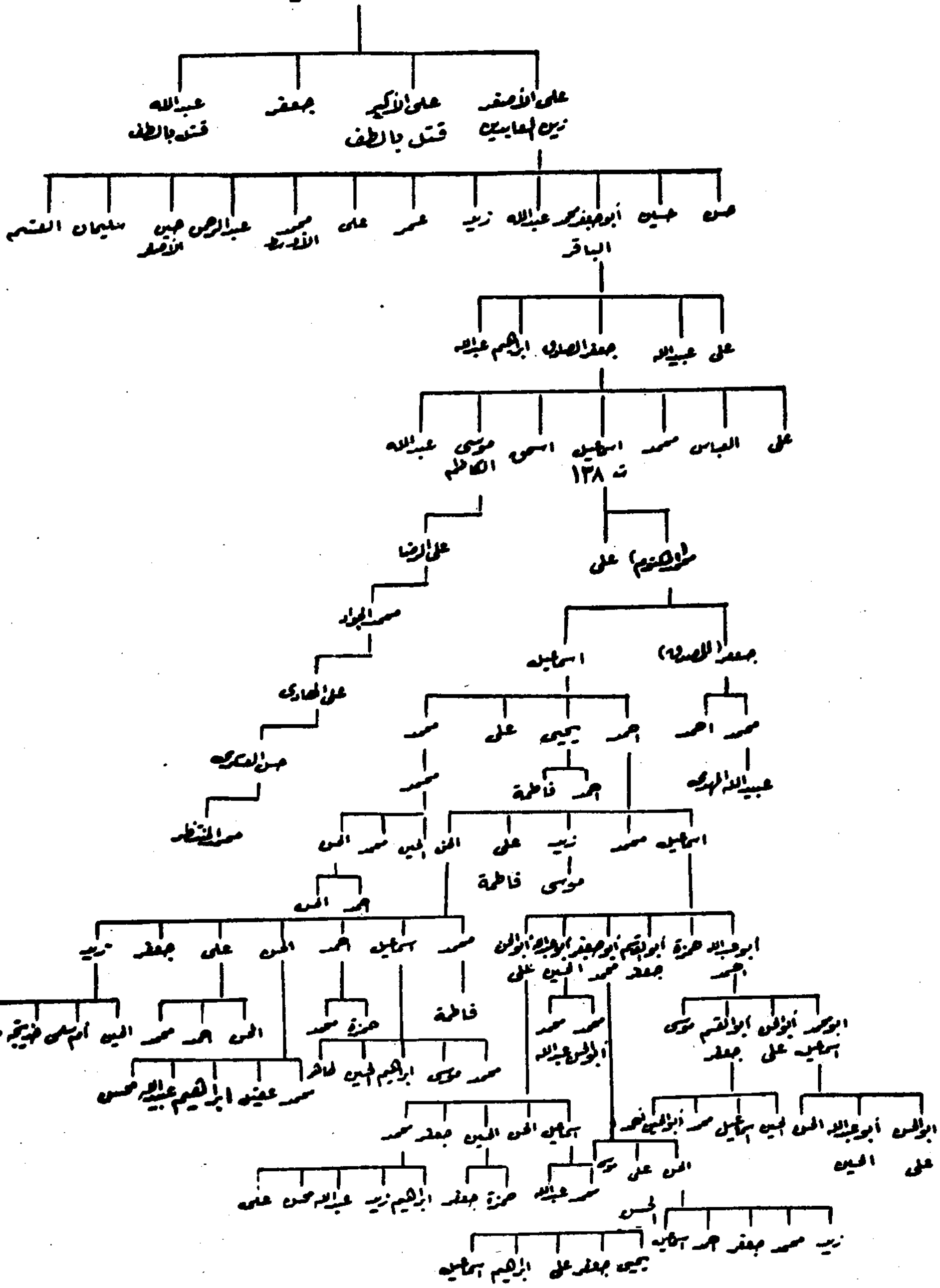
الملحق الثالث



(*) هذا الجدول مفرع عن الفصل الأول من هذا الكتاب

الملحق الرابع

نسل الحسين ★



(★) هذا الجدول مفرع عن الفصل الأول من هذا الكتاب

الملحق الخامس

الخلفاء الفاطميون

(لبيان ترتيب وتاريخ توليهم الخلافة)

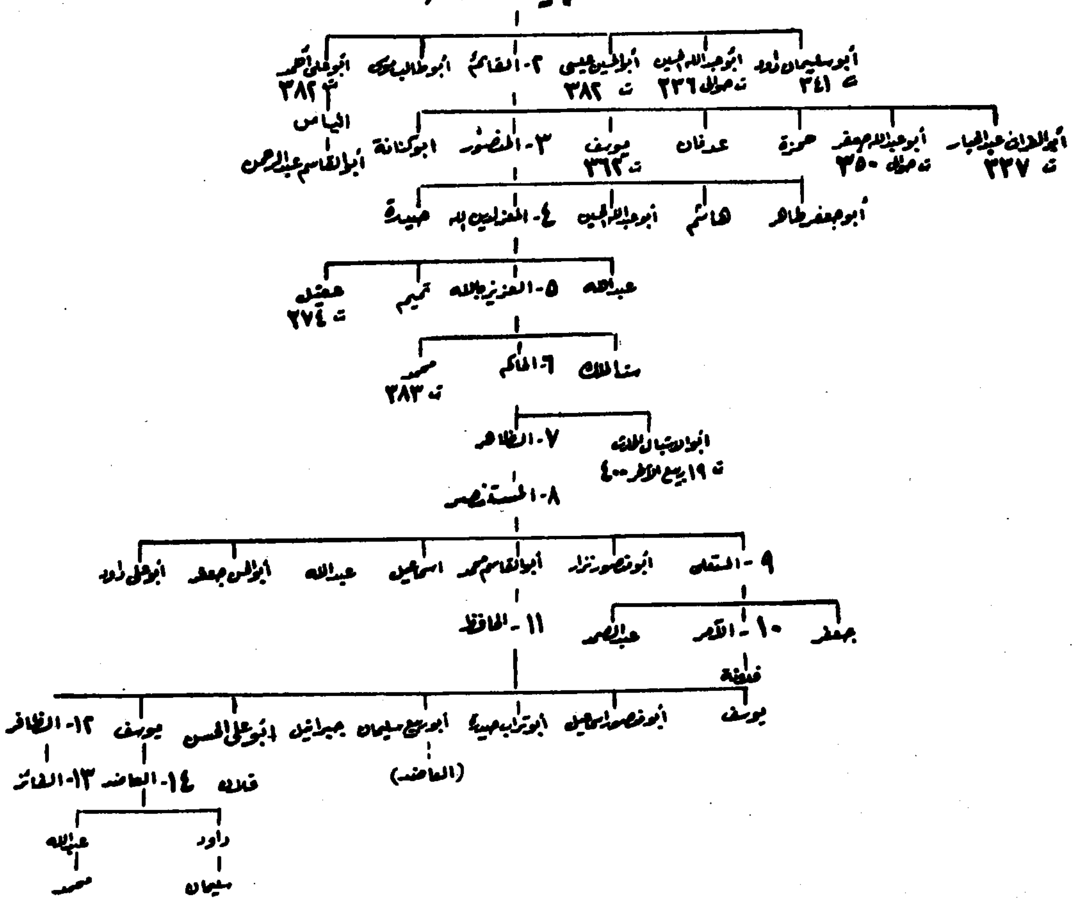
١ — ٤ ربيع الآخر ٢٩٧ (٩٠٩)	المهدى أبو محمد عبيد الله	ت ١٤ ربيع الأول	٣٢٢
٢ — ١٤ ربيع الأول ٣٢٢ (٩٣٤)	القائم أبو القاسم محمد	ت ١٣ شوال	٣٣٤
٣ — ١٣ شوال ٣٣٤ (٩٤٥)	المنصور أبو طاهر إسماعيل	ت ٢٩ شوال	٣٤١
٤ — أول ذى القعدة ٣٤١ (٩٥٢)	المعز أبو تميم معد	ت ٣ ربيع الآخر	٣٦٥
(وفى شعبان ٣٥٨ فتحت مصر ، وفى رمضان ٣٦٢ دخل المعز القاهرة)			
٥ — ٥ ربيع الآخر ٣٦٥ (٩٧٥)	العزيز أبو منصور نزار	ت ٢٨ رمضان	٣٨٦
٦ — ٢٩ رمضان ٣٨٦ (٩٩٦)	الحاكم أبو على منصور	اختفى فى ٢٧ شوال	٤١١
٧ — ١٠ ذو الحجة ٤١١ (١٠٢٠)	الظاهر أبو الحسن على	ت ١٥ شعبان	٤٢٧
٨ — ١٥ شعبان ٤٢٧ (١٠٣٥)	المستنصر أبو تميم معد	ت ١٨ ذو الحجة	٤٨٧
٩ — ذو الحجة ٤٨٧ (١٠٩٤)	المستعلى أبو القاسم أحمد	ت ١٤ صفر	٤٩٥
١٠ — ١٤ صفر ٤٩٥ (١١٠١)	الآمر أبو على المنصور	قتل ٢ ذو القعدة	٥٢٤
١١ — ١٥ المحرم ٥٢٥ (١١٣٠)	الحافظ أبو ميمون عبد المجيد	ت ٥ جمادى الآخرة	٥٤٤
١٢ — ٦ جمادى الآخرة ٥٤٤ (١١٤٩)	الظافر أبو منصور إسماعيل	قتل ٣٠ المحرم	٥٤٩
١٣ — أول صفر ٥٤٩ (١١٥٤)	الفائز أبو القاسم عيسى	ت ١٧ رجب	٥٥٥
١٤ — رجب ٥٥٥ (١١٦٠)	العاضد أبو محمد عبد الله	خلع ٣ المحرم ومات ١٠ المحرم	٥٦٧
١٠ المحرم ٥٦٧ (١١٧٠)	الأيوبيون		

الملحق السادس

الخلفاء الفاطميون وأولادهم

(لبيان صلة القربى بين كل خليفة وآخر)

١ - عبيد الله المهدي



فهرس الموضوعات

الصفحات

تصويبات

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٣	٢١	بالحمد له	بالحمدلة
١٢	١٣	Key ... Eoaly	Kay ... Early
١٢	١٣	P.	PP.
١٢	٢٦,١٨	Key	Kay
١٣	١٦	العاصى	العاص
١٣	١٩	٢٨٧،	(-
١٣	٢٧	P.	PP.
١٦	٢٢	Cit.	Cit. PP.
١٦	٢٥	P.	PP.
٢٣	٦	اللنويرى	للنويرى
٢٣	١٧,١١	P.	PP.
٢٣	١٣	أربعا	أربعة
٢٤	٢٥,٢٤	P.	PP.
٢٥	١٩	الأهواؤ	الأهواز
٢٦	٤	الأشعت	الأشعث
٢٦	١٧	« اقرمط. »	« اقْرَمّط. »
٢٦	٢٨	P.	PP.
٢٦	٢٩	Mmour	Mamour
٢٧	٢٨	والخطط	الخطط
٢٨	٢٨	Lone- ... P.	Lane- ... PP.
٣٠	٣	العريز	العزيز
٣٠	١٥	فناخسروا	فناخسرو
٣١	٢٦	سبط بن	سبط ابن
٣٢	٦	الضّيْم ، . ·. كما	الضَّيْم ، كما
٣٢	٧	ذلٌّ . ·. غلامٌ	ذلٌّ (م) غُلامٌ
٣٨	١١	أحس	أحسن
٣٨	٢٤	P.	PP.
٣٩	١١	ين	بن

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٤٠	٩	ألفا ألف	ألفى ألف
٤٠	٣١,١٩	P.	PP.
٤٢	١٠	(Laçy .... P.	De Lacy ... PP.
٤٥	٢١	P.	PP.
٤٦	١٢	ينسب	بنسب
٤٩	٨	المعتصد	المعتضد
٥٠	١	والياطل	والباطل
٥٠	٢٢	بمكار	بكار
٥١	٢٣	P.	PP.
٦٠	٩	ابن المدير	ابن المدبر
٦٤	٩	الموار دى	الماوردى
٦٦	١٣	وجبا	وجبى
٦٨	٢١	بنى الأعلب	بنى الأغلب
٦٩	٥	حُزْتُمْ الذَّنَبُ	حُزُتُمُ الذَّنَبْ
٧٠	٨	إ	إلى
٧١	الأخير	Ctt.	Cit.
٧٢	١٤	مثل	قُتل
٧٨	٦	الخمبس	الخميس
٨٢	١٧	أو المنجنيق	أو المنجميق
٨٣	١٠	أبى زيد	أبى يزيد
٨٤	٥	أن	إن
٨٦	٢	المهديلة	المهدية
٨٧	٦	الو . صى المصطفى	الوصى (م) المصطفى
٩٣	١٦	نها	منها
٩٥	٩	بحبث	بحيث
١٠١	الأخير	P.	PP.
١٠٣	٦	بترُوجة	بترُوجة
١١٦	١٣	جرهر	جوهر
١١٦	٢١	وهى	وفى
١١٩	الأخير	التاسع عشر	التاسع الهجرى
١٢٠	٧	وفى *	(* وفى
١٢١	٩	(*)	(*
١٢٢	٣	بشيز	تبز

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١٢٢	١٨	(١) كذا فى الأصل ؛ وفى (ج) : « تبر »	(١) فى الأصل « بشير » وأثبت ما هنا بعد مراجعة ما يلى من النص هنا ، انظر ص ١٢٨, ١٢٩ .
١٢٤	٤	وامثدت	وامتدت
١٢٥	٥	بتضرعون	يتضرعون
١٣٢	٢٠	نأرسى	فارسى
١٤٠	٢٠	«الشمسية»	«الشمسة»
١٤٠	٢١	ذراع	ذراعا
١٤٤	١٤	ولست (*)	(* ولست
١٤٤	١٩	١٤٧,١٤٤	١٥٠,١٤٧
١٤٥	٥	*	*)
١٥٠	٩	ونهبوا	نهبوا
١٥٨	١٣	ظهور ؛ السلاح	ظهور السلاح
١٨٨	٣	ابن	بن
١٨٩	٢	القوامطة	القرامطة
١٩٦	١٣	لله	الله
١٩٩	١٨	وإما منا بعد ؟ وإما فدى	وإمَّا « مَنًّا بَعْدُ وإمَّا فِدَاء »
٢٠١	١٠	ونتوفنيك	ونتوفّيَنَّك
٢٠١	١٣	القبامة	القيامة
٢٠٤	١٢	أَخذت	أُخِذَتْ
٢٠٨	٩	بأربين	بأربعين
٢١٦	١٥	بخلع	بخلع [المطيع]
٢١٩	١٣,١٦,١٧	جوشية	جوسية
٢٢٥	١٨	فغلَّقت	فغلِّقت
٢٣٣	١٣	وقيَّل	وقبَّل
٢٤٥	٦ — ٧	وقاد — يديه	وقاد بين يديه
٢٥٠	١	سام	قسَّام
٢٥٠	٢	فقصدت	فقصرت
٢٥٢	٥	وخ	وخلت
٢٥٢	١٧	والشمع ... مصرف	والشمع ... مصروف
٢٥٣	٧	أتا	أتى
٢٥٤	٢ بالهامش	لتشابه	فتشابه
٢٩٢	٩	للمحاكم	للحاكم
٢٩٢	١١	وعشرون	وعشرين
٢٩٦	١٦	رآه	لما رآه

مطابع الأهرام التجارية - قليوب